

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية اللغة العربية

نموذج رقم : (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات :

الاسم الرباعي : روية بنت عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب الرقم الجامعي : (٤١٨٨٢٥٩٠)

كلية : اللغة العربية قسم : الدراسات العليا العربية فرع : الأدب

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : الأدب

عنوان الأطروحة : ظاهرة السوبة والاستغفار في الشعر
المقصد والمقطعات من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن السابع الهجري

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ؛ وبعد :

فبعد إجراء التصحيحات المطلوبة التي أوصت بها اللجنة التي ناقشت هذه الأطروحة

بتاريخ : ١٤ / ١ / ١٤٢٤ هـ ، توصي اللجنة بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة

والله الموفق ،،،،

أعضاء اللجنة :

المشرف : د. عبد الله بن عبد الوهاب الناقد الأول : د. محمد بن عبد الوهاب الناقد الثاني : د. محمد بن عبد الوهاب

التوقيع : محمد بن عبد الوهاب

التوقيع : محمد بن عبد الوهاب

يعتمد : رئيس قسم الدراسات العليا العربية

أ.د : سليمان بن إبراهيم العايد

التوقيع : سليمان بن إبراهيم العايد



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٤٦٠٣

٠٠٥٢٧٥



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا
شعبة الأدب

الموضوع

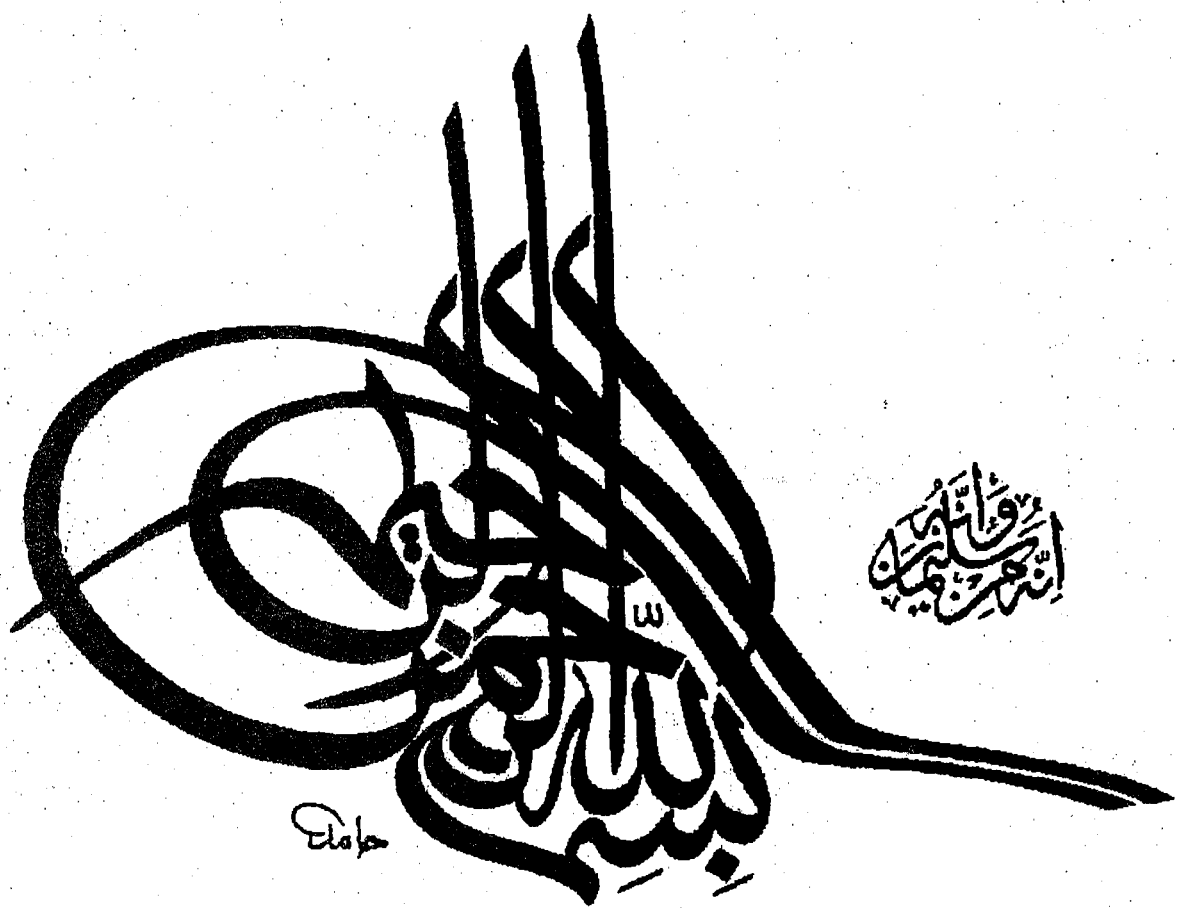
ظاهرة التَّوْبَةِ والاستغفار في الشُّعْرِ المقصَّد والمقطَّعات
من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن الثامن الهجري
دراسة تحليلية فنية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها تخصص أدب

إعطاء الباحثة
رقية بنت عبد الرحمن بن إبراهيم الصبَّة

إشراف
الدكتور / عبد الله بن إبراهيم الزهراني

عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م



ملخص الرسالة

الحمد لله الكريم المَنَّان .. الرحيم الرحمن .. ذي الجلال والإكرام .. حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه . والصلاة والسلام على خير الأنام محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وعلى آله الكرام ما تعاقب الليل والنهار .

أما بعد :

فهذه الأطروحة دراسة تحليلية لظاهرة التوبة والاستغفار في الشعر المقصد والمقطعات من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن الثامن الهجري، هدفها تتبع هذه الظاهرة عبر العصور وشرح جوانبها، وبيان التشابه والاختلاف فيها، وكان منهج الدراسة قائماً على استقراء النصوص بعد تخرجها من مصادرها، وتحليلها بعد تصنيفها، والكشف عما جدَّ فيها من جوانب. وقد أتت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول، وانصرف جزء التمهيد للتعريف بالتوبة والاستغفار في اللغة والاصطلاح وفي الشرع، وتضمن بعض النصوص لشعراء من عصر النبوة والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ؛ لأهمية ذلك في تتبع الظاهرة منذ فجر الرسالة المحمدية .

أما الفصول الأربعة، فقد توزعت ثلاثة منها على دراسة الشعر المقصد وخصائصه الفنية وخصَّ الفصل الرابع بدراسة المحصَّات في " المقطعات " ويتكون من ثلاثة مباحث، تناولت تحليل النصوص والدراسة الفنية، وختمت الدراسة بخاتمة بينت فيها أهم النتائج والتوصيات ووضعت في نهاية الدراسة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث واستفدت منها .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد .

عميد كلية اللغة العربية

المشرف

الطالبة

رقية بنت عبد الرحمن الصبّة أ.د عبد الله بن إبراهيم الزاهري أ.د صالح بن جمال بدوي

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى الْعَيْنِ الْكَرِيمَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

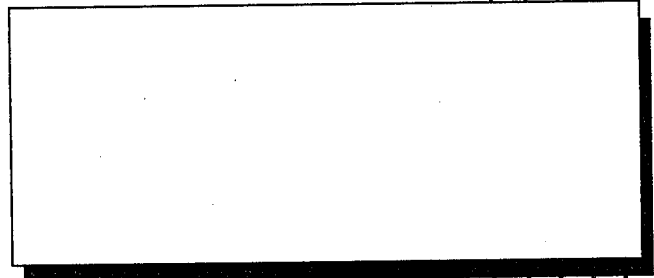
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ... وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

حَقِّقْ لَنَا الْوَفَاءَ وَالْإِيمَانَ وَالْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ

شكر وتقدير

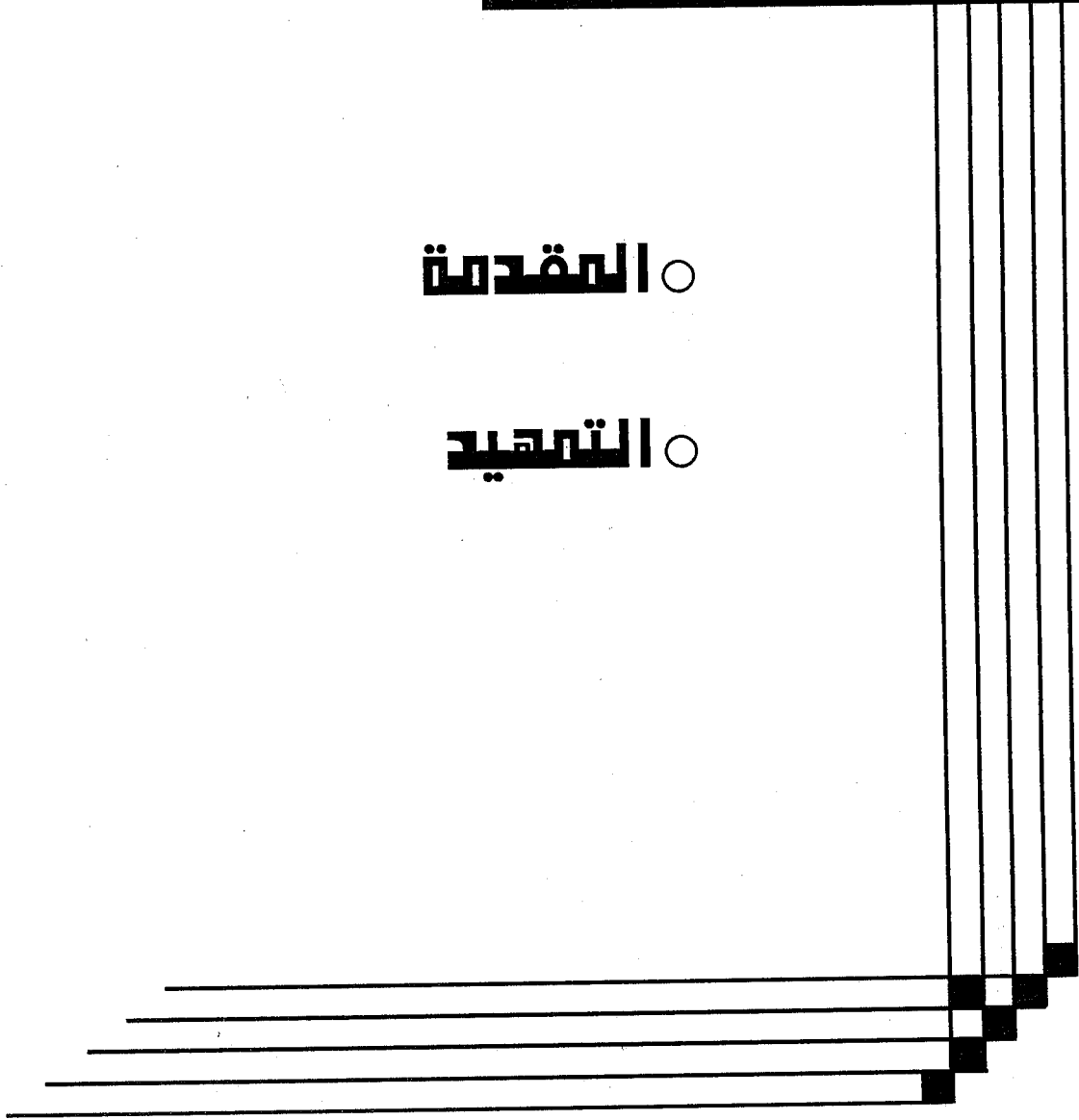
أشكر الله أولاً الذي وفقني وأعاني على إتمام هذا البحث ، ثم أتقدم بخالص شكري وتقديري لجامعة أم القرى وإلى كلية اللغة العربية التي شرفت بالانتساب إليها ، والتلمذ على يد أساتذتها الأجلاء الذين أولوني أنا وإخوتي من الطلبة والطالبات كل الرعاية والاهتمام ، فقاموا برسالة العلم خير قيام ، ولا يفوتني أن أزجي جميل الشكر والعرفان إلى عميدها السابق الأستاذ الدكتور / حسن بن محمد باجوده و الأستاذ الدكتور / صالح بدوي ، والشكر موصول إلى عميدها الحالي الأستاذ الدكتور / عبد الله القرني ، وإلى رئيس قسم الدراسات العليا السابق الأستاذ الدكتور / محسن العميري ، والرئيس الحالي الأستاذ الدكتور / سليمان بن إبراهيم العايد، ولا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري وامتناني إلى مشرفي السابق ، الأستاذ الدكتور / إبراهيم بن أحمد الحارثي الذي أسهم في وضع قواعد هذا البحث ، فلساني يعجز عن شكره والوفاء بحقه ، أما أستاذي الدكتور / عبد الله بن إبراهيم الزهراني الذي واصل معي مسيرة هذا البحث ، فأجد كلمات الشكر والتقدير شحيحة في حقه ، وعبارات لساني الشاكر المعترف بالجميل لا تفي بحقه ، أو تثني عليه ، فقد غمرني بفضله وأحاطني برعايته ومنحني من وقته وجهده وعلمه الكثير ، فلم يخل عليّ بتوجيهاته التي أفدت منها وحرص على أن يخرج هذا العمل على أكمل وجه ممكن ، وفي أحسن صورة . فجزاه الله خيراً على ما تحمله من عثرات طالب العلم وهفواته ، ولأسرتي الكريمة مثلة في والديّ الكريمين ، وإخوتي الأعزاء كل الشكر والامتنان على إحاطتهم لي بالرعاية والعناية ، والشدة من أزمري ، وحثهم لي على الصبر والمثابرة في إخراج هذا البحث .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الجزيل لكل من أعاني على هذا البحث بدعاء أو مشورة أو توجيه ، سائلة الله - العليّ القدير - أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم ويرفع درجاتهم ، فإن أحسنت فمن توفيق الله ، وإن أسأت فمن نفسي والشيطان . قال تعالى : ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ والله أسأل التوفيق السداد وأن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وينفع به ، وأن يهدينا إلى سواء السبيل ، والحمد لله في الأولى والآخرة .



○ المقدمة

○ التمهيد



المقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علمه البيان ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه ،
والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين ، وهادياً ونذيراً - صلى الله عليه وسلم تسليماً
كثيراً ... و بعد :

فقد منَّ الله عليَّ بفضلِهِ وتوفيقِهِ بإعداد رسالتي لمرحلة الماجستير بصورتها النهائية بعد معايشة
لها دامت عدة سنوات ، وموضوعها (ظاهرة التوبة والاستغفار في الشعر المقصود
والمقطعات - الموشحات - من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن الثامن الهجري -
دراسة تحليلية فنية -) ، وهي ظاهرة ظهرت عند شعراء الإسلام على اختلاف فئاتهم
وبيئاتهم في مشرق الأرض ومغربها ومن شمالها إلى جنوبها ، كصحوة انتابتهم بعد أن مضوا
ردحاً من الزمن في دياجير الجحون فلاذوا بالفرار من أثر الذنوب والمعاصي إلى حياض التوبة
وطلب العفو والمغفرة من الله - سبحانه وتعالى - .

أسباب اختيار الموضوع وأهميته

أسباب اختيار هذا الموضوع ودراسته ، تنبثق من جملة أمور :

في مقدمتها محاولة سد ثغرة بإذن الله تعالى في ميدان الشعر العربي والمقطعات لم يفرد لها
بحث مفرد لدراستها - في حدود ما أعلم - على النحو الذي تناولته ، وبذلت فيه قصارى
جهدي ، وحصاد فكري وجدِّي ، ولربَّ قائل يقول : إنَّ شعر التوبة والاستغفار لا يحتوي بين
طياته إلا على جانب واحد وهو : طلب المغفرة من الله والتوبة من الذنوب ، ولذلك تصبح
دراسته مما لا طائل تحته ، ولا جدوى منه ، لكن كشف النقاب عن هذا الشعر يدل على
احتوائه على موضوعات شتى شملت قصيدة الشاعر المسلم - الصحيح العقيدة - وقد شاع
مفهوم خاطئ لدى بعض الدارسين ، يذهب أصحابه إلى أنَّ الدين الإسلامي ترك تأثيراً
بسيطاً على الأدب لم يتجاوز العصور التي أعقبته ، بل اقتصر على عصره فقط ، وأن لا أدباً
إسلامياً في عصور الأدب العربي ، أي قصور الأدب الإسلامي في عصر صدر الإسلام فقط ،

كما ينفي الدكتور / أحمد مطلوب وجود أدب إسلامي بالمعنى الحقيقي في عصور الأدب العربي برمتها . (١)

أهداف البحث :

دراسة هذه الظاهرة تهدف إلى تعقب مدى استمرارها على مرّ العصور ، والتعرف على ما أنجبت أرحامها من أغراض ، الغاية منها التكفير والتمحيص ، وما طرأ عليها من تجديد يكمن في طريقة عرض النصوص وتصنيفها ، وتقسيمها إلى جوانب تكون منها النص ، فلم يعد النص مجرد ابتهالات وأدعية يرددّها الشاعر، بل ظهرت بين طياته موضوعات أخرى .

أهمية البحث :

ترجع أهمية هذا البحث - بعون الله تعالى - في محاولة سد ثغرة في ميدان دراسة الشعر العربي المقصد منه ، الذي اعتمد على وحدة الوزن و القافية كما في القصيدة العربية ، والمقطع - الموشح - لم يُكتب له اهتمام أحد الدارسين بدراسة مقتصره عليه من قبل . والبحث يقوم على استقراء الدواوين وأمّهات كتب الأدب العربي ومصادره القديمة والحديثة، ومصادر أخرى من التراث العربي والإسلامي ، واستنباط ما فيها من نصوص، ومحاولة إثبات وجود هذه الظاهرة على مرّ العصور ودراستها .

وقد عرف الشّعْر العربي هذه الظاهرة التي عبر عنها الشعراء وغيرهم منذ عهد النبي ولعل ظهور هذا الغرض في تاريخ الشّعْر كان نتيجة لما اقترفه المسلم من الذنوب والمعاصي التي كان سببها الغفلة عن الآخرة والانشغال باللّهو ، فكان هذا الشّعْر ردة فعل لنفسية الشعراء الذين شعروا بوطأة الذنوب ، فلجأوا إلى طلب العفو والمغفرة من الله - سبحانه وتعالى - .

(١) "أدب إسلامي كيف" ، مجلة العربي ، (الكويت : العدد ٢٤٩ - ١٩٧٩ م) ، ص : ٥٦ .

المنهج المتبع في الرسالة :

اعتمدت في دراسة هذه الظاهرة على المنهج الفني القائم على دراسة النصوص و إيضاح المعنى و إبرازه ، و التوغل وراء ما يوجد خلف النص من معانٍ كان للإسلام أثر بارز في انبثاقها و تفجير و جودها ، و التي كشفت عن لون جديد ظهر في الشعر ، لون قوامه هذا المزج بين شعر المجون و الزهد و التزاوج بينهما ، أدى إلى ظهور ما يسمى " بالممحصّات و المكفّر " ، فهي وليدة التطور و الابتكار و التجديد .

المصادر السابقة للدراسة :

تركزت الدراسات السابقة في مجملها على دراسة الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي ، أو الأثر الذي تركه الإسلام على موضوعات الشعر العربي في عصر من العصور ، أو في نتاج شاعر معين ، أو دراسة شعر الزهد ، و أدب الدعوة ، و الموشحات بصفة عامة ، أو تحقيق ديوان شاعر ، على أنّ هذه الدراسات لم تغفل ذكر جانب التوبة و الاستغفار ، أو قلّ : الرجاء و الابتغال ، و الإشارة إلى ممحصّات ابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) أو المكفّر ، و أكدوا من خلال ذلك إلى الأثر العميق للفكر الديني ، و الثقافة الإسلامية في شتى مجالات الحياة و من بينها الشعر الذي ترك الفكر الديني عليه بصماته ، و تسربت ألفاظه و تعابيره إلى خلائاه .

و لم يقتصر هذا التأثير على الشعر المنظوم ، بل تجاوز شطره الثاني " المقطّعات " الموسومة بالشعر العامي أو " الموشحات " ، و نلمس هذا الأثر من خلال الحشد الكبير للدراسات و البحوث التي أجريت على مختلف عصور الأدب العربي بصفة عامة و الشعراء بصفة خاصة ، من بينها :

كتاب " التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول " للدكتور / مجاهد بهجت
و كتاب " الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عهد " للدكتور / منجد بهجت

المرابطين و الموحدين "

و كتاب " أثر الإسلام في شعر الفرزدق " للدكتور / مصطفى عبد الواحد

و كتاب " شعر الزهد في القرنين الثاني للدكتور / علي نجيب عطوي

و الثالث الهجريين "

" سلسلة أدب الدعوة " أشرفت على طبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

" الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين الباحث / عبد الله بن حميد

الثالث و الرابع الهجريين "

" الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين

الخامس و السادس الهجريين " الباحث / علي ناصر جماح

" الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي من بداية

القرن السابع إلى نهاية سقوط مملكة غرناطة " الباحث / عثمان اليمني

" أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي " الباحث / عبد الله بن محمد العضيبي

" سابق البربري و الاتجاه الإسلامي في شعره " الباحثة / شادية حسن زيني

" أدب الزهد في العصر العباسي " الباحث / عبد الستار السيد متولي.

تقع هذه الدراسة في تمهيد ، و أربعة فصول ، و خاتمة ضمنتها إلى جانب تلخيص لأهم النتائج التي خرجت بها من هذا البحث ، بعض التوصيات ، و عقت ذلك بفهرس للآيات الكريمة ، و الأحاديث الشريفة ، و قائمة لأهم المصادر التي استفدت منها ، و فهرس لموضوعات البحث .

أما التمهيد : فقد تناولت فيه تعريف التوبة و الاستغفار في اللغة ، و الاصطلاح

و الشرع ، و استشهدت ببعض الأمثلة لهذه الظاهرة من شعر الصحابة - رضي الله عنهم

- في عهد النبي - صلى الله عليه و سلم - و الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ،

و يعد مدخلا للرسالة ، و مفتاحا لموضوعاتها .

و أما الفصل الأول : فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث ، تناولت في الأول منها دراسة شعر فئات التائبين في العصر الأموي ، و في الثاني : جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند شعراء المشرق من بداية العصر العباسي إلى نهاية القرن الثامن الهجري ، و تضمن الثالث جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند شعراء مصر و المغرب و الأندلس من بداية العصر العباسي إلى نهاية القرن الثامن الهجري .

و أما الفصل الثاني : فقد عرضت فيه لدراسة ظاهرة المحصّات في الشعر المقصّد مقسماً أيضاً إلى ثلاثة مباحث ، تناولت التعريف بالمصطلح ، و نشأة الظاهرة ، و سبب تسميتها ، و الفرق بين شعر الزهد و شعر المحصّات ، و دراسة نماذج من المحصّات التي جرت مجرى النقائص ، و مثلتها التي نُصّ عليها .

و أما الفصل الثالث : فشمّل دراسة الجوانب الفنية في الشعر المقصّد ، تضمن خمسة مباحث ، وهي : (أثر القرآن الكريم ، و أثر الحديث الشريف ، و الصورة الفنية ، و ظاهرة التكرار ، و التجربة الشعرية) .

و أما الفصل الرابع : فدرست فيه ظاهرة المحصّات في المقطعات ، و كان قائماً على تحليل نصوص من المكفر ، و دراسة بعض خصائصه .
و ختمت البحث بذكر أهم النتائج التي خرجت بها من دراستي لبعض النماذج ، و بيان بعض التوصيات .

و قد ابتعدت في دراستي عن شعر التصوف ؛ تجنباً من الوقوع في مزالق عقدية ، و جمعت شعراء مصر و المغرب و الأندلس معا ؛ لاتصال هذه الأقاليم بعضها ببعض ، كما جمعت بين الفئتين في دراسة المحصّات و المقطعات .

و وضعت علامة (**) في قائمة المصادر و المراجع عند بعض الألقاب ؛ دلالة على اشتراك أكثر من مؤلف في نفس اللقب ، و رمزت إلى المراجع التي لم يدون بها تاريخ الطبع بـ (د . ت) .

و قد اعترضني عدة صعوبات خلال مسيرة البحث في سبيل اختيار المادة العلمية و جمعها ، و قراءاتي الكثيرة لدواوين الشعر و المجاميع الشعرية ، و تنوع المصادر التي تضم إلى جانب المخطوطات و المطبوعات ، كتب السير و التراجم ، و كان للفترة الزمنية الطويلة التي تناولها البحث صعوبة أخرى واجهتني ، و تضافر ذلك مع قلة المصادر التي تناولت دراسة الموشح الديني أو حققته أو جمعته ، و قد يجد الباحث صعوبة الحصول على بعض البحوث التي تناولت دراسة الموشحات ، إضافة إلى انتشار الكثير من ألفاظ التصوف في الموشح الديني ، فحاولت جاهدة اختيار النصوص التي تخلو منها ، أو يقل و يندر فيها ألفاظه و مبادئه ضمن ما توفر لي من مادة علمية .

هذا و أسأل الله التوفيق و السداد ، فإن أحسنت فمن توفيق الله ، و إن أسأت فمن نفسي و من الشيطان ، و الله - تعالى - أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، و أن يهدينا إلى سواء السبيل .

و الحمد لله أولاً و آخراً .



٠٠٥٣٧٥

التمهيد :

قبل ولوج موضوعنا هذا لابد من تقديم موجز عن معنى التوبة والاستغفار في اللغة والاصطلاح، والشرع، واستعمالهما في القرآن الكريم، واستعراض بعض أشعار الصحابة - رضوان الله عليهم - في هذا الجانب في محاولة لتتبع مراحل هذا الغرض الشعري وتدرجه عبر العصور.

التَّوْبَةُ في اللغة، يقال : " تَابَ إِلَى اللَّهِ يَتُوبُ تَوْباً وَتَوْبَةً، وَمَتَاباً : أُنَابَ وَرَجَعَ عَنْ الْمَعْصِيَةِ مَعَ عَزْمٍ أَنْ لَا يَعُودَ، وَأَصْلُ تَابَ عَادَ إِلَى اللَّهِ وَرَجَعَ وَأُنَابَ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَيَّ عَادَ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ" ^(١).

وفي الاصطلاح : التَّوْبَةُ " الرجوع عن المعصية والإقلاع عن الذنب والعزم على أن لا يعود وإصلاح العمل في المستقبل " ^(٢).

والتَّوْبَةُ شرعاً : هي الرجوع إلى الله - تعالى - مع دوام الندم وكثرة الاستغفار ^(٣) وأعلى مراتبها ، " التَّوْبَةُ النَّصُوحُ " إذ أمر الله المؤمنين أن يتوبوا إليه توبة نصوحاً ، في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ ^(٤) ، قال العلماء : " التَّوْبَةُ النَّصُوحُ هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ، ويندم على ما سلف منه في الماضي ، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل " ^(٥) وهي الخالصة الصادقة التي لا رجوع بعدها إلى المعصية التي تاب منها . والغفر والمغفرة : " التغطية على الذنوب والعفو عنها " ^(٦) .

(١) ابن منظور ، جمال الدين : " لسان العرب " ، ط (٣) ، (بيروت : دار صادر ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) ، ج ١ ، ص ٢٣٣ ، مادة تاب .

(٢) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، ط (١) ، (بيروت : دار الجيل ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) ، تفسير الآية ١٥٤ من سورة الأنعام ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٥١ .

(٤) سورة التحريم ، آية (٨) .

(٥) ابن كثير : " تفسير القرآن العظيم " ، تفسير الآية الثامنة من سورة التحريم ، ج ٤ ، ص ٣٩٢ .

(٦) ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، مادة : " غفر " .

و الاستغفار : " طلب الغفرُ وستر العيوب والنقائص المهلكة الضارة " . (١)

ولما كان الاستغفار طريقاً للتوبة و محو الذنوب ، و اعترافاً و إقراراً من العبد لمولاه بجرمه ، رجاء رحمته ؛ و لذلك كان جوابه دائماً الغفران والرحمة منه - عزَّ وجلَّ - قال تعالى : ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٢) ، ويشبه بخير الجزاء قال تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَymدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ (٣) و حرم القنوط من رحمته قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤) .

وقد ورد ذكر التوبة والاستغفار في القرآن الكريم مفردين ومقرونين على ألسنة الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والسلام - دلالة على مكانتها وعظيم قدرها عند الله - سبحانه وتعالى - جاء على لسان النبي - صلى الله عليه و سلم - قوله تعالى : ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ ، و جاء على لسان هود - عليه السلام - ﴿وَايَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَ لَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ ، و على لسان نبيه صالح - عليه السلام - قوله تعالى : ﴿وَ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ ، و جاء على لسان نبيه شعيب - عليه السلام -

(١) الجوزية ، ابن القيم : " تهذيب مدارج السالكين " ، هذبه : عبد المنعم صالح العربي ، (جدة : المكتبة العلمية ،

١٤٠٢هـ -) ، ص ١٧٧ .

(٢) سورة النساء ، آية (١٠٦) .

(٣) سورة نوح ، الآيات (١٠ - ١٢) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٥٣) .

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ^(١) وقد ضرب لنا الرسول - صلى الله عليه و سلم - أروع مثال وأبلغ أسوة في شخصه ، حاثاً على التوبة والإكثار من الاستغفار ، إذ كان يُكثر منه في حياته فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي - صلى الله عليه و سلم - يقول : ﴿وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَ أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ۖ﴾ ^(٢)

(١) سورة هود ، الآيات (٣ ، ٥٢ ، ٦١ ، ٩٠) ..

(٢) (العسقلاني ، ابن حجر : " فتح الباري في صحيح البخاري " ، حقق أصله : الشيخ : عبد العزيز بن باز ، رقم كتبها و بوب أحاديثها : د. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط (٢) ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م) ، كتاب الدعوات ، باب استغفار النبي - صلى الله عليه و سلم - في اليوم و الليلة ، ج ١١ ، ص ١٢١ .

الفصل الأول

ظاهرة التَّوبَة والاستغفار من بداية العصر الأموي
إلى نهاية القرن الثامن الهجري

مباحثه

- المبحث الأول : فئات الشعراء التائبين في العصر الأموي .
- المبحث الثاني : جوانب شعر التَّوبَة والاستغفار عند شعراء
المشرق من بداية العصر العباسي إلى نهاية
القرن الثامن الهجري .
- المبحث الثالث : جوانب شعر التَّوبَة والاستغفار عند شعراء مصر
والمغرب والأندلس من بداية العصر العباسي
إلى نهاية القرن الثامن الهجري .

شعر التوبة والاستغفار

لم يقف الشَّعر صامتاً ، ولم يعقد الشُّعراء ألسنتهم أمام هذه الصفة الإيمانية ، بل كانت قلوبهم وجلة وأعينهم تفيض بالعبرات ، وألسنتهم تلهج بالدعاء مقرِّين بذنوبهم راجين عفو الله ومغفرته فيما قدموا من الأعمال والأقوال التي شابتها الذُّنوب والآثام .

ففي عهد النبوة انشغل المسلمون بتعلم أمور دينهم الحنيف وحفظ كتاب الله الكريم ، وحضور مجالس الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والجهد في سبيل الله لنشر الدين الإسلامي ، ومع ذلك لم يصمت الشَّعر ، ولم يسكت الشُّعراء عن قول الشَّعر إذ صبغوه بصبغة إسلامية ، وكان تأثير الإسلام فيه ظاهراً ، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - من المشجعين لهم ما دام قولهم موافقاً ما يدعو إليه الإسلام ، وقد برز ذلك في شعر الدعوة الإسلامية بروزاً بيناً ، ويمكن القول : بأن الأغراض الذائعة الصيت في تلك الحقبة ، المنافرات والمفاخرات بين المسلمين من جهة والمشرّكين من جهة أخرى ، وشعر الفتوحات الإسلامية والمدائح النبوية ، بل إن الأغراض التي عُرفت من قبل عند الشُّعراء استمرت معهم بعد مجيء الإسلام ، ولكن اعترافها التهذيب والتأثير الإسلامي . أما الخلفاء الراشدون فيمكن القول : بأنهم - وإن أثر لهم شعر - لم يكونوا من فئة الشُّعراء إذا استثنينا منهم الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (ت ٤٠هـ) .

فهذا عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - (ت ٨هـ) حين خرج في غزوة مؤتة ، يؤثر الشهادة في سبيل الله على العودة إلى المدينة ، ويسأل الله المغفرة ، حيث يقول :

لكنني أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّيْداً
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حَرَّانَ مُجَهَّزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا (١)

(١) "ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري" تحقيق: د. حسن محمد باجوده ، (القاهرة : مكتبة دار التراث ،

١٩٧٢هـ) ، ص ٨٨ .

ذات فَرْغٍ : أي قوية واسعة تسيل دمه ، انظر ابن منظور : "لسان العرب" ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ ، مادة "فرغ" .

أما علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فنجد له بين دفتي الديوان شعراً يلهج فيه بالدعاء والتضرع إلى ربه الكريم مقراً بخطاياہ طامعاً في عفو الله راجياً أن يحفه برحمته وأن يغفر ذنوبه ، فيقول :

وَإِنِّي ذُو خَطَايَا فَاعْفُ عَنِّي
فَحَقَّقْ يَا إِلَهِي حُسْنَ ظَنِّي ^(١)

إِلَهِي أَنْتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
وَظَنِّي فِيكَ يَا رَبِّي جَمِيلٌ
ويقول أيضاً :

بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الْغَفُورُ
وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرٌ ^(٢)

أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمُقَرَّبُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَالذَّنْبُ ذَنْبِي
ويقول :

وَرَحْمَةُ رَبِّي مِنْ ذُنُوبِي أَوْسَعُ
وَلَكِنِّي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَطْمَعُ
وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أُجْزَى بِمَا كُنْتُ أَصْنَعُ
وَإِنِّي لَهُ عَبْدٌ أَقْرُ وَأَخْضَعُ
تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
فَعَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
فَهَا أَنَا فِي أَرْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ خَاضِعُ
فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلٌ وَأَرْفَعُ

ذُنُوبِي إِنْ فَكَّرْتُ فِيهَا كَثِيرَةٌ
فَمَا طَمَعِي فِي صَالِحٍ قَدْ عَمَلْتُهُ
فَإِنْ يَكُ غُفْرَانٌ فَذَلِكَ بِرَحْمَةِ
مَلِكِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي وَخَافِظِي
لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
إِلَهِي وَخَلَاقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي
إِلَهِي لَنْ جَلْتُ وَجَمْتُ خَطِيئَتِي
إِلَهِي لَنْ أَعْطَيْتَ نَفْسِي سُؤْلَهَا
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَهِي أَجْرَنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنِّي
إِلَهِي لَنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
إِلَهِي أَذْنِي طَعَمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
إِلَهِي ذُنُوبِي جَارَتْ الطُّودَ وَاعْتَلَّتْ

(١) "ديوان الإمام علي بن أبي طالب" ، شرح د . يوسف فرحات ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٤هـ -

١٩٩٤م) ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧٠ .

إِلَهِي أُنَلِّنِي مِنْكَ رُوحًا وَرَحْمَةً
 إِلَهِي فَأَنْشُرْنِي عَلَى دِينِ أَحْمَدَ
 وَلَا تَحْرِمْنِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي
 وَصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَعَاكَ مُوحِدٌ
 فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَفْرَعُ
 تَقِيًّا نَقِيًّا قَانِتًا لَكَ أَخْشَعُ
 شَفَاعَتَكَ الْكُبْرَى فَذَاكَ الْمُشَفَّعُ
 وَنَاجَاكَ أَخْيَارُ بَابِكَ رُكَّعُ^(١)

تكشف الآيات عن عمق التجربة في نفس علي بن أبي طالب -رضي الله عنه - المؤمنة والمحفوفة بالرهبة وقلب يملؤه الخوف من عقاب الله ، نتيجة لكثرة ذنوبه - كما يصور ذلك من خلال الآيات - ، وهو مع ذلك قوي الإيمان ، ينبض قلبه باليقين ، وحسن الظن بربه الرحيم بعباده ، والغفار لذنوب التائبين المستغفرين ، فرحمة الله ، وعفوه هي المطلب والغاية التي يسعى لها ، متعطشا لها وطامعا فيها .

ونعمة التكرار في الآيات تدل دلالة واضحة على مدى انفعاله وإلحاحه في طلب العفو والمغفرة من ربه .

(١) "ديوان الإمام علي بن أبي طالب" ، ص ٧٧ - ٧٨ .

فئات الشعراء التائبين في العصر الأموي

فئة الشعراء التائبين عند اشتداد المرض أو الشعور بدنو الأجل :

ظهر شعر التوبة والاستغفار عند فئة من الشعراء بعد ما داهمهم المرض ينخر عافيتهم وشعروا بدنو الأجل ، ومن هؤلاء :

هذبة بن الحشرم (ت نحو سنة ٥٥٠ هـ) : (١)

يلجأ إلى الله تعالى مقرّابزلاته راجياً لعفوه ومغفرته ، يقول في أبيات يغلب عليها النظم :

أذَا الْعَرْشِ إِنِّي مُسَلِّمٌ بَكَ عَائِدٌ	مِنَ النَّارِ ذُو بَيْتٍ إِلَيْكَ فَقِيرٌ
بَغِيضٌ إِلَى الظُّلَمِ مَا لَمْ أَصِبْ بِهِ	مِنَ الظُّلَمِ مَشْغُوفُ الْفُؤَادِ نَفِيرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ قَالُوا : أَمِيرٌ وَتَابِعٌ	وَحُرّاً سُبُوحِ أَبْوَابٍ لَهُنَّ صَرِيرٌ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تُدِنَ	فَرَبٌّ وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ غَفُورٌ (٢)

معاوية بن أبي سفيان (ت نحو ٦٠ هـ) :

و إن لم يكن من فئة الشعراء إلا أننا نجد له نظماً في هذا الجانب ، حين شعر بدنو الأجل تذكر ذنوبه وهو يحتضر ، ففرّ إلى ربّه مقرّاً بذنوبه يرجو عفوه ، حيث يقول :

إِنْ تُنَاقَشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَ	بِ عَذَاباً لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تَجَاوَزَ فَأَنْتَ رَبُّ صَفْوَحٍ	عَنْ مَسِيءٍ ذُنُوبُهُ كَالْتُرَابِ (٣)

(١) هو أبو سليمان ، من بني عامر بن ثعلبة بن ذبيان ، شاعر في أسرة من الشعراء ، مكث زمناً في السجن في عهد

معاوية ثم قُتل قصاصاً . ترجمته في : ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " ، ص ٩٦١ ، الأصفهاني : " الأغاني " ،

ج ٢١ ، ص ١٦٩-١٧٧ ، وابن الأثير : " الكامل " ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٢) " شعر هذبة بن الحشرم العذري " ، جمعه وحققه : د. يحيى الجبوري ، (بغداد : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،

١٩٧٦م) ، ص ٨٥ . مشغوف الفؤاد : مولع بالحب . ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٩ ، ص ١٧٩ ، مادة

" شغف " .

(٣) ابن رشيق : " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط (٤) (بيروت :

دار الجيل ، ١٩٨٢م) ، ج ١ ، ص ٣٥ .

أعشى همدان (ت نحو سنة ٨٣هـ) : (١)

يتأمل في الحياة معجباً بما وهبه الله من العافية، وأناقة العيش، لا يلبث حتى تأتية منيته
ويبكيه أهله وأحباؤه وهم يجهزونه للرحيل إلى قبره، وزاده حنوط وكفن، مستغفراً ربه من
أعماله التي سلفت، خوفاً من عقابه، معبراً عن هذا الشعور الذي يسيطر عليه بألفاظ مليئة
بالإيمان واليقين، قائلاً :

بَيْنَمَا الْمَرْءُ أَمْسَى نَاعِمًا جَذَلًا	فِي أَهْلِهِ مُعْجَبًا بِالْعِيشِ ذَا أَنْقِ
غَرُّ أُتِيحَ لَهُ مِنْ حِينِهِ عَرْضٌ	فَمَا تَلَبَّثَ حَتَّى مَاتَ كَالصَّعِقِ
ثُمَّتْ أَضْحَى ضُحَى مِنْ غَبٍّ ثَالِثَةٍ	مُقَنَّعًا غَيْرَ ذِي رُوحٍ وَلَا رَمَقِ
يُكَيِّ عَلَيْهِ وَأَدْنُوهُ لِمُظْلَمَةٍ	تُعْلَى جَوَانِبُهَا بِالتُّرْبِ وَالْفَلَقِ
فَمَا تَزُودَ مِمَّا كَانَ يَجْمَعُهُ	إِلَّا حُنُوطًا وَمَا وَارَاهُ مِنْ خِرْقِ
وغير نفحة أعوادٍ تُشَبُّ لَهُ	وَقَلَّ ذَلِكَ مِنْ زَادٍ لِمَنْطَلِقِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَعْمَالِي الَّتِي سَلَفَتْ	مِنْ عَثْرَةٍ أَنْ يُعَاقِبَنِي بِهَا أَبْقِ (٢)

أما وضاح اليمن (ت ٩٠هـ) :

فوجد في شعره - بعد أن تجاوز مرحلة الشباب - ميلاً إلى محاسبة النفس على كثرة
الغزل ، والرغبة في التوبة ، فيقول :

مَالِكَ وَضَاحُ دَائِمَ الْغَزْلِ	أَلَسْتُ تَخْشَى تَقَارِبَ الْأَجْلِ
صَلَّ لَذِي الْعَرْشِ وَاتَّخَذَ قَدَمًا	تُجِيكَ يَوْمَ الْعِثَارِ وَالزَّلْلِ

(١) هو : أبو المصباح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث ، كان أحد الفقهاء القراء ثم ترك ذلك وأصبح شاعراً
وخطيباً مدافعاً عن اليمانية في الكوفة. قتله الحجاج الثقفي لهجائه له . ترجمته في : الجاحظ " البيان والتبيين " ،
ج ١ ، ص ٤٨ ، والأصفهاني : " الأغاني " : ج ٦ ، ص ٣٢-٦٢ .

(٢) " ديوان أعشى همدان وأخباره " ، تحقيق : د . حسن أبو ياسين ، ط (١) ، (الرياض : دار العلوم ،
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، ص ١٤٦ . جذلا : جذل بالشيء يجذل جذلاً ، الفرح ، ابن منظور : " لسان
العرب " ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ، مادة " جذل " .

غِب : غِب الأمر : عاقبته و آخره أو بعده ، " اللسان " ، ج ١٠ ، ص ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، مادة " غب " .

يَا مَوْتُ مَا إِنْ تَزَالُ مُعْتَرِضاً لَآ مِلَ دُونَ مُتْهِى الْأَمَلِ
لو كَانَ مَنْ فَرَّ مِنْكَ مُنْفِلَتاً إِذَا لَأَسْرَعْتَ رِحْلَةَ الْجَمَلِ
لَكِنَّ كَفَيْكَ نَالَ طَوْلُهُمَا مَا كَلَّ عَنْهُ نَجَائِبُ الْإِبْلِ
تَنَالُ كَفَاكَ كُلُّ مُسْهَلَةٍ وَخُوتَ بَحْرِ وَمَعْقِلَ الْوَعْلِ
لَوْلَا حَذَارِي مِنَ الْخُوفِ فَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ خَوْفِهَا عَلَى وَجَلِ
لَكُنْتُ لِلْقَلْبِ فِي الْهَوَى تَبْعاً إِنْ هَوَاهُ رَبَائِبُ الْحَجَلِ^(١)

فالشاعر شعر بديب الموت ينخر عظامه ، وأنه أكثر من اللّهُو والمجون من خلال غزله الذي سيكون وبالاً عليه يوماً ، دون أن يخشى قرب أجله و هو مصير حتمي لا مفر منه .
أبيات و ضاح اليمن أقوى في الجانب الفني من أبيات أعشى همدان التي تكاد أن تكون نظماً بحثاً ليس فيها من روح الشعر سوى الوزن و القافية .

ذو الرُّمّة (ت ١١٧هـ) :

كان ينشد أشعاره فإذا فرغ منها قال : " والله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر " ^(٢) وكأنه يكفر بهذه المقولة عن لغوه وما قاله من شعر ماجن ، وكان يقول : " إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِحَقِيقٍ أَنْ يَخْشَعَ " ^(٣)
فحين حضرته الوفاة لجأ إلى رَبِّهِ طالباً مغفرته ، راجياً منه أن يزحزحه عن النَّارِ ، يقول :

يَا رَبِّ قَدْ أَشْرَفْتُ نَفْسِي وَقَدْ عَلِمْتُ عِلْمًا يَقِينًا لَقَدْ أَحْصَيْتَ آثَارِي
يَا مُخْرِجَ الرُّوحِ مِنْ جِسْمِي إِذَا احْتَضَرْتُ وَ غَافَرَ الذَّنْبَ زَحْزَحْنِي عَنِ النَّارِ^(٤)

النابغة الشيباني (ت ١٢٥هـ) :

(١) " ديوان وضاح اليمن " ، جمعه وقدم له وشرحه : د. محمد البقاعي ، ط (١) ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٦ م) ، ص ٧١ وما بعدها .

(٢) انظر الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ١٦ ، ص ٥٢٨ .

(٣) السيوطي ، جلال الدين : " شرح شواهد المغني " ، تصحيح : محمد الشنقيطي ، (القاهرة : المطبعة البهية ، ١٣٢٢ هـ) ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٤) " ديوان ذي الرُّمّة " ، شرح الخطيب التبريزي ، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه ؛ مجيد طراد ، ط (١) ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، ص ٦٣٢ .

أكد أن خير واعظ للإنسان: الإسلام والتقوى والشيب ، طالباً المغفرة من ربه ، قائلاً:
 وَتُعْجِبُنِي اللَّذَاتُ ثُمَّ يَعُوجُنِي وَيَسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللَّهِ سَاتِرُ
 وَيُزْجِرُنِي الْإِسْلَامُ وَالشَّيْبُ وَالتَّقَى وَفِي الشَّيْبِ وَالْإِسْلَامِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ
 وَقُلْتُ : وَقَدْ مَرَّتْ حُتُوفُ بَاهِلِهَا أَلَا لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ رَبِّي غَافِرُ
 هُوَ الْبَاطِنُ الرَّبُّ اللَّطِيفُ مَكَائُهُ وَأَوَّلُ شَيْءٍ رَبَّنَا ثُمَّ الْآخِرُ
 كَرِيمٌ حَلِيمٌ لَا يُعَقِّبُ حُكْمُهُ كَثِيرُ أَيَادِي الْخَيْرِ لِلذَّنْبِ غَافِرٌ^(١)

فئة الشعراء التائبين من معصية أو ذنب اقترفوه :

من بين النماذج ما قاله عبد الله بن عوف الأحمر (٢) ، الذي قتل أحد الخارجين أيام معاوية سنة (٤١هـ) فندم و تاب إلى الله من فعلته حين علم بصلاح المقتول و تقاه :

قَتَلْتُ أَخَا بَنِي أَسَدٍ سَفَاهَاً لَعَمْرُ أَبِي فَمَا لَقِيتُ رُشْدِي
 قَتَلْتُ مُصَلِّياً مَحْيَاءً لَيْلٍ طَوِيلَ الْحُزْنِ ذَا بَرٍّ وَ قَصْدِي
 قَتَلْتُ أَخَا تُقَى لَا نَالَ دُنْيَاً وَ ذَاكَ لَشَقَوْتِي وَ عَثَارِ جَدِّي
 فَهَبْ لِي تَوْبَةً يَا رَبِّ وَ اغْفِرْ لِمَا قَارَفْتُ مِنْ خَطَاٍ وَ عَمْدٍ^(٣)

النعمان بن بشير الأنصاري - رضي الله عنه - (ت ٦٥هـ) :

يقر بكثرة ذنوبه وظلمه لنفسه ، مشفقاً من العذاب ، وجلّ من عقاب ربه ، راج لعفوه ، قائلاً :

رَبِّي إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي كَثِيراً فَاعْفُ عَنِّي ، أَنْتَ الْغَفُورُ الْودُودُ
 وَفَنِي شَرٌّ مَا أَخَافُ ، فَإِنِّي مُشْفِقٌ خَائِفٌ لِمَا تَسْتَعِيدُ
 مِنْ خُطُوبٍ إِذَا ذَكَرْتُ ذُنُوبِي وَقَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِيهِ الْوَعِيدُ

(١) "ديوان نابغة بني شيان" ، تقديم : أحمد نسيم ، ط (١) ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٥١هـ) —
 (١٩٣٢م) ، ص ١٧-١٨ .

(٢) هو عبد الله بن عوف الأحمر الأزدي ، كان مع علي - رضي الله عنه - في صفين ، و هو أحد رواة التاريخ .
 ترجمته في : ابن الأثير : "الكامل في التاريخ" ، تحقيق : د. عبد الوهاب النجار ، (بيروت : دار صادر ، إدارة
 الطباعة المنيرية ، ١٣٨٥هـ) ، ج ٣ ، ص ٤١١ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٤١١ .

(٤) "شعر النعمان بن بشير الأنصاري" ، حققه : د. يحيى الجبوري ، ط (١) ، (بغداد : مطبعة المعارف ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) ، ص ٩٢-٩٣ .

جحدِر المَحْرُزِي : (١)

يستغفر الله في سجنه ، ثم يطلب منه أن يجيره مما يخاف منه و ينقذه من حبسه ،
حيث يقول :

إِنِّي دَعَوْتُكَ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ دَعَوَى فَأَوَّلَهَا لِي اسْتِغْفَارُ
لَتُجِيرَنِي مِنْ شَرِّ مَا أَنَا خَائِفٌ رَبِّ الْبَرِيَّةِ لَيْسَ مِثْلَكَ جَارُ
تَقْضِي وَلَا يَقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا رَبِّي ، بِعِلْمِكَ تَنْزِلُ الْأَقْدَارُ (٢)
عبيد العنبري : (٣)

يواجه مَنْ يُؤيسونه من رحمة الله ، بثقة تملأ قلبه المؤمن برحمة الله طالبا مغفرته ، يقول :
يَا رَبِّ قَدْ حَلَفَ الْأَعْدَاءُ وَاجْتَهَدُوا أَيَمَانُهُمْ إِنِّي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمِيَاءٍ وَيَحْهُمْ مَا عَلِمَهُمْ بِعَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ
إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ الرَّحْمَنِ مَغْفِرَةً وَمِنَّةً مِنْ قَوَامِ الَّذِينَ جَبَّارِ
أَنَا الْغَلَامُ عَتِيقُ اللَّهِ مُبْتَهَلٌ بِتَوْبَةٍ بَعْدَ إِحْلَاءٍ وَإِمْرَارِ (٤)
ويلج في طلب العفو من الله مقرا بذنوبه التي ارتكبها أيام ليس له عقل ولا دين :
يَا رَبِّ عَفْوِكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجَلَّ كَأَنَّهُ مِنْ حَذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ
قَدْ كَانَ قَدَّمَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً أَيَامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينَ (٥)

(١) هو جحدِر بن معاوية أو ابن مالك العكلي ، أحد اللصوص في العصر الأموي ، صحب الحجاج زمنا ، و
كثر ترده على السجون . ترجمته في : الجاحظ : " الحيوان " ج ٥ ، ص ٤٣٣ - ٤٣٥ ، و الغالي :
الأمالي " ، ج ١ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، و ابن عساكر : " تهذيب تاريخ دمشق " ، ج ٤ ، ص ٦٦ - ٦٧
(٢) د . ملوحي ، عبد المعين : " أشعار اللصوص و أخبارهم " ، ط (١) ، (دمشق : دار طلاس ، ١٩٨٨ م) ،
ص ٨٥ .

(٣) هو عبيد بن أيوب ، يكنى أبا المطراد أو المطراب ، كان لصا حاذقا أباح السلطان دمه ، و برئ منه قومه
فهرب في مجاهل الأرض مستصحباً الغول و الوحوش . ترجمته في : الجاحظ : " البيان و التبیین " ، ج ٤ ،
ص ٦٢ ، و ابن قتيبة : " الشعر و الشعراء " ، ص ٧٨٤ ، و الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ١٣ ، ص ١٦٢
(٤) د . ملوحي : " أشعار اللصوص " ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٦٠ .

مدركا بأن النار موعده و مثواه إن لم تحفه رحمة الله و عفوہ ، يقول :

وَيَارِبِّ إِن لَّمْ تَعْفُ عَنِّي تُلْقِنِي مِنْ النَّارِ فِي بُعْكَوَكِهَا الْمُتَدَانِي (١)

هذه النعمة الإيمانية في أبياته تكشف عن نفس مرهفة الإحساس ، تملؤها خشية الله وخوف عقابه ، صادقة في العودة والتوبة إلى ربها ، يعكّر صفوها الشعور بالتندم على التفريط ، ومضي العمر مقترفة الذنوب والآثام غير عابثة ، آملة في عفو الله ومغفرته .

" وكل أولئك مظاهر تكشف عما أصاب حياة الصعاليك الأمويين من تطور وما طرأ على أفكارهم من تغير بعد أن شاخوا وكبروا ، وفارق بعضهم حياة التلصص والاعتصاب ، وأخذوا يكفرون عن سيئاتهم متضرعين إلى الله أن يغفر لهم ، ويعفو عنهم ، داعين إلى الأخلاق الحميدة والسلوك المستقيم " . (٢)

من الشعراء أيضا من تابوا في ساعة من ساعات يقظات النفس المؤمنة وتأنبها لصاحبها على اقترافه الذنوب فهدته إلى طريق الهداية والفلاح ، فعاد تائباً يستغفر ربه ، أمثال :

الحصين السعدي : (٣)

كان من عصبة الخوارج حتى هداه الله وعاد إلى مذهب أهل السنة ، يقول في قصيدة يمدح فيها المهلب :

قد قلت لما أرهجت لي عجاجة	هوى قطري وسطها يتذبذب
فيا قطري بن الفجاة أما لنا	جواب لحاك الله إلا المشطب ؟
فلما أبي إلا اللجاج بقتلنا	نظرت وكان المستجار المهلب

(١) د . ملوحي : " أشعار اللصوص " ، ص ١٦٣ .

البعكوك : " شدة الحر " انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ١٠ ، ص ٤٠١ ، مادة " بعك " .

(٢) د . عطوان ، حسين : " الشعراء الصعاليك في العصر الأموي " ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٠ م) ،

ص ١٣٨ .

(٣) هو الحصين بن حفصة السعدي ، شاعر من شعراء الخوارج ، و فرسانهم الشجعان ، ترك مذهب الخوارج

و استجار بالمهلب فأمنه و أحسن إليه . ترجمته في : الدينوري : " الأخبار الطوال " ، تحقيق : د . عبد المنعم عامر ،

ص ٢٨٦ ، و ابن أعثم : " الفتوح " ، ص ٤٣ - ٤٥ ، و ابن خلكان : " وفيات الأعيان " ، ج ٤ ، ص ٩٥ .

فَمَا جِئْتُهُ أَعْشَوُ إِلَيْهِ بِشِبْهَةٍ
إِلَى أَنْ يَقُولَ :
وَلَا طَالِبًا مَالًا وَلَا الْجَاهَ أَطْلُبُ

وَلَكِنِّي أَحْدَثْتُ لِلَّهِ تَوْبَةً
وَلَمْ تَكْ بِي بَعْدَ الْبَصِيرَةِ عَرَجَةٌ
وَالْمِرَارُ الْفَقْعَسِيُّ : (٢)

يُقَرُّ بِذُنُوبِهِ الَّتِي اقْتَرَفَتْهَا يَدُهُ ، وَيَسَارِعُ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ بَعْدَمَا بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ ، وَأَقْلَعَ عَنْ
صَبُوتِهِ ، يَقُولُ :

وَقَدْ لَعَبْتُ مَعَ الْفَتْيَانِ مَا لَعَبُوا
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ جِدِّي وَمِنْ لَعْبِي
وَزُورِي فَكُلُّ أَمْرِي لَا بُدَّ مُؤْتَرَّرُ
لِي الْأَرْبَعُونَ ، وَطَالَ الْوَرْدُ وَالصَّدْرُ (٣)

(١) ابن أعثم : " الفتوح " ، ج ٢ ، ص ٨٤ - ٨٥ . اللّجّاج : " لَجَّ فِي الْأَمْرِ لَجَاجًا وَلِجَاجَةً : تَمَادَى عَلَيْهِ وَابَى أَنْ
يَنْصَرِفَ عَنْهُ " انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، مادة " لَجَّ " .

قدعت : دنت ، " اللسان " ، ج ٨ ، ص ٢٦١ ، مادة " قدع " .

(٢) هو أبو حسان المرار بن سعيد بن حبيب ، من بني سعد بن خزّيمة ، كان يدافع عن قومه ، ويهجو المساور بن
هند ، كثير الشعر .

ترجمته : في ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " ، ص ٦٨٠ ، والأصفهاني : " الأغاني " ، ج ٩ ، ص ١٥٨ ،
والمرزباني : " الموشح " ، ص ٤٠٨ .

(٣) ابن قتيبة : " الشعر والشعراء " ، ج ٢ ، ص ٦٩٩ ، والأصفهاني : " الأغاني " ، ج ٩ ، ص ١٥٨ .

فئة الشعراء التائبين المترددين :

قد يعقد بعض الشعراء العزم في قرارة نفسه و يتوق إلى ولوج باب التوبة و الدّخول في حياضها ، رغبة منه في التكفير عن ذنوبه التي عكّرت صفو حياته ، و تغيير الطريق الذي كان يسلكه ؛ ليحظى برضا الله - سبحانه و تعالى - و ينعم بالطمأنينة بعد أن أيقن بضرورة هذا التحوّل جرّاء ما ارتكب من ذنوب و آثام في أيامه الخوالي ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فتحول الأسباب دون تحقيق ذلك ، و تراه يتخبط في ذلك يتوب ساعة و يعود أخرى إلى اللّهُ ، و قد يصادفه هذا الموقف في حياته أكثر من مرّة قبل أن يخلع ثوب اللّهُ عنه و يتّشح برداء التّوبة .

و هذا شأن النّفس حين تطلق العنان لهواها و تسترسل في الغواية ثم يكبح جماحها ويتوب .

تردد بعض الشعراء في مراحل حياتهم في التّوبة ، يحفهم الحنين للدخول إلى حياضها ، منهم :

الفرزدق (ت ١١٤هـ) :

فبالرغم مما عُرف عنه من استهتاره ولهوه و تعرضه لأعراض الآخرين في نقائضه و أهاجيه ، إلا أنّه كان يتوق إلى حياة التّوبة و التّقوى منذ شبابه ، فعندما بلغ الثلاثين من العمر قيد نفسه وعزم ألا يفك قيده حتى يحفظ القرآن الكريم ، ولكن حلبة الصراع القبلي و التفوق الشعري التي كانت في شوق إلى بطلها المغوار جعلته ينساق إليها دون هوادة ، إلا أنّه في بعض الأحيان يشعر بقبح ما يفعل ، فقد روى عنه قوله : " وأي شيء أهون من أن يقول إنسان : فلان وفلان وفلان والناس كلّهم بنو الفاعلة " ^(١) وفي مكان آخر يقر بجهله واتباعه لداعي الهوى أيام شبابه ، يقول :

(١) الحموي ، ياقوت : " معجم الأدباء " ، ط (٢) ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٢٢م) ، ج ١٩

لَعَمْرِي لَنْ قِيدْتُ نَفْسِي لَطَالَمَا سَعَيْتُ وَ أَوْ ضَعْتُ الْمِطْيَةَ لِلْجَهْلِ
ثَلَاثِينَ عَامًا مَا أَرَى مِنْ عِمَايَةٍ إِذَا بَرَقَتْ إِلَّا شَدَدْتُ لَهَا رَحْلِي^(١)

ولكنه آب إلى ربّه تائباً في آخر حياته " فقد بلغ هذا الجانب في لحظة حاسمة من لحظات حياته مبلغ الأزمة الروحية مما دفع بالشاعر إلى السعي للانفلات من ماضيه ، وتوجيه كلّ طاقاته لحياة جديدة مليئة بالتقوى والصّلاح^(٢) ، وكانت لقاءاته مع الحسن البصري - واعظ البصرة - (ت ١١٠ هـ) كثيرة وتنبى بالبشائر ، فيروى أنّهما اجتمعا في جنازة النوار - زوج الفرزدق - فقال الحسن للفرزدق على قبرها : " ما أعددت لهذا المضجع ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة ، وفي رواية منذ بضع وثمانين سنة ، فقال : إذن تنجو إن صدقت " ^(٣) ، ولما فرغ الفرزدق من دفنها وقف على حلقة من الناس كان يعظهم الحسن وقال :

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ دَارِمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَشْدُودَ الْخِنَاقَةِ أَزْرَقَا
أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنْ الْقَبْرِ التَّهَابَا وَأَضْيَقَا
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا^(٤)

فهو يخشى أن يعذبه الله بناره المستعرة يوم القيامة ؛ لذا يسارع بالتوبة والتطهر من ذنوبه السالفة ، روى الأصفهاني عن الفضل الرّقاشي (ت ٢٠٠ هـ) أنّه قال : " خرجت في ليلة باردة ، فدخلت المسجد فسمعت نشيجاً وبكاءً فلم أعلم من صاحب ذلك حتى أسفر الصبح ، فإذا الفرزدق ، فقلت : يا أبا فراس تركت النوار لينة الدثار دفئة الشّعار ! ، قال : أي والله ذكرت ذنوبي فأقلقتني ، ففرغت إلى الله " ^(٥) .

(١) "ديوان الفرزدق " ، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

(٢) د . قاسم ، عون الشريف : " شعر البصرة في العصر الأموي " ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) ، ص ٢٥٠ .

(٣) انظر ، الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ١٩ ، ص ٢٩٩ .

(٤) " ديوانه " ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .

(٥) انظر ، الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ١٩ ، ص ٢٩٩ وما بعدها .

فالفَرزدق هجر متاع الدُّنيا الزائل وفرَّ إلى ربِّه حين كبر وتذكر ذنوبه التي أفلقتَه ، وهذه القصة تدل دلالة قوية على ذلك ، ويشاء الله أن يتوب ويقلع عما كان عليه على يد بائع سمن في سوق المربد ، وهو في السبعين من العُمر حين ساومه الفرزدق عليه مما جعله يهبه إياه ، مقابل أن يهبه الفرزدق أعراض قومه فلا يهجوهم ، هذا الموقف من البائع جعل الشَّاعر يتأمل مقولة الرجل ويتألم لذلك ، فقد أصبح مستهجنًا منبوذًا يهابه النَّاسُ ، موسومًا بالفحش وانتهاك الأعراض ، مما أثرَّ على نفسه وجعله يغير طريقة حياته ، فعاد إلى حياض الدين تائبًا إلى ربِّه مما جناه ، معاهدًا بعدم العودة على ما كان عليه ، خائفًا من عقابه راجيًا عفوه ، وخلاصًا من عذابه ، قائلًا :

لَم تَرِنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي	لَبِينَ رِتَاجٍ قَائِمٍ وَمَقَامٍ
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا	وَلَا خَارِجًا مَن فِي سُوءِ كَلَامٍ
لَمْ تَرِنِي وَالشَّعْرُ أَصْبَحَ بَيْنَنَا	دُرُوءٌ مِنَ الْإِسْلَامِ ذَاتَ حَوَامٍ
بَهْنُ شَفَى الرَّحْمَنُ صَدْرِي وَقَدْ جَلَا	عَشَا بَصْرِي مِنْهُنَّ ضَوْءُ ظَلَامٍ
فَأَصْبَحْتُ أَسْعَى فِي فَكَاكٍ قِلَادَةٍ	رَهِينَةَ أَوْزَارٍ عَلَيَّ عِظَامٍ
أُحَاذِرُ أَنْ أُدْعَى وَحَوْضِي مُحَلَّقٌ	إِذَا كَانَ يَوْمُ الْوَرْدِ يَوْمَ خِصَامٍ
وَلَمْ أَنْتِهِ حَتَّى أَحَاطَتْ خَطِيئَتِي	وَرَائِي وَدَقَّتْ لِلدُّهُورِ عِظَامِي
بِتُوبَةٍ عَبْدٍ قَدْ أَنَابَ فُؤَادُهُ	وَمَا كَانَ يُعْطِي النَّاسَ غَيْرَ ظِلَامٍ ^(١)

إنَّها النَّفسُ اللَّوامةُ تلوم صاحبها على كثرة ما فرط في جنب الله ، راجية منه أن يفيق من سباته ، ويؤوب إلى رشده مستغفرًا ربَّه مما جناه لسانه واقترفته يداه .

نلمح في هذه الأبيات صدق العاطفة الجيَّاشة التي تلامس الوجدان ، و البوح الذي ينبض بالمشاعر الفيَّاضة ، و الصَّورة الناطقة ، و هو ما لا يتوفَّر في النَّصِّ السابق .

== هو الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل الرَّقَّاشي البصري ، أبو العباس ، شاعر جيد من أصل فارسي ، انتقل إلى بغداد ومدح الخلفاء و كانت بينه و بين أبي نواس مهاجرة و مباسطة و انقطع إلى البرامكة و رثاهم بعد نكبتهم ، كان متهتكًا خليعًا . ترجمته في : البغدادي " تاريخ بغداد " ج ١٢ ، ص ٣٤٥ ، و الكتي : " الفوات " ج ٢ ، ص ١٢٥ .

(١) " ديوانه " ، ج ٢ ، ص ٢١٢-٢١٣ .

و القصيدة بعد ذلك تفيض حزناً و حسرة ، و تقطر ألماً .. و هي أنة نادم و زفرة
محزون استرسل في غيه و هواه سابقاً ، ثم تاب .

وبهذه التوبة الصادقة ، والتدم على ظلم النفس أولاً ، وظلم الناس ثانياً ، يسدل الفرزدق
الستار على أيامه الخوالي ، ويقبل على حياة جديدة ، حياة ملؤها التقوى والخشوع والخوف
من عقاب الله في الآخرة .

فئة الشعراء الدعاة إلى التوبة :

نلمح عند هذه الفئة من الشعراء أسلوباً مغايراً ، يقوم على مبدأ إبداء النصيحة ، فقد حثّ
الإسلام على التناصح بين المسلمين ، فهذا قطري بن الفجاءة (ت ٧٨هـ) يدعو أحد
أصحابه ، وهو سميرة بن الجعد ^(١) ، حين أصبح جليساً للحجاج الثقفي (ت ٩٥هـ) ونكّل
بمذهب أصحابه وخرج عن جماعتهم ، إلى التوبة والرجوع ؛ لأنّ الخوارج يرون أنّ كلّ
خارج عن مذهبهم حكمه حكم المرتد عن دينه ، و قد وافق سميرة الصواب حين عاد إلى
مذهب أهل السنة ، و هو مالم يُرضي قطري فوجه إليه الدعوة بالعودة إلى مذهب الخوارج ،
قائلاً له :

إذا نحن رُحناً في الحديد المظاهر
أمير بتقوى ربّه غير آمر
وميراث آباء كرام العناصر ؟
ولا بُدّ من بعث الألى في المقابر
فمن بين ذي ربح وآخر خاسر
حياتك في الدنيا كوقعة طائر
على ظلمة أعشت جميع النواظر
فإنك ذو ذنب ولست بكافر

لشتان ما بين بن جعد وبيننا
وراح يجر الخنز عند أميره
أبا الجعد أين العلم والحلم والنهي
ألم تر أنّ الموت لاشك نازل
حفاة عراة والثواب لربهم
فإن الذي قد نلت يفنى وإنما
فراجع أبا جعد ولائك مفضياً
وثب توبة تهدي إليك شهادة

(١) هو أبو الجعد سميرة بن الجعد ، سمير الحجاج الثقفي ، كان رجلاً جسيماً ذلق اللسان ، شديد القلب ، من بني
شيبان ، حفظ القرآن ، وتبحر في العلوم ، حافظ للشعر ، من أتباع قطري بن الفجاءة .

ترجمته في : المسعودي : " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، تحقيق : د. محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة :

دار الفكر ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ، ج ٣ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

و سرّ نَحُونَا تَلَقَّ الْجِهَادَ غَنِيمَةً
تُفِدُكَ ابْتِيعَاً رَابِحاً غَيْرَ خَاسِرٍ
هي الغَايَةُ الْقُصْوَى الرَّغِيبُ ثَوَابُهَا
إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغِنَى كُلُّ تَاجِرٍ^(١)

(١) المسعودي : " مروج الذهب " ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .
رتاج : الرّثاجُ ، الباب العظيم ، وقيل : الباب المغلق . ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٢ ، ص ٢٦١ ، مادة
" رتج " .

جوانب شعر التوبة والاستغفار عند شعراء المشرق

ظهر هذا الشعر عند الشعراء ردة فعل طبيعية لما شاع في تلك الحقبة أو في حياتهم من الترف والمجون، والتطرف والإسراف في الرخص وراء الشهوات، والخروج عن ربة الدين. إلا أن تيار الزهد المواكب لتيار اللهو والمجون، الذي يدعو إلى تحقير الدنيا والتذكير بالموت وما وراءه والآخرة وما فيها من الحساب والعقاب، والعودة إلى حياة التقى والإيمان، كان من الطبيعي أن يتأثر به الشعراء، إذ نجد كثيراً منهم في هذا العصر أقلع عن المعاصي وتاب ورجع إلى ربه بعدما أضاع حقبة من عمره راكضاً خلف شهواته. " وفي العصر العباسي نجد عدداً غير قليل من الشعراء أقلعوا عن المعاصي وانقطعوا عن المفاصد والشهوات، وآبوا وأنابوا بعد جموح وضياح، وكانت تجاربهم الجديدة صادقة تتمثل في الندم والأسف على ما سلف - مما فرطوا فيه وجنوه - وتعبير عن الاستجابة المخلصة للإيمان، وتوجهه إلى الإعداد للآخرة " (١).

وكان الكثير من هؤلاء الشعراء من أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً يلجأون إلى الله طالبين عفوه ومغفرته، نادمين تائبين، بل إننا نجد ابتهالات لشعراء لم يُعرف عنهم اللهو، أو كانوا من العلماء، أمثال: الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ)، ومحمد الفارابي (ت ٣٣٩ هـ).

جانب الرجاء و الابتهاال :

و هو جانب تلهج فيه ألسنة الشعراء بالدعاء والعودة إلى ربهم تائبين آيين، يدعونه خوفاً ورهباً أن يغفر لهم ويعفو عنهم، وفيه نشعر بصدق الشاعر، و بدموعه السخينة من خلال كلماته، لا يشغل باله سوى أن يستجيب الله لدعائه.

فالإنسان قد تدركه نفحات إيمانية ترجعه إلى صوابه و رشده بعد أن اقترف إثماً أو ذنباً، متوسلاً إلى الله - سبحانه و تعالى - أن يتجاوز عنه و يغفر له . قد يكون الرجاء ضد اليأس وهو بمعنى الأمل، و قد يكون بمعنى الخوف، قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ

(١) د. مجت، مجاهد : " الزاهدون التائبون " ، مجلة كلية الشريعة ، (مكة المكرمة : ١٩٧٠ م) ، ص ٣٠٣-٣٠٤.

لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١﴾ ، فالرجاء يجمع بين الأمل في رحمة الله و مغفرته ، و الخوف من عقابه .

يُروى أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه و سلم - دخل على شاب و هو على فراش الموت، فقال: (كيف تجدك ؟) قال: (و الله يا رسول الله إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ ، و إِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : (لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إِلَّا أعطاه ما يرجوا و أَمَنَّهُ مِمَّا يَخَافُ) (٢) .

و شعر التوبة و الاستغفار يعد في طليعة الشَّعر المفعم بهذه المعاني ، و الرُّوح الإيمانية ، إذ نجد نصوصا كثيرة تصوِّر لنا مناجاة رائعة بين العبد و ربِّه ، حفلت بها الدواوين و المجاميع الشَّعرية ، و كتب الأدب لشعراء العربية ، و من ذلك ما قاله بشار ابن برد (ت ١٦٧ هـ) تائبا إلى ربِّه مما فعل في لحظة من لحظات الغفلة ، معذرا إليه مما جناه دون عمد منه أو قصد ، طالبا مغفرته :

تِ و اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ فِعْلَتِي	أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ السَّيِّئَاتِ
عَلَى جَهْلِ أَمْرِي و فِي سَكْرَتِي	تَنَاولْتُ مَا لَمْ أَرِدْ نَيْلَهُ
لِعَمْدٍ و مَا كَانَ مِنْ هِمَّتِي	و و اللَّهَ و اللَّهَ مَا جِئْتُهُ
و عَذَّبَنِي اللَّهُ فِي مَنِيَّتِي ٠ (٣)	و إِلَّا فَمِتُّ إِذَا صُنْعًا

(١) سورة نوح ، آية (١٣) .

(٢) المالكي ، ابن العربي : " عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي " ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د .

ت) ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

(٣) " ديوان بشار بن برد " ، جمع و تحقيق : السيد محمد بدر الدين العلوي ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٣ م) ،

و يوسف بن القاسم (ت ١٨٠هـ) (١)

يرجو من الله أن يقبل توبته ، ويغفر له ما جناه ، حتى يلقاه طاهر الثوب من أدران
الذنوب ، فيقول :

إلى الله من عودتي توبتي	أتوب إليه وأستغفره
وأستغفر الله مما جئيت	وما قد نسيته وما أذكره
ومما أحاط به علمه	وأتقنه كاتب يسطره
لألقى الإله ولا ذنب لي	أسأله عنه ولا أحذره
إذا كان يأتي الذي لا يريب	ويترك منه الذي يفجره
كذلك روينا عن المصطفى	وأصحابه في الذي نأثره ^(٢)

ونجد لذة المناجاة والرجاء عند ، العباس المجنون (ت ١٩٠هـ) ، إذ يتشوق إلى لقاء الكريم

، بعد أن يرجو رحمته جرّاء ما اقترف من ذنوب ، يقول :

يا حبيب القلوب من لي سواكا	إرحم اليوم مذنباً قد أتاكَا
أنت سُؤلي وبُعيتي و سُروري	قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا مُنأي وسيدي و اعتمادي	طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سُؤلي من الجنان نعيما	غير أنني أريدُها لأراكا ^(٣)

(١) هو أبو القاسم يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء ، من ساكني سواد الكوفة ، من بيت بلاغة و فضل ، و كان من كتاب بني أمية ، و عمل في ديوان المنصور . ترجمته في : الصولي : " الأوراق " أو " أشعار أولاد الخلفاء و أخبارهم " ، عني بنشره : ج . هيورث ، ط (٢) . (بيروت : دار المسيرة ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، ص ١٤٨ ، و المرزباني : " الموشح " ، ص ٥٠٩ .

(٢) الصولي : " الأوراق " ، ص ١٤٨ .

(٣) النيسابوري ، أبي القاسم الحسن بن محمد : " عقلاء المجانين " ، تحقيق : أبو هاجر محمد زغلول ، ط (١) ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، ص ١١٢ .

أَمَّا لَقِيطُ الْحَارِثِيِّ (ت ١٩٠هـ) :

فقد أخلص المتاب وعزف عن الغواية والملاهي ، نادماً على لهوه ، يقول :

عزفتُ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالْمَلَاهِي	وَأَخْلَصْتُ الْمَتَابَ إِلَى إِلَهِي
وَعَرَّتْنِي لَيَالٍ كُنْتُ فِيهَا	مُطِيعاً لِلشَّبَابِ بِهِ أَبَاهِي
أَجَارِي الْغَيَّ فِي مِيدَانِ لَهْوِي	وَقَلْبِي عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ لَاهِي
وَأَلْجَمَنِي الْمَشِيبُ لِحَامَ تَقْوَى	وَرُكْنُ الشَّيْبِ بَادِي الْعَيْبِ وَاهِي ^(١)

وتتجلى عظمة التوجه إلى الله - تعالى - بالدعاء والهيبة ، في خشوع واعتراف بكثرة الذنوب ، والأمل الكبير في عفو الله وعظمته عند الشاعر التائب ، أبي نُوَاسٍ ، (ت ١٩٩هـ) :

يَا رَبِّ إِنَّ عَظُمْتَ ذُنُوبِي كَثَرَةً	فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ	فَبِمَنْ يَلُودُ ، وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ
أَدْعُوكَ رَبَّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً	فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي ، فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا	وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ، ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ ^(٢)

ونلمح هذا الجانب بارزاً عند شخصية عرف عنها التقى والعبادة لله - تعالى - إذ يلجأ صاحبها ، وهو الإمام الشافعي إلى ربه طالباً عفوه معترفاً بذنبه الذي يراه عظيماً ، وإغواء إبليس له ، إلا أنه موقن بأن عفو الله أعظم من أي ذنب ، يقول :

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتُ الرَّجَا مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْماً
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَرْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمَا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	تَجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمَا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصْمَدْ لِإِبْلِيسَ عَابِدٌ	فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي	وَيَسْتَرُ أَوْازِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا ^(٣)

(١) هو لقيط بن بكير المحاربي ، أبو هلال ، كان من رواة الكوفة ، اتصل بالمهدي ومدحه ، ثم مال إلى الزهد في آخر حياته .

ترجمته في : الحموي : " معجم الأدباء " ، ج ١٧ ، ص ٣٦-٤١ .

(٢) الصولي : " ديوان أبي نواس " ، تحقيق : د. بهجت الحديشي ، (بغداد : دار الرسالة ، ١٩٨٠م) ، ص ٩٨٦ .

(٣) " ديوان الإمام الشافعي " ، جمعه وحققه وشرحه : د. إميل بديع يعقوب ، ط (٢) ، (بيروت : دار الكتاب

العربي ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ، ص ١٢٨-١٢٩ .

وهذا سعيد بن وهب (ت ٢٠٨هـ) : (١)

يَقَرُّ بِلَهْوِهِ وَاغْتِرَارِهِ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا لَكِنَّهُ يَعُودُ تَائِباً يَرْجُو أَنْ يَحْظِيَ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ ، يَقُولُ :

قَدَمِي اعْتَوِراً رَمَلَ الْكُثِيبِ	وَاطْرِقَا الْآجِنَ مِنْ مَاءِ الْقَلِيبِ
رُبَّ يَوْمٍ رَحِمًا فِيهِ عَلَى	زَهْرَةِ الدُّنْيَا فِي وَادٍ خَصِيبِ
وَسَمَاعٍ حَسَنٍ مِنْ حَسَنٍ	صَحْبَ الْمَزْهَرِ كَالنَّبِيِّ الرَّيِّبِ
فَاحْسِبَا ذَاكَ بِهَذَا وَاصْبِرَا	وَخُذَا مِنْ كُلِّ فَنٍ بِنَصِيبِ
إِنَّمَا أَمْشِي لِأَنِّي مُذْنَبٌ	فَلَعَلَّ اللَّهَ يَعْفُو عَنِّي ذُنُوبِي (٢)

ويقابلنا في هذا العصر زعيم شعر الزهد ، وسلطان دولته ، أبو العتاهية ، (ت ٢١١هـ) -

وإن شكك بعضهم في حقيقة زهده - إلا أننا أمام نصوص وشواهد نقف أمامها بما يشيع فيها

من روح المناجاة والرجاء الخالص للخالق - الكريم - ، والإقرار بالذنب ، فيقول :

إِلَهِي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي	مُقَرَّبٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
وَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي	وَعَفْوُكَ - إِنَّ عَفْوَتَ - وَحُسْنُ ظَنِّي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْبِرَايَا	وَأَنْتَ عَلَى ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا	عَضَضْتُ أُنَامِلِي وَقَرَعْتُ سَنِّي
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْراً ، وَإِنِّي	لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

(١) هو سعيد بن وهب البصري ، كان خليعاً ماجناً سلك طريق اللُّهُو في بداية حياته ، ثم تاب وحج ماشياً . ترجمته :

في الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ٢١ ، ص ٦٩ ، والبغداددي : " تاريخ بغداد " ، ج ٩ ، ص ٧٣ وما بعدها .

وابن الجوزي : " صفة الصفوة " ، ج ٢١ ، ص ٦٩ .

(٢) الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ٢١ ، ص ٦٩ .

أَجْنُ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأُفْنِي الْعُمْرِ فِيهَا بِالتَّمَنِّي (١)

وهو عبد مؤمن برّبه يرجو أن يغفر له ذنوبه الجمّة ، وأن يسترها له ، فيقول :

يَا رَبِّ إِنِّي لَكَ فِي كُلِّ مَا قَدَرْتُ عَبْدٌ آمِلٌ شَاكِرٌ
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي إِنَّهَا جَمَّةٌ وَاسْتُرْ خَطَايِي إِنَّكَ السَّاتِرُ (٢)

وروي عن الأصمعي (ت ٢١٦هـ) قوله : " بينما أنا أسير في طريق اليمن ، وإذا أنا بـغلام

واقف في الطريق يمجّد الله بهذه الأبيان ، فيقول :

يَا فَاطَرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ ، وَكَافِلًا رِزْقَ الْجَمِيعِ ، سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
يَا مُسْبِغَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَ مُسْبِلَ السُّتْرِ الْجَمِيلِ ، عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
عَظُمْتَ صِفَاتُكَ - يَا عَظِيمُ - فَجَلَّ أَنْ يُحْصِيَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ وَتَوَالِهِ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
تَعْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكَ دَائِمًا مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسَاهِلُ
مُتَفَضِّلُ أَبَدًا ، وَأَنْتَ لِحُجُودِهِ بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ ، وَأَظْلَمَتْ سُبُلُ الْخُلَاصِ ، وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ ؛ فَمَا لَهَا سَبَبٌ وَلَا يَدُؤُ لَهَا مُتَنَاوِلُ
يَأْتِيكَ مِنَ الْطَّافَةِ الْفَرَجُ الَّذِي لَمْ تَحْتَسِبْهُ ، وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْفَى إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلُ
وَمَنْ اسْتَرَاخَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ ، أَوْ رَجَا أَحَدًا سِوَاكَ ، فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ
رَأْيِي يُلِمُّ ، إِذَا عَرِثَهُ مُلِمَّةٌ بِسِوَى جَنَابِكَ ، فَهُوَ رَأْيِي مَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ - عَمَلٌ - وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيْنٌ وَإِذَا حَصَلْتَ ، فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ

(١) "أبو العتاهية أشعاره وأخباره" ، عني بتحقيقها : د . شكري فيصل ، (دمشق : جامعة دمشق ،

١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ، ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

ويعترف الشاعر بأنه عبد سوء أبق على مولاه ، حامل لأوزاره التي أثقلت ظهره
وسودت صحائفه المملوءة بالذنوب ، يقول :

أَنَا عَبْدُ سُوءٍ أَبَقَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ لِأَوْزَارِ الْكِبَائِرِ حَامِلُ
قَدْ أَثْقَلْتُ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَّدَتْ صُحُفِي الْعُيُوبُ ، وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ^(١)

ويعود إلى ربه حسن الظنّ به ، ساكباً دموع الندم راجياً أن يغفر له ما مضى منه وأن
يوفقه لبلوغ رضاه ، قائلاً :

هَآ قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي وَوَسَائِلِي : نَدَمٌ ، وَدَمْعٌ سَائِلُ
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى ، وَارْزُقْهُ تَوْ فَيَقَا لِمَا تَرْضَى ، فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَافْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ وَالظَّنَّ - كُلَّ الظَّنِّ - أَنْكَ فَاعِلُ^(٢)

وفي هذه الأبيات يتضح معنى الرجاء على قدر كبير ، فالشاعر لا يلبث أن يفيق من
سكرته ويؤوب إلى ربه طالباً رضاه عنه ، خائفاً يخشى ذنوبه التي اقترفها في حياته ، طامعاً في
عفو الله وتوفيقه لما يحبه ويرضاه .

إبراهيم بن المهدي (ت ٢٤٤هـ) : ^(٣)

يعترف بظلمه ، مقرأً بذنبه الذي وقع فيه ، مستغفراً ربه ، يقول :

ظَلَمْتُ فَإِنْ قُلْتُ لَا بَلْ ظَلَمْتُ _____ تُفَانِي أَنَا الْكَذِبُ الْآثِمُ
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ زَلَّتِي فَإِنِّي مِنْ جُرْمِهَا وَاجِمُ
عَصَيْتُ وَتُبْتُ كَمَا قَدْ عَصَى وَتَابَ إِلَى رَبِّهِ آدَمُ
فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَتْرُبُ _____ نَفَقْدَ يَغْفِرُ الرَّاحِمُ

(١) (الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى : " حياة الحيوان الكبرى " ، اعتنى بتصحيحها : الشيخ عبد اللطيف

بيته ، ط (٢) ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٢) (المصدر السابق : ج ١ ، ص ٤٩٧ .

(٣) (هو أبو إسحاق إبراهيم بن الخليفة المهدي ، بويغ بالخلافة في عهد المأمون ، وكان منصرفاً إلى الغناء والعزف
والشعر ، سجن لفحشه في الهجاء ، ثم أطلق ، له شعر متنوع الأغراض ، وشيء من الرسائل الإخوانية .

ترجمته في : الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ١٠ ، ص ٦٩-٧٠ ، والبغداد : " تاريخ بغداد " ، ج ٦ ، ص ١٤٢-١٤٨

وابن خلكان : " وفيات الأعيان " ، ج ١ ، ص ١٢-١٤ .

فَلَسْتُ إِلَى زَلَّةٍ عَائِدًا يَدَ الدَّهْرِ مَا قَعَدَ الْقَائِمُ^(١)
يحيى بن معاذ (ت ٢٥٨هـ) :

يشكو إلى الله ذنوبه ، راجياً منه أن يغفرها له قبل يوم الحشر ، يقول :
أَشْكُو إِلَيْكَ ذُنُوبًا لَسْتُ أُنْكِرُهَا وَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا ذَا الْمَنِّ تَغْفِرُهَا
مِنْ قَبْلِ سُؤْلِكَ لِي فِي الْحَشْرِ يَا أَمَلِي يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَهْوَالِ تَذْكُرُهَا
أَرْجُوكَ تَغْفِرُهَا فِي الْحَشْرِ يَا أَمَلِي إِذْ كُنْتُ سُؤْلِي كَمَا فِي الْأَرْضِ تَسْتُرُهَا^(٢)

ويدعو ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) الواحد الصمد في ظلمة الليل منفرداً بنفسه شاعراً بلذة
المناجاة بحرقات تلذع كبده من مخافة الله راجياً عفوه ، فيقول :

بَاتَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الصَّمَدَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْفَرِدَا
كَلِمَامَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ فَاطَّرِدَا
قَائِلٌ : يَا مُنْتَهَى أَمَلِي نَجِنِي مِمَّا أَخَافُ غَدَا
أَنَا عَبْدٌ غَرَّنِي أَمَلِي وَكَأَنَّ الْمَوْتَ قَدْ وَرَدَا
وَحَطِيئَاتِي الَّتِي سَلَفَتْ لَسْتُ أَحْصِي بَعْضَهَا عَدَا
وَيَحَ عَيْنِي سَاءَ مَا نَظَرْتُ وَيَحَ قَلْبِي سَاءَ مَا اعْتَقَدَا^(٣)

ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) :

في رثائه للخليفة المعتضد بقصيدته الدالية التي مطلعها :

(١) الصولي : " الأوراق " ، ص ٢١ .

(٢) الأصبهاني : أحمد بن عبد الله " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " ، ط (٢) ، (بيروت : دار الكتاب العربي ،

١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ، ج ١٠ ، ص ٦٣ .

(٣) " ديوان ابن الرومي " ، تحقيق : د . حسين نصار وآخرون ، (القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٤م) ، ج ٢ ،

ص ٧٧٦ - ٧٧٧ .

وَأَنْتَ وَالِدُ سَوْءٍ تَأْكُلُ الْوَلَدَ^(١)

يَا دَهْرُ وَيْحَكَ مَا أَبْقَيْتَ لِي أَحَدًا

يستغفر الله ربه راضياً بقدره ، يقول :

رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَاحِدًا صَمَدًا^(٢)

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلْ ذَا كُلُّهُ قَدَرٌ

ويلجأ محمد الفارابي إلى الله مقراً بذنبه راجياً مغفرته ، حيث يقول :

فِي وَسْطِهِنَّ مِنَ الثَّرَى وَالْأَبْحُرِ

رَبِّ السَّمَوَاتِ الطَّبَاقِ وَمُرَكَّزٍ

فَاغْفِرْ خَطِيئَةَ مُذْنِبٍ وَمُقَصِّرٍ

إِنِّي دَعَوْتُكَ مُسْتَجِيرًا مُذْنِبًا

كَدَّرِ الطَّبِيعَةَ وَالْعَنَا صِرَ غُصْرِي^(٣)

هَذَّبَ بَفِيضٍ مِنْكَ رَبَّ الْكُلِّ مِنْ

ويأمل أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) ، في ختام حياته في عفو الله عنه ، يقول :

مَا هُوَ إِلَّا الْغَدْرُ وَالْجَهْلُ

حَانَ رَحِيلُ النَّفْسِ عَنْ عَالَمٍ

فَكُلُّ مَا لَاقَيْتُهُ سَهْلٌ^(٤)

إِنْ خَتَمَ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ

وللقائم بأمر الله الفاطمي (ت ٤٦٧هـ)^(٥) ، مناجاة يقر فيها بذنوبه داعياً الله أن يمن عليه

بالمغفرة والعفو عن سيئاته ، يقول :

فِي السَّيِّئَاتِ لَهُ وَرِدٌّ وَإِصْدَارٌ

يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ الْعَفْوُ عَنْ غَرَقٍ

عِلْمًا بِأَنَّكَ لِلْعَاصِينَ غَفَّارٌ

هَانَتْ عَلَيْهِ مَعَاصِيهِ الَّتِي عَظُمَتْ

يَا مَنْ لَهُ الْعَفْوُ وَالْجَنَاتُ وَ النَّارُ^(٦)

فَإَمْنٌ عَلَيَّ وَ سَاحْنِي وَ خُذْ بِيَدِي

(١) " شعر ابن المعتز " ، دراسة وتحقيق : د . يونس السامرائي ، (العراق : وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨ م) ،

ج ٣ ، ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٩ .

(٣) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، تحقيق : هلموت ريتز ، ط (٢) ، (المانيا : دار فرانز شتاينر ، ١٣٨١ هـ —

١٩٦٢ م) ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٤) " اللزوميات " ، (بيروت : دار صادر ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٨٣ .

(٥) هو أمير المؤمنين عبد الله بن أحمد بن القادر بالله ، كان كثير الحلم والحياء ، فصيح اللسان ، أديباً وخطيباً وشاعراً

دامت دولته خمساً وأربعين سنة . ترجمته في : البغدادي : " تاريخ بغداد " ، ج ٩ ، ص ٣٩٩-٤٠٤ ، والعماد

الأصفهاني : " خريدة القصر وجريدة العصر — القسم العراقي — " ، ج ١ ، ص ٢٢-٢٤ ، والياضي : " مرآة

الجنان " ج ٣ ، ص ٩٤ .

(٦) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ١٧ ، ص ٢١ .

والأشقر (ت ٤٧٨هـ) ^(١)، يرجو من الله أن يحط عنه ثقل ذنوبه، ويغفرها له، يقول:

إلهي حَاجَاتِي إِلَيْكَ كَثِيرَةٌ وَأَنْتَ بِحَالِي عَالِمٌ وَخَبِيرٌ
وَأَنْتَ رَحِيمٌ بِالْبَرِيَّةِ فَاقْضِهَا جَمِيعاً وَذَا سَهْلٌ عَلَيْكَ يَسِيرٌ
ذُنُوبِي ذُنُوبِي حُطَّ عَنِّي ثَقُلْهَا فَقَدْ أَثْقَلْتَ ظَهْرِي وَأَنْتَ غَفُورٌ ^(٢)

محمد السنيسي (ت ٥١٥هـ) ^(٣) يناجي ربه وهو فقير إلى رحمته ومغفرته، يقول:

يَا رَبِّ إِنْ كُنْتُ الْجَدِيرَ بِجَفْوَةٍ فَأَنْتَ بِإِحْسَانٍ إِلَيَّ جَدِيرٌ
وَأِنْ كُنْتُ عَنْ شُكْرِي غَنِيًّا وَطَاعَتِي فَإِنِّي إِلَى الْغُفْرَانِ مِنْكَ فَقِيرٌ ^(٤)

و مما نسب لجار الله الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)، يرجو الله أن يغفر له ذنوبه التي اقترفها
زمن شبابه يقول:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحُهَا فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ
وَيَرَى عُرُوقَ نَيَاطِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمُخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النَّحْلِ
أَغْفِرْ لِعَبْدٍ تَابَ مِنْ فِرَاطِهِ مَا كَانَ مِنْهُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ^(٥)
ويقول أيضاً:

يَا رَبِّ قَدْ نَصَحْتَ لِعَبْدِكَ تَوْبَةً فَأَغْفِرْ لَهُ مُتَطَوِّلاً مَا تَعْلَمُ ^(٦)

(١) هو أبو سعد أو أبو عبد الرحمن عمر بن الحاكم الأشقر، الفقيه، عالم ثقة، وشاعر زاهد، له مقطعات حلوة مقصورة على الزهد. ترجمته في: الصفدي: "الوافي بالوفيات"، ج ٢٢، ص ٤٨٣، والباخرزي: "دمية القصر"، ج ٢، ص ٢٦١.

(٢) انظر: الصفدي: "الوافي بالوفيات"، ج ٢٢، ص ٤٨٣.

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن خليفة بن محمد السنيسي الأنباري، من شعراء سيف الدولة صدقة بن منصور، كان مسبوك النقد، جيد الشعر، مليح الكلام، حسن النظم.

ترجمته في: ابن الأبار: "الحلة السيرة"، ج ٢، ص ٣٠٣-٣٠٩، والصفدي: "الوافي بالوفيات"، ج ٣، ص ٤٨، والكتبي: "فوات الوفيات"، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٤) انظر ابن الأبار: "الحلة السيرة"، ج ٢، ص ٢٠٧.

(٥) عمرو، علي بن عبد الله: "تحقيق ديوان الزمخشري ودراسة لشعره"، رسالة دكتوراه، (القاهرة: جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية - قسم الأدب النقد - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٦٤٢. "مما نسب إليه وليس في الديوان".

(٦) "ديوان الزمخشري"، ج ٢، ص ٢٠٧.

أما أبو الفرج بن نبهان (ت ٥٨٠هـ) ^(١) فيتوب إلى الله من قول الشعر ، راجياً منه أن

يمحو ذنوبه وإثم ما نظمه من كذب ، يقول :

تركتُ القريضَ لمن قاله وجُودَ فلانٍ و أَفضالُه
وُتبتُ من الشعرِ لَمَّا رَأَيْتُ كَسَادَ القريضِ وإهمالُه
وَعُدْتُ إلى مَنْزِلِي واثقاً بِرَبِّ يَرَى الخلقَ سَوَالُه
فَنَجُلُ بنِ نبهانٍ يَرْجُو الإلهَ يُمَحِّصَ عَنْهُ الذي قاله
مِنَ الكَذِبِ في نَظْمِهِ للقريضِ فَرَبِّي كَرِيمٌ لِمَنْ سَأَلَه ^(٢)

ونلمح عند الصرصري (ت ٦٥٦هـ) ، - شاعر المدائح النبوية - هذا الجانب ، إذ يرجو من

الله أن يعفو عنه، وعن ذنبه الذي اقترفه أيام صباه ، و أن ينجيه من عذاب النار ، يقول :

أَقْلَ عَشْرَتِي وَاغْفُ يَا حَسَنَ الْعَفْوِ عَنْ الْعَمْدِ مِنْ مَسْطُورِ ذَنْبِي وِ اللّٰهُو
فَكَمْ لِي مِنْ سُوءِ اجْتِرَاحِ نَسِيْتِهِ وَأَحْصَاءِ مَخْرُوسِ الْحِفَاطِ مِنَ السَّهْوِ
شَقِيتُ بِهِ أَيَّامَ أَمْرُحٍ فِي الصَّبَا وَ أَسْحَبُ أَذْيَالِ الْبَطَالَةِ وِ اللّٰهُو
فَإِنِّي مُقِرٌّ أَنَّكَ اللَّهُ رَبُّنَا تَعَالَيْتَ عَنْ شِرْكَ الطُّغَاةِ أُولِي الْعَدُو
فَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْحِسَابِ وَنَجِّنِي بِفَضْلِكَ مِنْ نَارٍ تَلْظِي بِلا خَبْو ^(٣)

وهو حين يمسه الضر - بسبب ذنوبه - يلجأ إلى ربه مستغفراً راجياً صفحه ، يقول :

مَسَّنِي ضَرٌّ غَطَاءٌ سَاتِرٌ مِنْ ذُنُوبٍ غَادَرَتْ قَلْبِي كَلِيلًا
أَنَا مِنْهَا تَائِبٌ مُسْتَغْفِرٌ فَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ لِي صَفْحًا جَمِيلًا ^(٤)

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد الكاتب الشاعر بديوان الخلافة ، من أهل الكرخ ، من أولاد الرؤساء المحدثين ، كان

ينشد في التهاني والتعازي . ترجمته في : الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٠١ . القريض : " الشعر ، و القرض : قبول الشعر خاصة .

ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٧ ، ص ٢١٨

(٣) " ديوان الخليل المقدر جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري " ، (مكة : جامعة أم القرى ، مركز

البحث وإحياء التراث الإسلامي ، مخطوط رقم ١٠٠ ، أدب) ، بدون ترقيم .

(٤) " ديوان الصرصري " ، بدون ترقيم .

وابن الحسام (ت ٧٤٩هـ) ^(١) تنقله الخطايا ، ولا يجد خلاصاً له منها سوى الرجوع إلى ربه ، راجياً عفوه ، خائفاً من أسر ذنوبه ، حيث يقول :

يَا سَائِلِي كَيْفَ حَالِي فِي مُرَاقَبَتِي وَمَا الْعَقِيدَةُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
أَخَافُ ذَنْبِي وَأَرْجُو الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتِي فَأَنْظُرُ فَبَيْنَ الرَّجَا وَالْخَوْفِ تَلْقَانِي
أما ذنوبه التي أثقلت كاهله ، فلا خلاص له منها ، إلاّ بصفح الله عنه ، ومغفرته ، يقول :

قَدْ أَثْقَلْتَنِي الْخَطَايَا فَكَيْفَ أَخْلَصُ مِنْهَا
يَا رَبِّ فَاعْفِرْ ذُنُوبِي واصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهَا
وهو يخشى مما سطر في كتابه ، لذا يرجو الله القدير أن يجود عليه بالعفو عنه ، فيقول :

يَا مَنْ عَلَيْهِ إِتْكَالِي وَمَنْ إِلَيْهِ مَآبِي
جُدْ لِي بِعَفْوِكَ عَنِّي إِذَا أَخَذْتَ كِتَابِي ^(٢)

وصفي الدين الحلبي (ت ٧٥٢هـ) ، يُقرّ بذنبه آملاً في عفو الله وصفحه ، يقول :

أَمْسَيْتُ ذَا ضُرٍّ وَفِي يَدِكَ الشِّفَا لَمَّا غَدَوْتُ مِنَ الذُّنُوبِ عَلَى شِفَا
وَعَلِمْتُ أَنَّ الصَّفْحَ مِنْكَ مُؤَمَّلٌ والعفو مرجوٌ لَدَيْكَ لِمَنْ هَفَا
فَجَعَلْتُ عُذْرِي الْاعْتِرَافُ بِزَلَّتِي إِذْ مَا بِهَا فِي طَيِّ عِلْمِكَ مِنْ خَفَا
وهو متقلب في نعمة الله ، وعفوه أقرب إليه ، متعجباً من خطاياہ راضياً بقضائه ، يقول :

الْعَفْوُ مِنْكَ مِنْ اعْتِذَارِي أَقْرَبُ وَالصَّفْحَ عَنْ زَلَّتِي بِحِلْمِكَ أَنْسَبُ
عُذْرِي صَرِيحٌ غَيْرَ أَنِّي مُقَسِّمٌ لَا قُلْتُ عُذْرًا غَيْرَ أَنِّي مُذْنِبُ
يَا مَنْ نَمْتُ إِلَى عُلَاهُ بِأَنَّنَا فِي طَيِّ نِعْمَةِ مُلْكِهِ نَتَقَلَّبُ
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ وَقُوعِ خَطِيئَتِي وَلَنْ جُزِيتُ بِهَا ، فَذَلِكَ أَعْجَبُ ^(٣)

وهو طامع في عفو الله عما اقترفه من ذنوب ، يقول :

طَمَعْتُ بِعَفْوِكَ مِنْكَ عَمَّا اقْتَرَفْتُهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي طَيِّ حِلْمِكَ قَدْرُ

(١) هو الشاعر زين الدين أبو حفص عمر بن أقرش الدمشقي الشافعي ، المعروف بالافتخاري ، فيه تردّد كثير ،

وحسن صحبة ، وطهارة لسان . ترجمته في : الصفدي " الوافي بالوفيات " ، ج ٢٢ ، ص ٤٣٧ وما بعدها .

(٢) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٢٢ ، ص ٤٣٧ وما بعدها .

(٤) " ديوان صفي الدين الحلبي " ، (بيروت : دار بيروت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ، ص ٦١٦ .

وقلت : بأن البحر لا يحمل القذى
وأبدت إقراراً بذنبي لأنه

وَمَا شَكَ خَلْقٌ وَاحِدٌ أَنَّكَ الْبَحْرُ
به يثبت الإنصاف والثوب والعذر^(١)

وذنبه العظيم لا يمحوه إلا الحليم الذي وعد عباده بالمغفرة والرحمة ، قائلاً :

يَا رَبِّ ذَنْبِي عَظِيمٌ وَأَنْتَ عَنِّي حَلِيمٌ
بَلْ غَرَّبَنِي مِنْكَ وَعَدٌ لَهُ الْأَنَامُ تَرْوِمُ
إِذْ قُلْتَ : فِي الذِّكْرِ لِلْمُصْطَفَى ، وَأَنْتَ كَرِيمٌ
نَبَّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٢)

ويناجي ربه أن يعفو عنه ، وحسبه في ذلك حسن ظنه بربه ، يقول :

يَا رَبِّ إِنْ كَانَ ذَنْبِي خِلَافَ إِخْلَاصِ قَلْبِي
فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِحُسْنِ ظَنِّي بِرَبِّي
مَا لِي إِلَيْكَ شَفِيعٌ إِلَّا أَعْتَرَفِي بِذَنْبِي
وَلَيْسَ حَسْبِي إِلَّا بِأَنْ عَفَوَكَ حَسْبِي^(٣)

جانب النفس الإنسانية :

تكرر ذكر النفس الإنسانية في القرآن الكريم ، وتصوير أحوالها وصفاتها .

والنفس في اللغة : بمعنى " الروح " .^(٤)

وفي الشرع المراد بها : " ذات الإنسان روحاً وجسماً " ^(٥) قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ^(٦) وتطلق في القرآن الكريم على الذات الإنسانية أو الروح وحدها ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَمَى النَّفْسَ عَنْ

(١) " ديوان صفى الدين الحلي " ، ص ٦١٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٧١ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٦٧٢ .

(٤) ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٦ ، ص ٢٣٣ ، مادة " نفس " .

(٥) المقرئ التلمساني ، أحمد محمد : " تربية النفس الإنسانية في ظل القرآن الكريم " ، (جلد : دار حافظ

١٤١٩ هـ - ١٩٨٩ م) ، ص ٤٦

(٦) سورة النحل ، آية : (١١١) .

الهوى ﴿١﴾ وقد تكون بمعنى الروح أو الذات الإنسانية - جسم وروح - أو العقل ، وهو الجانب المدرك من الإنسان وبتدكيته وإصلاحها وتهذيبها ، أو انحطاطها واتباعها لشهواتها ونوازعها يحكم عليها بالفلاح في الآخرة أو الخيبة والانتكاس . قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٢) . بل إنها مكلفة مسؤولة عن أعمالها ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَّنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (٣) ، ووصفها القرآن العظيم بعدة صفات على حسب حالها .

أولاً - النفس الأمارة بالسوء :

وهي الأمارة لصاحبها بالسوء من القول والعمل ، ومطاوعة الهوى ، متكالبة على اتباع الشهوات و اللذائذ مدعنة للدواعي الشيطانية ؛ ولذلك كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستغيد من شرورها في خطبة الوداع ، فيقول : (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا) (٤) .

وأكد الله - سبحانه وتعالى - هذه الصفة على لسان امرأة العزيز ، في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٥)

(١) سورة المدثر ، آية (٣٨) ، و سورة النازعات ، آية : (٤٠) .

(٢) سورة الشمس ، الآيات : (٧ - ١٠) .

(٣) سورة الإسراء ، الآيتان : (١٤ - ١٥) .

(٤) صفوت ، أحمد زكي : " جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة " ، ط (١) ، (بيروت : المكتبة العلمية ،

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م) ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٥) سورة يوسف ، آية (٥٣) .

ثانيا - النَّفْسُ الْوَّامَّةُ :

و هي اللائمة لصاحبها على تفريطه و تقصيره ، فهي إما أن تكون ملومة ، و هي الجاهلة الظالمة التي يلومها الله و ملائكته على تقصيرها ، أو تكون لوامة غير ملومة و هي التي تلوم صاحبها على تقصيره و ارتكابه المعاصي ، و قد أقسم الله بها في كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ الْوَّامَّةِ ﴾ (١) ، و لا يصل المرء بها إلى الكمال إلا إذا سعى بها إلى طريق الله وحده مستعينا بربه مخلصا للثبة ، تحفها رحمة الله و عنايته ، يقول أبو ذؤيب الهذلي (ت ٢٨ هـ) :

و النَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا و إِذَا ثُرِدُ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ (٢)

و مع مداومة اللوم و محاسبة النفس تراها في الخير ترفل في سكينه ، و تسير بمقتضى الإيمان و التوبة و الإنابة ، آملة في الله ، و هذه هي "النفس المطمئنة " البعيدة عن اتباع الهوى و الشهوات قد صاح أمرها ، و أفادت من الابتلاء مستجيبة لأوامر الله تعالى راضية بما اقتضاه الله لها مرضية لربها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (٣) هذا و قد فطرت النفس الإنسانية على الضعف و البخل و الشح و الجهل ، و هي صفات تتميز بها عن سائر المخلوقات ن ابتليت بها لحكمة إلهية لا تزول عنها إلا بالمجاهدة و محاسبة النفس ، و مراقبة الله في سرها و علنها ، و مقاومة رغباتها و نزعاتها ، و هذا أمرٌ صعبٌ جداً حتى عدّ جهادا ، قال تعالى : ﴿ وَ مَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤)

(١) سورة القيامة ، آية : (٢) .

(٢) الشملان ، نوره : " أبو ذؤيب الهذلي حياته و شعره " ، ط (١) ، (الرياض : جامعة الرياض ، ١٩٧٨ م) ، ص ٥٦

(٣) سورة الفجر ، الآيات : (٢٧ - ٣٠) .

(٤) سورة العنكبوت ، آية : (٦) .

فهذا أبو نواس ينكر على نفسه تشبثها بالحياة الفانية و اغترارها بالأمل الكاذب
داعيا لها إلى التوبة و طلب المغفرة من غفّار الذنوب قبل فوات الأوان ، يقول :

حَتَّى مَتَى يَا نَفْسُ تَغْتَرِينَ بِالْأَمَلِ الْكَذُوبِ ؟
يَا نَفْسُ تُوْبِي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْتَطِيعِي أَنْ تَتُوبِي

وَ اسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ الرَّ
إِنَّ الْحَوَادِثَ كَالرِّيحِ
وَالْمَوْتَ شَرٌّ وَ أَحَدٌ
وَالسَّعْيُ فِي طَلَبِ الثَّقَى
حَمَنَ غَفَّارِ الذُّنُوبِ
عَلَيْكَ دَائِمَةُ الْهُبُوبِ
وَ الْخَلْقُ مُخْتَلَفُوا الضُّرُوبِ
مِنْ خَيْرِ مَكْسَبَةِ الْكُسُوبِ^(١)

أما أبو تمام (ت ٢٣٢هـ) ، فيخاطب نفسه حين مالت تصغي إليه ويحدثها بما يخطر في
قلبه من ذكريات وتأمل في توالي الليالي التي تقربه إلى قبره وحتفه ، ويتمنى الشاعر لو بقى

رفاتا بعد موته لا عليه ولا له من ذنوب يحاسب عليها ، يقول :

أَقُولُ لِنَفْسِي حِينَ مَالَتْ بِصَغْوِهَا
هَبْنِي مِنَ الدُّنْيَا ظَفِرْتُ بِكُلِّ مَا
أَلَيْسَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي بِمُهْجَتِي
وَمَسْكِنَتِي لَحْدًا لَدَى حُفْرَةٍ ؛ بِهَا
كَمَا أَسْكَنْتَ سَامًا ، وَحَامًا ، وَيَا فِتْنًا
فَقَدْ أَنْسَتَ بِالْمَوْتِ نَفْسِي ؛ لِأَنِّي
فِيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي ، وَمَبْعَثِي
إِلَى خَطَرَاتٍ قَدْ نَتَجَنَّ أَمَانِيَا
تَمَنَيْتُ أَوْ أُعْطِيتُ فَوْقَ أَمَانِيَا
كَمَا غَضِبْتَ قَبْلِي الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا؟
يَطُولُ إِلَى أُخْرَى اللَّيَالِي ثَوَائِيَا
وَنُوحًا ، وَمَنْ أَضْحَى بِمَكَّةَ ثَاوِيَا
رَأَيْتُ الْمَنَايَا يَخْتَرِمْنَ حَيَاتِيَا
أَكُونُ رَفَاتًا ، لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٢)

فالشاعر بعد أن شعر بدنو أجله أخذ يتأمل ويتفكر في توالي الأيام وما حلّ بالأمم السابقة
وهذا التأمل والتفكير دفعه إلى تذكر مصيره الحتمي بعد ما حصل على كل ما تمناه ، وأعطى
فوق ذلك ، و يسلي نفسه لتأنس بذكر الموت و لا تهابه بل تستعد له ، فهو مصيرها

(١) " ديوانه أبي نواس " ص ٦١٦

(٢) " ديوان أبي تمام " : بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : د . محمد عبده عزّام ، (القاهرة : دار المعارف ،

١٩٦٥م) ج ٤ ، ص ٦٠٠-٦٠٢ .

الذي لا مفر منه .

وابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، يتوجه أيضاً بالخطاب إلى نفسه الأُمارة بالسَّوء بعد ما أتلفته بالذنوب طالباً منها أن تكف عن هواها ، وتتوب إلى الله ، قائلاً :

أَيَا نَفْسٍ قَدْ أَتْلَفْتَنِي بِذُنُوبِي أَيَا نَفْسٍ كُفِّي عَنْ هَوَاكِ وَتُوبِي^(١)

ويدعوها إلى المسارعة بالتَّوبَة وتقدم فعال الصالحين ، يقول :

يَا نَفْسُ مَا الدَّهْرُ إِلَّا مَا عَلِمْتَ فَكَمْ أَلَسْتُ حَدَّثْتَنِي أَنْ أَتُوبَ فَلَمْ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْ سَوْفٍ فَكَمْ خَدَعْتَ وَ أَهْلَكْتَ أُمَمًا مِنْ قَبْلِنَا وَ أُمَمٍ
إِذَا دُعِيَ إِلَى التَّقْوَى صَمَمَتْ وَإِنْ نَادَاكَ دَاعِيَ الْهَوَى وَالْغِي قُلْتَ : نَعَمْ
تُوبِي يَكُنْ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ جَاهٌ تَقَى وَقَدَّمِي مِنْ فِعَالِ الصَّالِحِينَ قَدَمْ^(٢)

والرضا بما قسمه الله لها يجعلها تعيش عزيزة غنية أبداً ، ويدعوها لترك المطامع والأمان ، فهي مجلبة كل منية ، قائلاً لها :

أَلَا يَا نَفْسُ إِنْ تَرْضِي بِقُوتٍ فَأَنْتِ عَزِيزَةٌ أَبَدًا غَنِيَّةٌ
دَعِي عَنْكَ الْمَطَامِعَ وَالْأَمَانِي فَكَمْ أُمْنِيَّةٌ جَلَبَتْ مِنْيْهِ^(٣)

جانب الندم ومحاربة إغواء الشيطان :

في اللسان : " نَدِمَ عَلَى الشَّيْءِ وَنَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَ نَدَمًا وَنَدَامَةً وَتَنَدَّمَ : أَسَفَ ، وفي الحديث : (الندم توبة)^(٤) ، ومن سمات التائب وشروط التوبة : الندم على ما أصابه العبد من الذنوب والمعاصي إما على قولٍ تلفظ به أو فعل قام به في حالة الغفلة والجهل في المرحلة الأولى من عمره ، ويتحسر على مضي العمر ، وفناء الشباب إذ لم يتزود فيه بالأعمال الصالحة ، وهذا إنما يحصل عندما يشعر المذنب بدنو الأجل - إما لكبر بلغه أو مرض أصابه - وفي هذه المرحلة ، وهذه اليقظة التي أصابته يحاول محاربة إغواء الشيطان له ليرجع عن الطريق الذي

(١) " شعر ابن المعتز " ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .

(٢) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٤) ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ١٢ ، ص ٥٧٢ ، مادة " ندم " .

سلكه وارتنضاه لنفسه ، وأغواه الشيطان بالتسويق في التوبة وطول عمره ليبالغ الإنسان في اشتغاله بملاهي الحياة الفانية وزخارفها وزينتها الزائفة ، ويترك العمل والاستعداد للموت والآخرة.

والأسف : " المبالغة في الحزن والغضب ، وقد أسف على ما فات ، وتأسف أي تلهف ، وأسف عليه أسفاً ، أي غضب ، كقوله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾ ^(١) ، والأسف عند العرب : الحزن ، وقيل : أشد الحزن ، وقد يكون بمعنى الجزع على ما فات ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴾ ^(٢) ، أي : يا جزعه ^(٣) . والحسرة : " أشد الندم " ، وقال - عز وجل - ﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ ^(٤) أي : حسرة وتحسراً . ^(٥)

فهذا يزيد العقيلي ^(٦) يندم على ما كان يعمل في الأيام الأولى من حياته ، إذ كان يسرق الإبل ثم تاب من ذنبه ، يقول :

أَلَا قُلْ لِّلرَّيَّابِ الْمُخَاطَضِ أَهْمِلُوا
وَأِنْ أَمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا
فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْمَلُونَ يَزِيدُ
تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدٌ ^(٧)

فالسعيد من تاب من أعماله السيئة ، ونجا من عذاب النار

وبشار بن برد ، يندم على قبلة نالها وهو جاهل ذاهب العقل ، يقول :

تَنَاوَلْتُ مَا لَمْ أُرِدْ نَيْلُهُ
وَوَالِلَهُ وَاللَّهُ مَا جِئْتُهُ
عَلَى جَهْلٍ أَمْرِي وَفِي سَكْرَتِي
لِعَمْدٍ وَمَا كَانَ مِنْ هِمَّتِي

(١) سورة الأعراف ، آية : (١٥٠) ، وسورة طه ، آية : (٨٦) .

(٢) سورة يوسف ، آية : (٨٤) .

(٣) ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٩ ، ص ٥٥ ، مادة " أسف " .

(٤) سورة فاطر ، آية : (٨) .

(٥) ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٤ ، ص ١٨٩ ، مادة " حسر " .

(٦) هو يزيد بن الصقيل العقيلي ، كان يسرق الإبل ، ثم تاب ، وقُتل في سبيل الله . ترجمته في : المبرد " الكامل في

اللغة والأدب " ، تحقيق : لجنة من المحققين ، ط (١) ، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) ، ج ١ ، ص ٥٧ .

(٧) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٥٧ .

فَمَنْ نَالَ خَيْرًا عَلَى قُبْلَةٍ فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قُبْلَتِي (١)

أما أبو نواس، فبعد أن شعر بدنو أجله، أخذ يردد حسراته على ما قدّم وفرّط في جنب الله، يقول أبو هفان في أخباره عن أبي نواس، حين اشتد وجعه فعاده غلام كان يكتب أشعاره، فقال له: "يا أبا نواس كيف تجدك؟ قال: أجدي في الحق فإننا لله وإنّا إليه راجعون، على ما قدمت، ويا حسرتي على ما فرّطت في جنب الله ثم أنشد:

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ عُلُوءًا وَسَفَلًا وَأَرَانِي أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ يَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرَّهَا فِي جُزْوَ
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةِ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نَضْوًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ تَجَاوَزَتْهُنَّ لَعِبَاءٌ وَلَهْوًا (٢)

جانب الدعوة إلى التوبة :

والمراد به حث النفس أو الغير على التوبة، ودعوته إلى المسارعة إليها قبل فوات الأوان ومضي الوقت، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٣). فيوجهه إلى الطريق المستقيم عن طريق نصحه وإرشاده وإيقاظه من غفلته، فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري (٤) - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) (٥).

(١) "ديوان بشار بن برد"، ص ٥٤.

(٢) د. الزبيدي، على أحمد: "زهديات أبي نواس"، (القاهرة: مطبعة كوستا تسوماس وشركاه، ١٩٥٩م)، ص ٩١.

(٣) سورة الشعراء، الآيتان: (٨٨ - ٨٩).

(٤) هو تميم بن أوس الداري، أسلم في السنة التاسعة من الهجرة، كان يسكن المدينة ثم انتقل إلى الشام - بعد مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فنزل بيت المقدس، وهو أول من أسرج السراج بالمسجد، كان راهب عصره، وعابد أهل فلسطين، ومات فيها سنة ٤٠هـ.

ترجمته في: ابن سعد: "الطبقات الكبرى"، ج ٧، ص ٤٠٨، وابن أبي حاتم: "الجرح والتعديل"، ج ٢، ص ٤٤٠، وابن الأثير: "أسد الغابة"، ج ١، ص ٥٦، والسقلائي: "الإصابة"، ج ١، ص ٣٠٤.

(٥) صحيح مسلم، "كتاب الإيمان"، باب "بيان أن الدين النصيحة"، ج ١، ص ٧٤.

وتناول الشعراء المسلمون هذه الدعوة وبثوها في أشعارهم يوجهونها إلى أنفسهم تارة وإلى الغافلين النائمين تارة أخرى ، علّهم يفيقون ويتنبهون ، ويسارعون إلى التوبة. فأبو نواس يلوم من لا يرعوي عن لذة ، مفضياً عمره في التزود من الذنوب ، متناسياً منيته - وهي لاشك واردة - محذراً من مغبة ذلك ، يقول :

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ وَالذُّنُوبُ تَزِيدُ وَالكَاتِبُ الْخُصِيَّ عَلَيْكَ شَهِيدُ
كَمْ قُلْتَ : لَسْتُ بِعَائِدٍ فِي سَوْءَةٍ وَنَذَرْتُ فِيهَا ثُمَّ صِرْتَ تَعُودُ
حَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوي عَنْ لَذَةٍ وَحِسَابُهَا يَوْمَ الْحِسَابِ شَدِيدُ
وَكَأَنِّي بِكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنْيَّةً لَا شَكَّ أَنَّ سَبِيلَهَا مَوْرُودُ^(١)

والإمام الشافعي يوجه الدعوة إلى أخيه المسلم بأن يخاف ربه ، ويرجو عفوه ولا يطيع نفسه الأمارة بالسوء، يقول :

خَفِ اللَّهَ وَارْجُوهُ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ وَلَا تُطْعِ النَّفْسَ اللَّجُوجَ فَتَنْدَمَا
وَكُنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ مِنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَا وَأَبَشِّرْ بِعَفْوِ اللَّهِ ، إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا^(٢)
أما أبو العتاهية ، فينكر على الإنسان غفلته وبقائه لاهياً منصرفاً إلى الملذات والشهوات تلوح على مفارقه الذنوب ، متناسياً آخرته ، فمتى يقلع ويتوب ؟ يقول :

أَلَا اللَّهُ أَنْتَ مَتَى تَتُوبُ وَقَدْ صَبَغْتَ ذَوَائِبَكَ الْخُطُوبُ
كَأَنَّكَ لَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ حَثًّا يَحُثُّ بِكَ الشُّرُوقُ كَمَا الْغُرُوبُ
أَلَسْتَ تَرَاكَ كُلَّ صَبَاحٍ يَوْمَ تُقَابِلُ وَجْهَ نَائِبَةِ تَنْوُبُ
لَعَمْرُكَ مَا تَهْبُّ الرِّيحُ إِلَّا نَعَاكَ مُصْرَحًا ذَاكَ الْهُبُوبُ
أَلَا اللَّهُ أَنْتَ فَتَى وَكَهْلًا تَلُوحُ عَلَى مَفَارِقِهِ الذُّنُوبُ
هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ فَلَا يَلْعَبُ بِكَ الْأَمَلُ الْكَذُوبُ
وَكَيْفَ تَرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا هَوَى رَكُوبُ
وَتَصْبِحُ ضَاحِكًا ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَتَذْكُرُ مَا اجْتَرَمْتَ فَمَا تَذُوبُ
أَرَاكَ تَغِيْبُ ثُمَّ تَوُوبُ يَوْمًا وَيُوشِكُ أَنْ تَغِيْبَ وَلَا تَوُوبُ^(٣)

وكيف يتلذذ أمرؤ بالعيش وهو موقن أنه مطلوب للحساب ، يقول :

سُبْحَانَ رَبِّكَ مَا أَرَاكَ تَتُوبُ وَالرَّأْسُ مِنْكَ بِشَيْهِ مَخْضُوبُ
سُبْحَانَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ أَمَا تَرَى نُوبَ الزَّمَانِ عَلَيْكَ كَيْفَ تَنُوبُ

(١) "ديوان أبي نواس" ، ص ٦١٩ .

(٢) "ديوان الإمام الشافعي" : ص ١٢٨ . اللجوج : لج في الأمر ، تمادى عليه و أبي أن ينصرف عنه ، ابن منظور :

"لسان العرب" ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، مادة "لج" .

(٣) "أبو العتاهية أشعاره وأخباره" ، ص ٢٢ .

سُبْحَانَ رَبِّكَ مَا تَرَى مِنْ عَجَبٍ
إِصْرَحْ نَسِيتَ تَتْرَهُ وَحُوبَ
بِالْعَيْشِ وَهُوَ بِنَفْسِهِ مَطْلُوبٌ^(١)

وشتان بين الضلال والرشد وحسب المرء ما تعمد من ذنوب ومعاصٍ وليسارع إلى التوبة وطلب المغفرة من الله وأن يلزم نفسه ترك طريق الضلال ، يقول :

يَا رَاكِبَ الْغَيِّ غَيْرَ مُتَّئِدٍ
شَتَّانَ بَيْنَ الضَّلَالِ وَالرَّشْدِ
حَسْبُكَ مَا قَدْ أَتَيْتَ مُعْتَمِدًا
فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ثُمَّ لَا تَعُدْ^(٢)

والقاسم بن يوسف (ت ٢٢٠هـ)^(٣) ، يدعو إلى الجِدِّ بالإسراع إلى التوبة إلى الله مما جناه المرء إذ لا وصول إلى سبيل الهدى إلا بهجر الذنوب ، والدنيا وملذاتها الفانية، فتب

فَتَبَّ إِلَى اللَّهِ مَتَابَ امْرئٍ
إِلَيْهِ مِمَّا قَدْ جَنَى مَهْرُبُهُ
فَإِنَّمَا الْوَاصِلُ سَبِيلَ الْهُدَى
مَنْ يَهْجُرُ الذَّنْبَ وَلَا يَقْرُبُهُ
فَاجْدُدْ فَإِنَّ الْأَمْرَ جَدٌّ وَلَا
تَنَهُ عَنِ الذَّنْبِ الَّذِي تَرْكِبُهُ
وَالزَّاهِدُ الْعَالَمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ
تَخْذَعُهُ الدُّنْيَا وَلَا تَخْلِبُهُ^(٤)

ثم يحث المذنبين العاصين على الإقلاع عن المعاصي والمصارعة إلى التوبة ولا يسوف فيها، فرسول الموت لا يهمله ، يقول :

أَيُّهَا الْمَذْنِبُ عَاجِلْ تَوْبَةً
لَا تُسَوِّفْ بَعْدَ أَوْ بَعْدَ غَدٍ
فَرَسُولُ الْمَوْتِ لَا يَنْظُرُ ذَا
حَاجَةٍ يَصْدُرُهَا أَمَّا وَرَدٌ^(٥)

أما أبو تمام ، فيحث المذنبين على التطهر و التوبة من الذنوب و المبادرة بالعمل الصالح استعدادا للموت ، يقول :

(١) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٠٤ .

(٣) هو أبو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي بالولاء ، شاعر من أهل الكوفة ، وأخو أحمد بن يوسف الكاتب وزير المأمون .

ترجمته في ، الصولي : " الأوراق " ، ص ١٧٠ ، و المرزباني : " الموشح " ، ص ٢٣٥ .

(٤) انظر الصولي : " الأوراق " ، ص ١٧٠ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٧٠ .

أ - تصوير الحياة الدنيا :

سبق القرآن الكريم كلام العرب شعراً و نثراً في تصوير الحياة الدنيا و تحقير شأنها ، فقد خلق الله - تعالى - العباد لغاية عظيمة ، و هي : عبادته وحده دون سواه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١) واستعمرهم فيها لعمارتهما ، والبحث عن سبل العيش وما يكفل لهم الرزق ، قال تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٢) ، وحذرهم من غرورها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٣) كما ضرب لهم الأمثلة الدالة على فنائها موهناً أمرها ومحقراً لشأنها عند أهلها الذين اتخذونها لعباً ولهواً، وزينة وتفاخراً ، وتكاثراً في الأموال والأولاد ، قال تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٤) وصورها بالزهرة المورقة النضرة ذات الرائحة الذكية التي لا تلبث أن تذبل وتتساقط أوراقها، قال تعالى : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زَوْجًا مِنْهُمْ زهرة الحياة الدنيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٥)، ومتاعها إذا ما قيس بمتاع الآخرة فهو قليل وزائل وفانٍ ، قال تعالى : ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٦) . وسرعان ما تنقضي ويقضي الإنسان نخبه فيها، و هي دار

(١) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

(٢) سورة الملك ، آية (١٥) .

(٣) سورة لقمان ، آية (٣٣) .

(٤) سورة الحديد ، آية (٢٠) .

(٥) سورة طه ، آية (١٣١) .

(٦) سورة التوبة ، آية (٣٨) .

تنقل وزوال ، ولذلك حذر الله من الركون إليها وحثهم على التزوّد منها للآخرة ، إذ هي المآل والمصير للخلق جميعاً ، يقول تعالى : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (١)

ومما جاء من صورها في شعر التوبة والاستغفار عند الشعراء :

وصف سعيد بن وهب لها بأنها زهرة متفتحة في وادٍ خصب ، حيث قال :

رَبِّ يَوْمٍ رَحِمًا فِيهِ عَلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا فِي وَادٍ خَصِيبٍ (٢)

ويتفق معه أيضاً أبو العتاهية ، بقوله :

أَجَنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جَنُونًا وَأَفْنَى الْعُمُرِ فِيهَا بِالسَّمْنَى (٣)

ويصفها أبو تمام ، محذراً منها ، بالخيانة والإدبار ودوام التغير ، فهي لا تدوم على حال ، يقول :

فَلَا تَأْمَنِ الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ ؛ فَمَا زَالَتْ تَخُونُ وَتُدْبِرُ
فَمَا تَمَّ فِيهَا الصَّفْوُ يَوْمًا لِأَهْلِهِ وَلَا الرَّفْقُ ؛ إِلَّا رَيْثَمَا يَتَغَيَّرُ (٤)

ب- تصوير المرحلة الأولى من العمر - مرحلة الشباب - :

كان ميول بعض الشعراء إلى تصوير المرحلة الأولى من حياته أمراً ظاهراً في ثنايا أبيات القصيدة أو القطعة ، إذ كانت تعج باللهو والبطالة مغترّاً بشبابه الفاتن .

يقول لقيط الحاربي :

وَعَرَّتْنِي لَيَالٍ كُنْتُ فِيهَا مَطِيعًا لِلشَّبَابِ بِهِ أَبَاهِي
أَجَارِي الْغَيَّ فِي مِيدَانِ هَوِي وَقَلْبِي عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ لَاهِي (٥)

(١) سورة غافر ، آية (٣٩) .

(٢) الأصفهاني : " الأغاني " ، ج ٢١ ، ص ٦٩ .

(٣) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ٣٧٦ .

(٤) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٥٩٥ .

(٥) الحموي : " معجم الأدباء " ، ج ١٧ ، ص ٤٠ .

أما أبو تمام ، فيعترف بعصيانه لربه في أيامه الأولى ، يقول :

عَلَى إِثْرِ مَا قَدْ كَانَ مِنِّي صَبَابَةٌ لِيَالِي فِيهَا كُنْتُ لِلَّهِ عَاصِيًا^(١)

وكان الصرصري ، أيام شبابه مرحاً يسحب أذيال البطالة واللهو شقي بما تحمل من أوزار ، حيث يقول :

فَكَمْ لِي مِنْ سُوءِ اجْتِرَاحِ نَسِيْتِهِ وَأَحْصَاهُ مَحْرُوسُ الْخِفَافِ مِنَ السَّهْوِ
شُقِيتُ بِهِ أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي الصَّبَا وَأَسْحَبُ أَذْيَالَ الْبِطَالَةِ وَاللَّهْوِ^(٢)

ج- تصوير الشيب :

تطرق الشعراء ضمن هذا الجانب أيضاً إلى وصف الشيب ، معلناً انتقال الإنسان إلى مرحلة أخرى من حياته ، ينبغي له فيها أن يترك حياة اللهو ويركن إلى العمل للآخرة فقد أوشك أن يقضي نخبه وينتقل إلى دار الحساب والجزاء فإما إلى جنة وإما إلى نار ومن هؤلاء الشعراء :

منصور بن المعتمر (ت ١٣٢هـ)^(٣) يرى أن شمس حياته وشبابه قد جنحت للغروب ، معلنة ولادة مرحلة جديدة ، وهي مرحلة بزوغ الفجر ، يقول :

جَنَحَتْ شَمْسُ حَيَاتِي وَتَدَلَّتْ لِلْغُرُوبِ
وَتَوَلَّى لَيْلٌ رَأْسِي وَبَدَأَ فَجْرُ الْمَشِيبِ^(٤)

وكان مرحلة الشباب بما فيها من غفلة ولهو ومجون هي عتمة في حياة الإنسان ، أما مرحلة الشيب وما يتبعها من صحوة وتوبة ، والتي أنارت له طريق الهدى والرشاد بمثابة نور فجر بزغ وأضاء الكون .

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٦٠٢ .

(٢) (الديوان مخطوط بمركز البحث وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى ، بدون ترقيم .

(٣) هو منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي ، يكنى أبا عتاب ، كان أعمش من كثرة البكاء ، وزعموا أنه صام ستين وقامها ، من أعلام رجال الحديث ، من أهل الكوفة ، لم يكن فيها أحفظ للحديث منه ، وكان ثقة مأموناً كثير الحديث . ترجمته في : ابن سعد : " الطبقات الكبرى " ، ج ٦ ، ص ٣٣٧ ، و الأصبهاني : " حلية الأولياء " ، ج ٥ ، ص ٤٠ ، وابن أبي حاتم : " الجرح والتعديل " ، ج ٤ ، القسم الأول ، ص ١٧٧ .

(٤) (ابن الجوزي : " التبصرة " ، تحقيق : د. مصطفى عبد الواحد ، ط (١) ، بيروت : دار الكتب العلمية ،

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، ج ١ ، ص ٥٦ .

أما أبو تمام ، فيشكو من الشيب الذي نال منه وابيض مفرقه، وصار الشباب كسواد غالتهم شبهة الشيب فتغير وتبدل حاله، يقول :

وَقَدْ نَالَ مِنِّي الشَّيْبُ ، وَايْضَ مَفْرَقِي وَغَالَتْ سَوَادِي شُبْهَةً فِي قَدَالِيَا
وَحَالَتْ بِي الْحَالَاتُ عَمَّا عَهْدْتُهَا بِكَرِّ اللَّيَالِي ؛ وَاللَّيَالِي كَمَا هِيَ^(١)

أما الشريف العقيلي (ت ٤٥٠هـ-)، فيراه نورا لا ظلمة بعده، إلا ظلمة القبر، وهذه تورية من الشاعر قصد من ورائها إلى اعتبار الشيب نذيراً للموت، يقول :

فَبَعْدَ ثَوْرِ الشَّيْبِ لَا يُرْتَجَى لِلْمَرءِ إِلَّا ظِلْمَةُ اللَّحْدِ^(٢)

د- تصوير الذنوب :

تناول الشعراء وصف الذنوب التي أثقلت كاهلهم، وكان الشعور بوطأتها من أسباب توبتهم .

فمنصور بن المعتمر ، يرى الذنوب بحراً هائجاً ذا لجة، يقول :

رَبِّ خَلِصْنِي فَقَدْ لَجَجْتُ فِي بَحْرِ الذُّنُوبِ
وَأُنَلِّنِي الْعَفْوَ يَا أَقْبَرَ رَبِّ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ^(٣)

و الإمام الشافعي، صورها عظيمة، ولكنه واثق بأن عفو الله أعلى وأعظم، يقول :

فَجُرْمِي عَظِيمٌ ، مِنْ قَدِيمٍ وَحَادٍ وَعَفْوُكَ ، يَا ذَا الْعَفْوَ أَعْلَى وَأَجْسَمًا^(٤)

وأبو العتاهية ، يرى الخطايا نتنة ذات رائحة كريهة، ولكن من إحسان الله وفضله على

عباده أن جعل هذه الرائحة لا تفوح ، بل سترها رافة ورحمة بعباده، يقول

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٦٠٠ .

(٢) " شعر الشريف العقيلي " ، تحقيق : د. زكي المحاسني ، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، د.ت) ، ص ١٣٢ .

و انظر : الشريف المرتضى : " الشهاب في الشيب والشباب " ، (بيروت : دار الرائد العربي ، ١٤٠٢هـ) —

١٩٨٢م) ود. الكوسا ، سعيد كامل : " الشيب " ، ط (١) ، (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .

(٣) ابن الجوزي : " التبصرة " ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤) " ديوان الإمام الشافعي " ، ص ١٣٠ .

فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ^(١)

كما جعل للخطيئة ماء يقطر من رأس المذنب، وكأنها شلال يقطر من أعلى صخرة، يقول :

رَأَيْتُكَ فِيمَا يُخْطِئُ النَّاسُ تَنْظُرُ وَرَأْسُكَ مِنْ مَاءِ الْخَطِيئَةِ يَقْطُرُ^(٢)

هـ - تصوير العابد :

لجأ الشعراء في هذا الجانب إلى تصوير العبد الوجمل من عقاب ربه ، والراجي لحسن عفوه عنه ومغفرته له ، متخذاً من العبادة والزهد وسيلة للتقرب من مولاه ، والتكفير عن سيئاته .

فالإمام الشافعي ، يصور العبد العارف لربه تفيض عينه ، لوجده دماً ، باكياً في ظلمة الليل من شدة خوفه من عقاب ربه ، فلا ينفك لسانه فصيحاً رطباً بذكره ، منصرفاً عن سواه ، يقول :

فَلِلَّهِ دُرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَاثِمًا
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا^(٣)

ويصوره ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) ، وقد جعل الليل مهرباً له للعبادة نادماً على ما أسرف في جنب الله ، راکعاً ساجداً له قد سقى الأرض من دمه متقرباً إليه يتمايل من الخوف ، كتمايل الغصن إذا هبت عليه الريح ، فقد أمن خوفه بتحقيق الله لظنه ، وعفوه عنه ، يقول

جَعَلَ اللَّهُ مَهْرَبًا وَامْتَطَى اللَّيْلَ مُرْكَبًا
خَادِمٌ كَانَ مَرَّةً مُسْرِقًا ثُمَّ أَعْتَبًا
رَاكِعًا سَاجِدًا لَهُ لَيْسَ يَأْلُو تَقَرُّبًا
فَرَضَ الْخَوْفَ دَمْعَهُ لِشَرَى الْأَرْضِ مَشْرَبًا

(١) " أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره " ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٨ .

(٣) " ديوان الإمام الشافعي " ص ١٢٩ .

النَّدْب : " السريع إلى إجابة الدعوة " انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ١ ، ص ٧٥٤ ، مادة " ندب "

لَوْ تَرَاهُ إِذَا دَعَا يَا مَلِيكَاً مُّحَجَّجَا
اعْفُ عَنِّي فَقَدْ رَكِبْنَا تَ مِنْ الْأَمْرِ مَعْطَبَا
كَسَبْتَنِي جَرَائِمِي مَكْسِبَا سَاءَ مَكْسِبَا
ثُمَّ يَهْتَزُّ كَالْقَضِيَّةِ بَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا
أَمِنَ الْخَوْفَ عِنْدَهَا ظَنُّهُ أَنْ يُحْيِيَا^(١)

ويعود مرة أخرى معطياً صورة أخرى للعابد الوجل، داعياً الواحد الصمد في ظلمة الليل
باكياً من خشية ربه، حيث يقول :

بَاتَ يَدْعُو الْوَاحِدَ الصَّمَدَا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مُنْفَرِدَا
فِي حَشَاهُ مِنْ مَخَافَتِهِ حُرْقَاتُ تَلَدَعُ الْكَبِدَا
كُلَّمَا مَرَّ الْوَعِيدُ بِهِ سَحَّ دَمْعُ الْعَيْنِ فَاطْرِدَا^(٢)

و- تصوير الموت :

توجه الشعراء أيضاً إلى تصوير الموت - هاذم اللذات - ومواجهتهم له، والقبور وما
فيها من وحشة وغربة وانفراد .

فأبو نواس صوّر لحظات الموت وهي محيطة به، وناخرة عظامه، والروح تنزع من
جسده عضواً فعضواً، يقول :

دَبَّ فِي الْفَنَاءِ عُلُوّاً وَسُفْلَاً وَأَرَانِي أَمُوتُ عَضُوًّا فَعَضُوًّا
لَيْسَ يَمُضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي إِلَّا نَقَصْتَنِي بِمَرِّهَا فِي جَزْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةٍ نَفْسِي وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نَضُوًّا^(٣)

أما أبو العتاهية فشعوره بدنو الأجل يقبح ما يراه حسناً في هذه الحياة، شاعراً بالحزن
لفناء عمره، فيقول :

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ١ ، ص ٣٣٩-٣٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٧٧٦-٧٧٧ .

(٣) " ديوان أبو نواس " ، ص ٦١٠ .

كَفَى حَزْناً أَنِّي أَحْسُ ضَنْيَ الْبَلَى يُقْبِحُ مَا زَيَّنْتُ فِيَّ وَحَسَنْتُ^(١)

وهو مؤمن بأن الفناء مصير كل حي ، ويحث إخوانه على التحلي بالصبر ، ويرى القبر دار حق غفل عن الاستعداد له ، وهو لا محالة سيرد عليه يوماً يشيعه إخوانه على نعش ليس له حول ولا قوة ، يقول :

نَهْنَه دُمُوعَكَ كُلِّ حَيٍّ فَإِنْ وَاصْبِرْ لِقَرَعِ نَوَائِبِ الْحَدَثَانِ
يَا دَارَ الْحَقِّ الَّتِي لَمْ أَبْنِهَا فِيمَا أَشَيَّدُهُ مِنَ الْبُنْيَانِ
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَا مُحَالَةَ إِنِّي يَوْمًا إِلَيْكَ مُشَيِّعِي إِخْوَانِي
نَعْشًا يَكْفِكِفُهُ الرَّجَالُ وَفَوْقَهُ جَسَدٌ يُّكَاعُ بِأَوْكُسِ الْأَثْمَانِ^(٢)

أما أبو تمام فيرى توالي الأيام يُنقص من عمره و يمحو آثاره و يُخلق جدته ، و يصوّر نفسه و قد حضرته الوفاة ، صريعاً بين أهله محمولاً إلى قبره ، في حين يبقى ورثته يتقاسمون أمواله ، يقول :

وَمَا تَبْرَحُ الْأَيَّامُ تَحْذِفُ مَدَّتِي بَعْدَ حِسَابٍ لَا كَعْدَ حِسَابِيَا
لَتَمْحُوْ آثَارِي ، وَتُخْلِقَ جَدَّتِي وَتُخْلِي مِنْ رَبْعِي بِكْرَهُ مَكَانِيَا
كَمَا فَعَلْتُ قَبْلِي بِطَسْمٍ وَجُرْهُم وَ آلَ ثَمُودَ بَعْدَ عَادِ بْنِ عَادِيَا
وَأَبْقَى صَرِيعاً بَيْنَ أَهْلِي جَنَازَةً وَ يَحْوِي ذَوُورَ الْمِيرَاثِ خَالِصَ مَالِيَا^(٣)

و يصوّر حاله في قبره إذ أودعوه لحدّاً في حفرة يطول ثوابه فيها ، و حالة الخوف هذه التي كانت تتملك نفسه من قبل أصبح يأنس بها اليوم بعد أن رأى آثار المنايا تحترم حياته ، و يتمنى لو يبقى رفاتا بعد موته لا يحاسب أو يعاقب ، يقول :

(١) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٦٠٠ - ٦٠٢ .

وَمَسْكِنَتِي لِحَدَا لَدَى حُفْرَةٍ بِهَا يطول إلى أخرى الليالي ثوائيا
 كَمَا أَسْكَنْتُ سَامَا وَ حَامَا وَ يَافَا و نُوحَا وَ مَنْ أَضْحَى بِمَكَّةَ ثَاوِيَا
 فَقَدْ أَنَسْتُ بِالمَوْتِ نَفْسِي ؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ المَنَايَا يَخْتَرِمَنَ حَيَاتِيَا
 فَيَا لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي ، وَ مَبْعَثِي أَكُونُ رُفَاتَا لَا عَلَيَّ وَ لَا لِيَا (٣)

ط - تصوير اليوم الآخر :

تناول الشعراء أيضا ضمن هذا الجانب تصوير اليوم الآخر - يوم القيامة - إذ يكون فيه مصير العباد المحتوم إما إلى خلود و نعيم في الجنة التي جاء وصفها في كثير من الآيات الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة، تشويقا للمؤمنين إلى رؤيتها و العمل لها إذ لا يدخلها أحد إلا برحمة الله - تعالى - و إما إلى جهنم - أعاذنا الله منها - يصلون نارها و جحيمها و زفيرها ، طعام أهلها الزقوم و شراهم الحميم .

و قد جاء القرآن الكريم بصورها محذرا من عذابها كما صور أهوال ذلك اليوم و شدائده فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) .

بل إن سورا في القرآن الكريم سُميت باسم هذا اليوم ، و أقسم الله - تعالى - به و هي : (الواقعة ، و الغاشية و القيامة و الحاقة و القارعة) مصورا الله - تعالى - ما في ذلك اليوم من أهوال و أحداث عظيمة .

فهذا أبو العتاهية قد أفرد في ديوانه قصائد و مقطوعات في وصف ذلك اليوم .
 و في ذلك اليوم سيحاسب الإنسان على ما أساء و أحسن في دنياه ، يقول :

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٦٠٠ - ٦٠٢ .

(٢) سورة عبس ، الآيات : (٣٤ - ٣٧) .

لَوْلَا إِلَهِهُ وَأَنْ قَلْبِي مُؤْمِنٌ والله غير مضيع إيماني
لَظَنَنْتُ أَوْ أَيقَنْتُ عِنْدَ مَنِيَّتِي أَنْ الْمَصِيرَ إِلَى مَحَلِّ هَوَانٍ
فِي نُورٍ وَجْهَكَ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ زَحْزَحَ إِلَيْكَ عَنِ السَّعِيرِ مَكَانِي
وَأَمُنْتُ عَلَى بَتُوبَةٍ تَرْضَى بِهَا يَا ذَا الْعُلَى وَالْمَنِّ وَالْإِحْسَانِ^(١)

ويحيى بن معاذ يذكر عنه أنه يوم حشر الناس ، ويوم جزاء يجازي فيه كل بحسب عمله
ويوم الأهوال والشدائد ، فيقول :

مَنْ قَبْلَ سُؤْلِكَ لِي فِي الْحَشْرِ يَا أَمَلِي يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَهْوَالِ تَذَكَّرَهَا^(٢)

وفي هذا اليوم يعد الله جناته مكافأة لعباده المؤمنين على ما قدموه من صالح الأعمال
رحمة بهم ، كما أعد النار للظالمين والطغاة والكافرين .

يقول الصرصري :

وَأَعَدَدْتَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ لِأَهْلِهَا لَتَرْحَمَهُمُ وَالنَّارُ أَعَدَدْتَ لِلْسَّطَوِ
فَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْحِسَابِ وَنَجِّنِي بِفَضْلِكَ مِنْ نَارٍ تَلْظَى بِلَا خَبَوِ^(٣)

(١) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ٧٦ .

(٢) الأصبهاني : " حلية الأولياء ، ج ١٠ ، ص ٦٣ .

(٣) " الديوان ، مخطوط " ، بدون ترقيم .

جوانب شعر التوبة والاستغفار عند شعراء مصر والمغرب والأندلس

جرف تيار اللهو والترف والمجون شعراء مصر و المغرب و الأندلس ، كأقراهم المشاركة
وفي المقابل ظهر تيار الزهد ، ورجع كثير منهم ممن خدعتهم الحياة ببريقها الأخاذ،
ومفاتها ، وعادوا إلى ربة الإيمان وحياة الزهد والتقى ، نادمين تائبين ، مستغفرين من
ذنوبهم ، كما فعل ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ) ، والأعمى التطيلي (ت ٥٢٥هـ) ،
وابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ) ، فظهرت عندهم الجوانب نفسها .

" وكان شعراؤهم يقتفون أثر الشعراء المشاركة ، ولذلك كانت فنون الشعر تنضج في
الأندلس بعد أن تكون قد بلغت أوجها في المشرق " ^(١) ، وهذا مما يؤكد على وحدة
الأدب العربي والإسلامي في مشرق الأرض ومغربها ، وهذا الموضوع المتميز بالأدب
والخلق الإسلامي ، والذي ينطوي على معاني التوبة والاستغفار ظهر عند الكثير من
الشعراء ، سواء قلّ شعرهم أو كثر ، واختفى عند البعض الآخر منهم .

جانب الرجاء والابتهال :

اليزيدي (ت ٢٦٤هـ) ^(٢) يتكل على الله ، ويستغفره مخلصاً بعدما أقعدته الذنوب ،
فيقول :

كَلَّمَارَ ابْنِي مِنَ الدَّهْرِ رَيْبٌ فَاتَّكَلِي عَلَيْكَ يَا رَبِّ فِيهِ

(١) د. الشكعة ، مصطفى : " الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه " ، ط (٣) ، (بيروت : دار العلم للملايين ،
١٩٧٥م) ، ص ٢٤٩ .

(٢) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن المبارك المزيني المصري ، تلميذ الشافعي ، فقيه عالم زاهد ، ومحدث
ثقة في الحديث ، وهو أحد الأدباء والرواة الفضلاء ، شاعر من أهل التصانيف . ترجمته في : ابن أبي حاتم :
" الجرح والتعديل " ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، وابن خلكان : " وفيات الأعيان " ، ج ١ ، ص ٢١٧ ، وابن تغري بردي :
" النجوم الزاهرة " ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

إِنْ مِنْ كَانَ لَيْسَ يَدْرِى أَفِى الْمَحْبُوبِ صَنَعَ لَهُ أَوْ الْمَكْرُوهِ
لَحْرِىٌّ بِأَنْ يَفُوضَ مَا يَعْرِضُ عَنْهُ إِلَى الَّذِي يَكْفِيهِ
الْإِلَهُ الْبُرِّ الَّذِي هُوَ فِي الرَّأْفَةِ أَحَنُّ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ
قَعَدَتْ بِي الذُّنُوبُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَهَا مُخْلِصاً وَأَسْتَغْفِرُ
كَمْ يُؤَالِي لَنَا الْكِرَامَةَ وَالنَّعْمَةَ مِنْ فَضْلِهِ وَكَمْ نَعَصِيهِ^(١)

ومحمد بن ولاد (ت ٢٨٩هـ)^(٢)، يرجو الله في السر والعلن أن يعفو عن ذنبه العظيم
يقول :

أَرْجُوكَ يَا رَبِّ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي
مَنْ ذَا يُؤْنِسُنِي فِي الْقَبْرِ مُنْفَرِداً
وَسَوْفَ يَضْحَكُ خَلٌّ قَدْ بَكَى جَزَعاً
ذَنْبِي عَظِيمٌ وَمِنْكَ الْعَفْوُ ذُو عَظَمٍ
إِنَّ التَّرجَاءَ إِلَيْكَ الْيَوْمَ يَحْمِلُنِي
إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ تُؤْنِسُنِي
بِعَدِي وَيَسْلُو الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْدُبُنِي
فَكَيْفَ يَا رَبِّ مِنْ عَفْوٍ تُخَيِّنُنِي
سَمِيتَ نَفْسَكَ رَحْمَاناً فَقَدْ وَثَّقْتَ
نَفْسِي بِأَنَّكَ يَا رَحْمَانُ تَرْحَمُنِي^(٣)

وابن شهيد (ت ٣٩٣هـ) ، في أبيات يغلب عليها النظم ، يرجو رحمة الله وعفوه ، حيث
يقول :

كُلُّ كَانٍ لَمْ يَكُنْ تَقْضَى
وَشَوْمُهُ حَاضِرٌ عَتِيدُ
حَصْلُهُ كَاتِبٌ حَفِيزُ
وَضَمُّهُ صَادِقُ شَهِيدُ

(١) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٩ ، ص ٢٤٠ .

(٢) هو ابن الوليد أبو الحسين التميمي النحوي ، صاحب التصانيف المشهورة في علم العربية منها : " كتاب المقصور
والممدود " ، قرأ على المبرد كتاب سيبويه ، نشأ بمصر وأخذ العلم عن أبي علي الدينوري .
ترجمته في : الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٥ ، ص ١٧٦-١٧٧ ، والسيوطي : " بغية الوعاة " ، ص ١١٢ ،
والحموي : " معجم الأدباء " ، ج ١٩ ، ص ١٠٥ .

(٣) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٥ ، ص ١٧٦-١٧٧ .

يَا وَيْلَنَا إِنْ تَنَكَّبْتَنَا رَحْمَةً مِنْ بَطْشِهِ شَدِيدُ
يَا رَبِّ عَفِّوْا فَإِنَّتَ مَوْلَى قَصَّرَ فِي أَمْرِكَ الْعَبِيدُ^(١)

وأسير الخطايا ابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ)^(٢) يخاف أن يواخذه الله بذنوبه ، لذا يقف أمام

باب الرحيم أسيرا بين راج وخائفا داعياً ربه أن يمن عليه بالعفو، حيث يقول :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفٌ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عِيْهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ وَيَتَّقِي وَمَالِكَ مِنْ فَضْلِ الْقَضَاءِ مُخَالِفٌ
فِيَا سَيِّدِي لَا تُخَذِّنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
وَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِنْدَمَا يَصُدُّ ذَوْرٌ وَوَدِي وَيَجْفُو الْمَوَالِفُ
لَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفٌ^(٣)

وفي مناجاة زاهد الأندلس ، أبو إسحاق الألبيري (ت ٤٦٠هـ) ، اعتراف بعصيانته وإغضابه
لربه أيام جهله ، ويتمنى لو لم تلده أمه ، وهو لا يأسى على الدنيا فقيراً إلى رحمته فإن عفا عنه
وغفر له فهو تفضل منه وإحسان ، وإن عاقبه فهو عدل منه ، فيقول :

أَتَيْتُكَ رَاجِئاً يَا ذَا الْجَلَالِ فَفَرَجَ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي
عَصَيْتُكَ سَيِّدِي - وَيْلِي - بِجَهْلِي وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي

(١) "ديوان ابن شهيد" ، اختيار وتحقيق : يعقوب زكي ، مراجعة : محمود علي مكي ، تأليف : عبد القادر شيبه
الحمد ، (القاهرة : دار الكتاب العربي ، ١٣٨٩هـ) ، ص ٩٩ .

(٢) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، الحافظ المشهور ، كان فقيهاً قاضياً يعلم الحديث ورجالته ،
بارعاً في الأدب .

ترجمته في : الحميدي : " جذوة المقتبس " ، ص ٢٣٧-٢٣٩ ، والضبي : " بغية الملتبس " ، ص ٣١ - ٣٢ ،
وابن سعيد : " المغرب " ، ج ١ ، ص ١٠٣-١٠٤ .

(٣) (القرطبي : " مجمة المجالس " ، ج ١ ، ص ٣٨٠ ، والصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ١٧ ، ص ٥٣١ .

لَعَمْرِكَ لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي
فَهَا أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي ، فَقِيرٌ
فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تَعَاقِبْ
وَإِنْ تَعَفَّ فَعَفْوُكَ قَدْ أَرَانِي
وَلَمْ أَغْضِبْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي
إِلَى رُحْمَاكَ فَاقْبَلْ لِي سُؤَالِي
مُحَقَّقًا بِالْعَذَابِ وَبِالتَّكَالِ
لِأَفْعَالِي وَ أَوْزَارِي الثَّقَالِ^(١)

وهو يبكي الذنوب. وأسرها سائلاً ربه رحمته وتجاوزته عنه ، وهذا الشعور التابض في قلب الشاعر يداعبه بكاء حمامة البيداء ، التي حرّكت سكونه وشجونه ، فيقول :

أَحَمَامَةُ الْبَيْدَا أَطْلَتِ بُكَاءُكَ
إِنْ كَانَ حَقًّا مَا ظَنَنْتُ فَإِنْ بِي
إِنِّي أَظُنُّكَ قَدْ دَهَيْتَ بِفُرْقَةٍ
لَكِنَّ مَا أَشْكُوهُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى
أَنَا إِنَّمَا أَبْكِي الذُّنُوبَ وَأَسْرَهَا
وَإِذَا بَكَيتُ سَأَلْتُ رَبِّي رَحْمَةً
فِيحْسُنْ صَوْتُكَ مَا الَّذِي أَبْكَاكَ
فَوْقَ الَّذِي بَكَ مِنْ شَدِيدِ جَوَاكَ
مِنْ مُؤْنَسٍ لَكَ فَارْتَمَضْتَ لِذَاكَ
بِخِلَافٍ مَا تَجِدِينَ مِنْ شَكْوَاكَ
وَمُنَايَ فِي الشَّكْوَى مُنَالٌ فَكَارِكِي
وَتَجَاوَزَا؛ فَبُكَايَ غَيْرِ بُكَاءِكَ^(٢)

وابن حمديس (ت ٥٢٧هـ)، يدعو نفسه إلى الاستفادة من بقية عمره بالعمل للآخرة ، وهجر الدنيا ، وكبح جماح الهوى ، راجياً من الله أن يعفو عن سيئاته ، ويستر عيوبه ، حيث يقول :

خَلَّتْ مِنْكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ فَأَعْمُرَهَا
وَهَذَا لَعَمْرِي كُلُّهُ غَيْرُ كَائِنٍ
أَرَى لَكَ نَفْسًا فِي هَوَاكَ مُقِيمَةً
وَكَمْ سَيِّئَاتٍ أَحْصَيْتَ فَنَسِيتَهَا
فَيَا رَبِّ إِنِّي فِي الْخُضُوعِ لِقَائِلٍ :
وَمَاتَتْ لِيَالِيهَا مِنَ الْعَمْرِ فَانْشُرْهَا
فَأُخْرَاكَ وَاصِلَهَا وَدُنْيَاكَ فَاهْجُرْهَا
وَقَدْ طَالَ ذَا مِنْهَا لَكَ الْوَيْلُ فَأَقْصِرْهَا
وَأَنْتَ مَتَى تَقْرَأْ كِتَابَكَ تَذْكُرْهَا
ذُنُوبِي عِيُوبِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فَاسْتُرْهَا^(٣)

وهو إلى جانب ذلك يلح في طلب العفو ويدعو الله بأن يصلح قلبه ، يقول :

(١) " ديوان أبي إسحاق الألبيري " ، حققه وشرحه : د. محمد رضوان الداية ، ط (١) ، (دمشق : دار الفكر ،

١٤١١هـ - ١٩٩١م) ، ص ١٣٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٨ - ٣٩ .

(٣) " ديوان ابن حمديس " ، صححه وقدم له : د. إحسان عباس ، (بيروت : دار صادر ، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م)

أَيَا رَبَّ عَفَوًا عَنْ ظُلُومٍ لِنَفْسِهِ رَجَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعَفَا بِهْ أَوَّلَى
مُقِيمٌ عَلَى فِعْلِ الْمَعَاصِي مُخَالَفٌ تَوَالَى عَلَيْهِ الْغِي فَاسْتَوَالَى
سَأَلْتُكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِي ضَرَاةً وَقَدْ يَضُرُّعُ الْعَبْدُ الذَّلِيلُ إِلَى الْمَوْلَى
لِتُصْلِحَ لِي قَلْبًا وَتَغْفِرَ زَلَّةً وَتَقْبَلَ لِي تَوْبًا ، وَتَسْمَعَ لِي فِعْلًا
وَلَا عَجَبٌ فِيمَا قَمْنَيْتُ إِنِّي طَوِيلُ الْأَمَانِي عِنْدَ مَنْ يُحْسِنُ الطُّوْلَا^(١)

ولابن الرقاق البلنسي (ت ٥٢٨هـ) ^(٢) مناجاة يقرئ فيها بعلم الله الواسع في السر والعلن

وبحسن ظنه بمولاه ، الذي يرجو عفوّه عن ذنوبه ، فيقول :

يَا عَالَمَ السَّرِّ مِنِّي أَصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنِّي
مَنْيْتُ نَفْسِي بِعَفْوِ مَوْلَايَ مِنْكَ وَمِنْنِي
وَكَانَ ظَنِّي جَمِيلًا فَكُنْ إِذَا عِنْدَ ظَنِّي^(٣)

أما خلف بن فرتون (ت ٥٣٢هـ) ^(٤) ، فيظل قلبه معلقاً بالأمل في رحمة الله ومغفرته على الرغم

من محاولة بعضهم في إدخال اليأس إلى قلبه ، فيقول :

أَيَّاسُونِي لَمَّا تَعَاظَمَ ذَنْبِي أَتَرَاهُمْ هُمُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ؟
فَذَرُونِي وَمَا تَعَاظَمَ مِنْهُ إِنَّمَا يَغْفِرُ الْعَظِيمَ الْعَظِيمُ^(٥)

وابن خفاجة نلمح في شعره صدق التوجه إلى الله - سبحانه وتعالى - بالدعاء والخشوع

نادماً على ما اكتسبته يداه ، والتفريط في جنب الله ، حيث يقول :

(١) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٤٠٢ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عطية اللخمي ، وفي المغرب " أنه إبراهيم " ، ولد في بلنسية ونشأ فيها ، وطلب العلم ، شاعر رقيق مجيد حسن التصرف في معاني الشعر ، وهو ابن أخت الشاعر ابن خفاجة ، توفي وهو شاب لم يبلغ الأربعين من العمر . ترجمته في : ابن سعيد : " المغرب " ، ج ٢ ، ص ٣٢٣ ، والمراكشي : " الذيل والتكملة " ، ج ٥ ص ٢٦٥ ، والكتبي : " فوات الوفيات " ، ج ٣ ، ص ٤٧ .

(٣) " ديوان ابن الرقاق البلنسي " ، تحقيق : عفيفة محمود ديرياني ، (بيروت : دار الثقافة ، د.ت) ، ص ٢٧٤ .

(٤) هو خلف بن يوسف بن فرتون المشهور بابن الأبرش ، من علماء اللسان والآداب واللغات مع فضله وتدينه وتواضعه ، توفي بقرطبة .

ترجمته في : ابن بشكوال : " الصلة " ، ص ١٧٧ ، والسيوطي : " بغية الوعاة " ، ص ٢٢٩ .

(٥) المقرئ : " نفع الطيب " ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

طَوَّبِي لِعَبْدٍ قَامَ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِ
خَضِلَ الْمَدَامِعَ خَوْفَ عَرَضَةِ مَالِكٍ
وَالنَّاسَ مِنْ كَابٍ هُنَاكَ وَسَابِقٍ
فَحَنَانِكَ اللَّهُمَّ مِنْ عَبْدٍ غَوَى
قَلْبُكَ الْمُضَاجِعَ بَاتَ يَقْرَعُ سِنَهُ
سَحَبَ الشَّيْبَةَ فِي الْغَوَايَةِ ضِلَّةً
فَلَيْتَ سَطَوْتَ بِهِ فَلَا ظُلْمًا لَهُ
وَاللَّيْلُ قَدْ ضَرَبَ الظَّلَامَ رَوَاقًا
خَضَعَ الْمُلُوكَ لَهُ بِهَا أَعْنَاقًا
قَدْ أَلْزَمُوا أَعْمَاهُمْ أَطْوَاقًا
زَمْنَا فَشَدَّ إِلَى الْفُسُوقِ نِطَاقًا
نَدْمًا وَيُرْسِلُ دَمْعُهُ إِشْفَاقًا
حَتَّى تَسْرِبَ ثَوْبَهَا أَخْلَاقًا
وَلَيْتَ صَنَعْتَ لَهُ فَلَا اسْتِحْقَاقًا^(١)

وكثيراً ما يصاب الإنسان بالغفلة عن ذكر ربه ، وما تلبث المصائب والشدائد أن تفيقه وتعيده إلى باريه مذكراً له بما غفل عنه ونسيه ، ففي سنة أربع وتسعين وخمسائة من الهجرة النبوية الشريفة أصاب المسلمين بالأندلس قحط في الشتاء وحل الوباء في فصل الصيف من جراء الأمطار الغزيرة التي هطلت على غير العادة .

فقال محمد بن زهر (ت ٥٩٥هـ)^(٢) ، هذه القصيدة واصفاً الوضع ، داعياً الله أن يصفح عنهم ويعفو عن زلاتهم ويخلصهم مما حل بهم .

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ ، وَافْزَعُوا
وَتُوبُوا لَهُ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَأَخْلَصُوا
فَيَا رَبَّنَا عَفْواً وَصَفْحاً وَرَحْمَةً
رَجَوْنَاكَ لَا نَرْجُو سِوَاكَ وَحَسْبُنَا
إِلَيْهِ وَإِلَّا فَاحْذَرُوا النَّغْمَةَ الْعُظْمَى
لَمَّا كَانَ مِنْ تَقْرِيطِكُمْ تَوْبَةً عَزَمًا
فَقَدْ طَالَمَا عَوَدْتَنَا الرِّفْقَ وَالْحِلْمًا
رَجَاءً وَإِخْلَاصاً نَفْزُ بِهِمَا قَسَمًا^(٣)

(١) "ديوان ابن خفاجة" ، (الإسكندرية : منشأة المعارف ، د.ت) ، ص ٢١٤ .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي الإشبيلي ، حفظ القرآن وسمع الحديث ثم أقبل على اللغة والأدب والفقه طبيب بارع ، وشاعر مكثر في القصيد والموشح . ترجمته في : الصفدي "الوافي بالوفيات" ، ج ٤ ، ص ٣٩-٤٠ ، والمراكشي : "الذيل والتكملة" ، ج ٦ ، ص ٣٩٨-٤٠١ ، والحموي : "معجم الأدباء" ، ج ٨ ، ص ٢١٦-٢٢٥ .

(٣) المراكشي ، "الذيل والتكملة" ، ج ٦ ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

والأمير سليمان الموحدى (ت ٦٠٤هـ) ^(١)، تفيض عيناه من خشية الله ، ويتذكر يوم
الحشر وهو مصطحب ذنبه ، إلا أنه يرجو ربّه أن يُقِيلَ عثرته ، ويعفو عنه ، حيث يقول :
إِذَا مَا ذَكَرْتُ اللَّهَ فَاضَتْ مَدَامِعِي عَلَى كُلِّ مَا فَرَطْتُ فِيضَ السَّحَابِ
وَأَذْكُرُ يَوْمَ الْحَشْرِ إِنْ جِئْتُهُ غَدًا وَذَنْبِي مَعِيَ وَالذَّنْبُ أَخْبَثُ صَاحِبِ
أَقِيلْ عَثْرَتِي إِنِّي أَتَيْتُكَ تَائِبًا وَ لَيْسَ مُقِيمٌ فِي الذُّنُوبِ كَأَيِّبِ ^(٢)

وكان أبو جعفر القيسي ^(٣) (المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري) ، يرجو أن يفوز
بتوبة يكفر بها عن ذنبه ، وتنجح سعيه ، فيقول :

أَمَّا إِنَّهُ لَوْلَا ثَلَاثٌ أَحْبَبَهَا تَمَنَيْتُ أَنِّي لَا أُعَدُّ مِنَ الْأَحْيَا
فَمِنْهَا رَجَائِي أَنْ أَفُوزَ بِتُوبَةٍ تُكَفِّرُ لِي ذَنْبًا وَتُنْجِحَ لِي سَعْيًا ^(٤)

ومن شعراء التوبة الطالبين عفو الله الرّاجين مغفرته ورحمته الواسعة ، ابن الحاجب الفاضل
(ت ٦٤٦هـ) ^(٥) ، حيث يقول :

قَدْ كَانَ ظَنِّي أَنَّ الشَّيْبَ يُرْشِدُنِي إِذَا أَتَى فَإِذَا غَيَّ بِهِ كَثْرًا
يَا وَاسِعَ الرَّحْمَةِ إِغْفِرْ وَاعْفُ عَنْ زَلَلِي قَدْ عَمَّ عَفْوُكَ مَنْ يَأْتِيكَ مُرْجِرًا
إِنْ خَصَّ عَفْوُ إلهي الْمُحْسِنِينَ فَمَنْ يَرْجُو الْمُسِيءَ وَيَدْعُوهُ إِذَا عَثَرَا ^(٦)

وحول جانب الرّجاء تمضي الشّواهد التي نستطيع من خلالها أن نسبر أغوار آمال الشّاعر

(١) هو الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله الموحدى ، أديب شاعر له مصنف : " مختصر كتاب الأغاني " .

ترجمته في : ابن الأبار : " تحفة القادم " ، ص ١٠٥-١٠٦ ، وابن سعيد : " المغرب " ، ج ٢ ، ص ٣١٦-٣٤٧ .

(٢) د. الجراري ، عباس : " الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدى ، عصره وحياته وشعره " ، ط (١) ، (الدار

البيضاء : دار الثقافة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ، ص ١٨٥ .

(٣) هو أحمد بن صابر القيسي ، كان رفيقاً لأبي جعفر بن الزبير ، كاتباً مترسلاً ، وشاعراً حسن الخط ، خرج من

الأنلس و قدس قدم مصر وسمع به الحـديث .

ترجمته في : العسقلاني : " الدرر الكامنة " ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، والصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٦ ، ص ٤١٨-٤١٩ .

(٤) الصفدي ، " الوافي بالوفيات " ، ج ٦ ، ص ٤١٩ .

(٥) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي المالكي ، حفظ القرآن وبرع في الأصول العربية ، تصدر بالمدرسة

الفاضلية في مصر ثم انتقل إلى الإسكندرية وتوفى بها . ترجمته في : ابن خلكان : " وفيات الأعيان " ، ج ٣ ،

ص ٢٤٨-٢٥٠ ، الياضي : " مرآة الجنان " ، ج ٤ ، ص ١١٤ ، والسيوطي : " بغية الوعاة " ، ج ٢ ، ص ١٣٤ -

١٣٥ .

(٦) الصفدي ، " الوافي بالوفيات " ، ج ١٩ ، ص ٤٩١ .

محمد الغافقي (ت ٦٨٦هـ) ^(١)، عندما شعر بدنو أجله :

رَبِّ أَنْتَ الْحَلِيمُ فَاغْفِرْ ذَنْبِي	لَيْسَ يَغْفُو عَنِ الذُّنُوبِ سِوَاكَ
رَبِّ ثَبْتَ عِنْدَ السُّؤَالِ لِسَانِي	وَأَقِمْنِي عَلَى طَرِيقِ هِدَاكَ
رَبِّ كُنْ لِي إِذَا وَقَفْتُ ذَلِيلًا نَاكِسَ الرَّأْسِ أَسْتَحِي أَنْ أَرَاكَ	وَأَنَا قَدْ أَبَحْتُ عَهْدَ حِمَاكَ
رَبِّ مَنْ لِي وَالنَّارُ قَدْ قُرِّبَتْ لِي	غَيْرَ أُنِّي أَعْدَدْتُ صِدْقَ رَجَاكَ
رَبِّ مَالِي مِنْ عُدَةٍ لِمَالِي	حِلْمُكَ الْجَمُّ غَرَّةٌ فَعَصَاكَ
رَبِّ قَدْ أَقْرَرْتُ أَنِّي عَبْدٌ سَوْءٍ	لَمْ تَزَلْ رَاحِمًا فَهَبْ لِي رِضَاكَ
رَبِّ أَنْتَ الْجَوَادُ بِالْخَيْرِ دَوْمًا	بِاجْتِرَائِي فَأَنْتَ أَهْلٌ لِذَلِكَ ^(٢)

فالشاعر يقرّ بارتكابه للكثير من المعاصي حتى أصبح عبد سوء بعمله الذي قربه من النار، إلا أنه بالرغم من ذلك كان صادقاً في شعوره، راجياً عفو ربّه ومغفرته عن سيئاته متفائلاً برحمته، داعياً إياه أن يثبتته عند السؤال، وأن يقيمه على طريق الهدى والصلاح، موقناً بسعة عفوه ومغفرته، وروح التفاؤل التي بثها الشاعر بين ثنايا القصيدة مما يجعل العبد المذنب لا ييأس، بل يفتح له باب الأمل والسعادة، والثقة برحمة الله .

ونقف على قصيدة للشاعر يحيى الهذلي (ت ٦٢٩هـ) ^(٣) يصف الروح المتفائلة الواثقة بربها وسعة رحمته، آملة في عفوه ومغفرته، في حياء من زلاته أمام صفح الله الذي يعجز عن شكره، فيقول :

أَذُوبٌ حَيَاءٌ إِنْ تَذَكَّرْتُ زَلَّتِي وَحِلْمُكَ حَتَّى مَا أَقَلَّ نَوَاطِرِي

(١) هو محمد بن عبد الله بن داود الغافقي، كان كاتباً بارعاً، وشاعراً مجيداً له مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام وزر على غرناطة، ثم رجع إلى مرسية وقد ساءت أحوالها فأقام بها مدة، ثم انفصل عنها واستقر بالعدوة بعد مكابدة . ترجمته في : ابن الخطيب : " الإحاطة " ، ج ٢ ، ص ٤٢٦-٤٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٤٣٠-٤٣١ .

(٣) هو يحيى بن محمد بن أحمد التطيلي، من شعراء غرناطة المشهورين، برع في علوم النحو واللغة والتاريخ والعروض له معشرات في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - وأشعاره في الزهد كثيرة . ترجمته في : ابن الخطيب : " الإحاطة " ، ج ٤ ، ص ٤١٥-٤١٧ .

وَأَسْكُتُ مَغْلُوبًا وَأُطْرَقُ خَجَلَةً
تَعُودُ بِصَفْحٍ إِثْرَ صَفْحٍ تَكْرُمًا
وَتَلَحْظُنِي بِالْعَفْوِ أَثْنَاءَ زَلَّتِي
فِيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الصَّفُوحَ وَمَنْ بِهِ
أَنْلَنِي مِنْ بَرْدِ الْيَقِينِ صَبَابَةً
ومن شعره أيضاً :

إِلَيْكَ بَسَطْتُ الْكَفَّ فِي فَحْمَةِ الدُّجَى
رَجَاكَ ضَمِيرِي كَيْ تَخْلَصَ جُهْلَتِي
نِدَاءَ غَرِيقٍ فِي الذُّنُوبِ غَرِيقٍ
فَكَمْ مِنْ فَرِيقٍ شَافِعٍ لِفَرِيقٍ^(٣)

وأبو القاسم القبتوري (ت ٧٠٤هـ)^(٤)، يرجو من الرحمن أن يغفر له ويرحمه ، فيقول :

رَجَوْتُكَ يَا رَحْمَنُ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ
فَرَحَمْتَكَ الْعُظْمَى الَّتِي لَيْسَ بَابُهَا
رَجَاهُ لَغُفْرَانِ الْجَرَائِمِ مُرْتَجٍ
وَحَاشَاكَ فِي وَجْهِ الْمُسِيءِ بِمُرتَجٍ^(٥)

ومحمد بن دانيال (ت ٧١١هـ)^(٦)، بعد أن كبر وأضاء الشيب رأسه يطلب من الله أن يتجاوز عن ذنوبه ويقبل توبته ، حيث يقول :

يَا إِلَهِي تَجَاوَزْ عَنْ ذُنُوبِي
غَافِرِ الذَّنْبِ قَابِلِ التَّوْبِ كُنْ لِي
فَلَقَدْ سَوَّدَتْ بَيَاضَ مَشْيِي
عِنْدَ ظَنِّي فَأَنْتَ خَيْرُ مُجِيبٍ^(٧)

والتوبة من الذنوب والمعاصي مصدر من مصادر الثقة بالله والرجاء في عفوه وغفرانه، والصفح عن الزلات والسيئات .

(١) هكذا وردت ، والصواب " البواتر " : جمع باتر أي السيف القاطع ، انظر ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٤ ، ص ٣٧ ، مادة " بتر " .

(٢) ابن الخطيب ، " الإحاطة " ، ج ٤ ، ص ٤١٦ .

(٣) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤١٧ .

(٤) هو خلف بن عبد العزيز بن محمد الكاتب الغافقي الإشبيلي المولد والمنشأ ، له باع مديد في الترسل مع التقوى والخير ، حج مرتين . ترجمته في : ابن بشكوال : " الصلة " ، ج ١ ، ص ٣٦٢ ، والصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ١٣ ، ص ٣٧١ وما بعدها ، والسيوطي : " بغية الوعاة " ، ص ٢٧١ .

(٥) الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ١٣ ، ص ٣٧٢ .

(٦) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن دانيال الموصلية الخزاعي ، انتقل إلى مصر ، وكان ميالاً إلى اللهو والجون والدعابة والهزل ، عمل في التكميل والتمثيل ، توفي بمصر . ترجمته في : الصفدي : " الوافي بالوفيات " ، ج ٣ ، ص ٥١-٥٧ ، والكبي : " فوات الوفيات " ، ج ٢ ، ص ٢٣٧-٢٤١ ، وابن العماد : " شذرات الذهب " ، ج ٦ ، ص ٢٧ .

(٧) الصفدي " المختار من شعر بن دانيال " ، تحقيق : محمد نايف الدليسي ، (الموصل : مكتبة بسام ، ١٩٧٩م) ص ٢٥٣ .

فالشاعر محمد البلوي (ت ٧٣٨هـ) ^(١)، يقرّ بعصيانه لربه أيام جهله، راجياً من ربه أن

يحيره ويأخذ بيده، ويحقق رجاءه بعفوه عنه وغفرانه لسيئاته، فيقول :

إِلَهِهِ أَجْرِي إِنِّي لَكَ تَائِبٌ	وَإِنِّي مِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَهَارِبٌ
عَصَيْتُكَ جَهْلًا ثُمَّ جِئْتُكَ نَادِمًا	مَقْرَأً وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ
مَضَى زَمَنٌ لِي فِي الْبِطَالَةِ لَاهِيًا	شَبَابِي وَقَدْ وَلَّى وَعُمْرِي ذَاهِبٌ
فَخُذْ يَدَيَّ وَقَبْلَ بِفَضْلِكَ تَوْبَتِي	وَحَقِّقْ رَجَائِي فِي الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ
فَمَا ثُمَّ مَنْ يُرْجَى سِوَاكَ تَفَضُّلاً	وَأَنَّ الَّذِي يَرْجُو سِوَاكَ لَخَائِبٌ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُعْطِي إِذَا أَنْتَ لَمْ تَجِدْ	وَمَنْ هُوَ ذُو مَنَعٍ إِذَا أَنْتَ وَاهِبٌ
عَيْدِكَ يَا مَوْلَايَ يَدْعُوكَ رَغْبَةً	وَمَا زِلْتَ غَفَّاراً لِمَنْ هُوَ تَائِبٌ
دَعْوَتِكَ مُضْطَرَأً وَغَفْوِكَ وَاسِعٌ	فَأَنْتَ الْمُجَازِي لِي وَأَنْتَ الْمُعَاقِبُ
فَهَبْ لِي مِنْ رَحْمَاكَ مَا قَدْ رَجَوْتُهُ	وَبِالْجُودِ يَا مَوْلَايَ تُرْجَى الْمَوَاهِبُ ^(٢)

وبعض الشعراء يجعل من لومه لنفسه مقدمة لشعر الرجاء، للعلاقة الوثيقة بين الجانبين، فبعد مضي العمر وكبر السن، والإحساس بقرب الأجل يتذكر المرء ذنوبه، وما ارتكب من آثام لائماً نفسه على تفريطها في جنب الله، داعياً إياها للمبادرة إلى فعل الطاعات، طالباً من ربه أن يغفر له ويعفو عنه، وكأنه يستعد ليومه الأخير، ومصيره الحتمي .

ونرى ذلك في قصيدة ابن جلوط ^(٣) (لمتوفى في القرن الثامن الهجري) ، إذ يقول :

نَهَاكَ نَذِيرُ الشَّيْبِ لَوْ كُنْتَ تَرْعَوِي	وَهَلْ بَعْدَ إِنْذَارِ الْمَشِيبِ نَذِيرُ؟!
إِلَى كَمْ تَرَى عَنْ نَصْحِ نَفْسِكَ مُعْرِضًا	وَتُصْغِي إِلَى الْأَمَالِ وَهِيَ غُرُورُ

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الواحد، من أهل المرية، كرم الخلق، وفد على غرناطة، وتكررت له الولاية بالديوان وله مشاركة في نظم الشعر. ترجمته في : ابن الخطيب، "الإحاطة"، ج ٣، ص ٢١٨-٢٢٠ .

(٢) المصدر السابق : ج ٣ نص ٢٢٠-٢٢١ .

(٣) هو القاضي أبو زكريا يحيى بن السراج، كان ملازماً في رباط الفتح، لقبه لسان الدين بن الخطيب بابن جلوط . ترجمته في : ابن الخطيب : " الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة " ، تحقيق : د. إحسان عباس، (بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٣م)، ص ١٢٤ .

أَرَى الْعُمَرُ وَ لَى مُعْرَضًا عَنْكَ فَاعْتِمِ
وَبَادِرْ إِلَى الطَّاعَاتِ غَيْرِ مُقَصِّرِ
إِلَهِي أَجْرِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّهُ
وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ الْحِسَابِ وَ نَجِّنِي
نَدَبْتَ إِلَى الصَّفْحِ الْجَمِيلِ فَجِدْ بِهِ
وَمَنْ يَجْبِرِي مِنْ قَبِيحِ إِسَاءَتِي
فَمَا ضَلَّ مَنْ آتَيْتُهُ رُشْدَ نَفْسِهِ
بَقِيَّتُهُ إِنَّ الْبَقَاءَ عَسِيرُ
فَأَطُولُ أَيَّامِ الْحَيَاةِ قَصِيرُ
عَذَابُكَ مَحْذُورٌ وَأَنْتَ مُجِيرُ
بِفَضْلِكَ إِنَّ الْفَضْلَ مِنْكَ كَبِيرُ
فَأَنْتَ بِهِ يَا ذَا الْجَلَالِ جَدِيرُ
فَعَبْدُكَ مِمَّا قَدْ جَنَاهُ كَسِيرُ
وَلَا زَلَّ مَنْ وَالَاهُ مِنْكَ نَصِيرُ^(١)

وهكذا مضت هذه النصوص على مر التاريخ لشعراء مشهورين ومغمورين ، ترجو المغفرة من الله وتحاف عقابه ، بالرغم من المفارقة الفنية الواضحة بين الشعراء - مما سيأتي بيانه في موطنه - نظراً لاختلاف الشعراء في طريقة تناول ، والدعاء والاستغفار والرجاء ، وهي تدل في عمومها على أن الشاعر كان وارد هذا المنهل على اختلاف في الدوافع التي ستأتي ، لكنها تصب في قالب واحد هو " جانب الرجاء " الذي هو من الجوانب المهمة في حياة الإنسان المسلم ، وهو يشعر أثناء خوضه غمار الحياة أن الذنوب قد كبَلته وتكاد تطمس معالم الإيمان في قلبه ، فتأتيه تلك اللحظات التي يتألق فيها ويتعلق بربه ، فيسترد ما كان قد انطمس ، ويجري ذلك على لسانه شعراً ، بغض النظر عن فنية بعضه - كما قلت - إلا أنه مليء بروح تفيض بالتوبة والإنابة ، وإن كان هذا الشعور أعمق عاطفة عند الشعراء المشاركة ، ربما لشهرة مقارفة بعضهم للذنوب ، وإعلاهم ذلك ، أمثال : أبي نواس ، والفرزدق .

لوم النفس :

من الشعراء الذين خاطبوا النفس الإنسانية في شعرهم ، ابن حمديس ، فقد صور في أبياته أنه كان خائضاً ساجحاً في بحر هواه راتعاً في غيه ، لا يردعه رادع ، ولا يتقي عاقبة ذلك على نفسه ، يقول :

(١) ابن الخطيب : " الكتيبة الكامنة " ، ص ١٢٤ .

إلى كم أراني في هوى النفس خائضاً ولم أتقِ الإغراق منها على نفسي
وقد شملتني شيبة لم أبت بها فما لي في ليلي و قد طلعت شمسي
غرسْتُ بكفي المعاصي جاهداً ولا شك أني أجتني ثمر الغرس (١)

فالشاعر يعترف بارتكاب المعاصي أيام شبابه ،وها هو ذا يجني ثمر غرسه في مشييه، فقد غُوضَ بشبابه شيئاً ،وقد تولّى عنه ظل الشباب الذي كان يظله و تحول إلى شمس الشيخوخة وهو جد خائف من عاقبة ذنوبه التي اكتسبها ويكتسبها حتى أصبح مثقلاً بها وخوفه من نفسه الأثارة بالسوء يدعوّه إلى الخوف من عاقبة أمره ،لذا يرجو من الرحمن أن يؤمنه من خوفه ويعفو عنه ،فيقول :

فَعُوْضْتُ شَيْباً مِنْ شَبَابِي كَأَنِّي تَوَلَّيْتُ عَنْ ظِلِّ بَرْعَمِي إِلَى الشَّمْسِ
وَقَطَّعِي بَعِيشَ بَعْدَ سِتِّينَ حِجَّةً أَرَى فِيهِ لَبْساً وَالتَّخَوُّفَ فِي اللَّبْسِ
ذُنُوبِي تُتَمِّي كُلَّ يَوْمٍ تَكْسُباً فَيَوْمِي بِهَا فِي الْيَوْمِ أَثْقَلُ مِنْ أَمْسِي
أَلَا أَمَّنَ الرَّحْمَنُ خَوْفِي بِعَفْوِهِ فَإِنِّي مِنْ نَفْسِي أَخَافُ عَلَيَّ نَفْسِي (٢)

وفي الختام يُقرُّ بظلمه لنفسه ويرجو عفو الله عنه فيقول :

أَيَا رَبِّ عَفَواً عَنْ ظُلُومِ لِنَفْسِهِ رَجَاكَ وَإِنْ كَانَ الْعَفَافُ بِهِ أَوَّلِي (٣)

ومحمد بن زهر يُكثر من تأنيبه لنفسه بعد ما علم من شرّها ،فيقول :

وَأَكْثَرُ تَأْنِيبي لِنَفْسِي لِأَنِّي قَتَلْتُ الَّذِي قَدْ كَانَ مِنْ شَرِّهَا عَلَمًا (٤)

أما الأمير سليمان الموحي فيكثر من توجيه النصيح لنفسه زاجراً ومنبهاً لها بمصيرها ومثاها ، قائلاً :

(١) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٠٢ .

(٤) المراكشي : " الذيل و التكملة " ، ج ٦ ، ص ٤٠١ .

يَا نَفْسُ حَسْبُكَ مَا فَرَطْتَ فَازْدَجْرِي عَنْ الذُّنُوبِ فَإِنَّ الْقَبْرَ مَثْوَاكَ^(١)

وتذكير النفس بهذا المثوى الأخير حافز لها لترك المعاصي والاستعداد لهذا المقر والمسكن الذي سوف تسكنه .

هكذا دار الحديث والحوار في لوم النفس على تعنيفها لارتكابها المعاصي ، وزجرها على غيها وإتباع هواها ، والتسويق في التوبة ، مؤنباً لها ومذكراً بمصيرها ومآلها ، داعياً لها إلى المبادرة إلى خلع ثوب المعاصي والإسراع في المتاب .

وهذا الحديث ما هو إلا استبطان من الإنسان لأعماق هذه النفس وما يختلج فيها وما يصطرع ، وهو حديث صادق لا تملق فيه ولا زيف .

الندم ومحاربة إغواء الشيطان :

ابن حمديس يندم ويتحسّر على ما قدم من سيء الأعمال ، راجياً رحمة الله ، فيقول :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جُمْلَةَ أُرْتَدِي بِهَا وَأَصْبَحُ مِنْهَا فِي الذُّنُوبِ كَمَا أُمْسِي

فِيَا وَحْشَتِي مِنْ سُوءٍ مَا قَدَّمْتُ يَدِي إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَبْرِ مِنْ رَحْمَةِ أَنْسِي^(٢)

والبهاء زهير (ت ٦٥٦هـ)^(٣) ، يبكي شبابه الذي ولّى إذ لم ينل فيه نصيبه من اللذة والمتعة

ويتمنى لو يعود ليمأله بالعمل الصالح ، فيقول :

رَحَلَ الشَّبَابُ وَلَمْ أَنْلْ مِنْ لَذَّةٍ فِيهِ نَصِيبي

يَا طَيْبُهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَلَأَ الصَّحَائِفَ بِالذُّنُوبِ

(١) د . الجراري : " الأمير الشاعر أبو الربيع الموحدي " ، ص ٢٢٨ .

(٢) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٢٨١ .

(٣) هو أبو الفضل زهير بن محمد المهلي ، ولد في مكة ثم انتقل إلى مصر مع أهله حيث تلقى علوم الحديث و الفقه .

والأدب ، بدأ حياته العلمية و الأدبية بالتكسب بشعره ، تولى ديوان الإنشاء و لقب بالصاحب . ترجمته في ء الصفدي :

" الوافي بالوفيات " ، ج ١ ، ص ١٨٨ ، و الكتي : " فوات الوفيات " ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ وما بعدها .

أَرْسَلْتُ دَمْعِي خَلْفَهُ فَعَسَاهُ يَرْجِعُ مِنْ قَرِيبِ
هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالسَّمِيعِ وَلَا الْمُجِيبِ
فَقَدْ انْجَلَى لَيْلُ الشَّبَابِ ب وَقَدْ بَدَأَ صُبْحُ الْمَشِيبِ^(١)

فقد كان الشَّيب نذير شؤم لهم بفناء العُمر والاستعداد للآخرة وتذكر المعاصي والذنوب والبكاء على ما مضى من العُمر والتحسُّر على الشَّباب .

الدعوة إلى التَّوبَة :

فابن عبد ربِّه الأندلسي يدعو إلى التَّوبَة والإنابة ، وطلب المغفرة من الله تعالى قبل أن يدرك الموت العبد ، فيقول :

بَادِرْ إِلَى التَّوبَةِ الْخُلَاصَاءِ مُجْتَهِداً وَالْمَوْتُ وَيَحْكُ لَمْ يَمُدِّدْ إِلَيْكَ يَدَا
وَأَرْقُبْ مِنَ اللَّهِ وَعَدَا لَيْسَ يُخْلِفُهُ لَا بُدَّ لِلَّهِ مِنْ إِنْجَازِ مَا وَعَدَا^(٢)

والشريف العقيلي (ت. ٤٥٠هـ) ^(٣)، يوجه النصيح إلى ذلك الأعمى الذي لا يبصر طريق الهدى والرشاد ، ويدعوه لطلب المغفرة من مولاه إذ هو بحاله أخير وأعلم ، يقول :

يَا أَيُّهَا الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ حَتَّامٌ قُلْ لِي سَيِّئَاتِكَ تَكْثُرُ
اسْتَغْفِرِ الْمَوْلَى الَّذِي أَغْضَبَتْهُ يَا عَبْدَهُ الْجَانِي عَسَاهُ يَغْفِرُ
وَاعْطِ النَّصِيحَةَ مِنْ أَخِيكَ بِحَقِّهَا أَوَّلَا ، فَأَنْتَ بِحَالِ نَفْسِكَ أَخْبِرُ^(٤)

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، (دمشق : عنيت بنشره وتصحيحه : إدارة الطباعة المنيرية ، د . ت) ، ص ١٤-١٥ .

(٢) " ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي " ، تحقيق : د . محمد رضوان الداية ، ط (١) ، (دمشق : دار الفكر ، ١٤١١هـ-١٩٩١م) ، ص ٦٣ .

(٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة ، عاش في الفسطاط غنياً شريفاً ، من أهل الجاه والكرم ، شاعر حسن النظم ، معظم شعره مقطعات . ترجمته في : الكتيبي " فوات الوفيات " ، ج ٢ ، ص ٦٠-٦٢ ، وابن العماد : " شذرات الذهب " ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ .

(٤) " ديوان الشريف العقيلي " ، تحقيق : د . زكي المحاسني ، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، د.ت) ، ص ١٧٨ .

بل إنَّ دعوته شملت الزُّهاد أيضاً ، فدعاهم إلى ترك الهزل والتحول إلى حياة الجد والعمل للآخرة والتوبة ، حيث يقول :

يا أَيُّها الزَّاهد في الزُّهد عَرِّجْ عن الهَزَلِ إلى الجِدِّ
فبعدَ نُورِ الشَّيْب لا يُرْتَجَى للمرءِ إلا ظُلْمَةُ اللَّحْدِ
فاحتلَّ من التَّوبَةِ في أَجرِهِ إن شئتَ سَكَنِي جَنَّةُ الخُلْدِ^(١)

فإلى متى يصرّ الناس على المعاصي ؟ ومن أراد الخلاص فليستعن بالله ويطلب منه العفو، ويجعلها مناه وبغيته ، فيقول :

كَمْ إلى كَمْ تَكُونُ أَيدي المعاصي عَاقِدَاتِ أَطرافِها بالتَّوَصِّي ؟
أَيُّها النَّاسُ إن أردتمْ خَلاصاً فَاسْتَعِينُوا عليه بالإِخْلاصِ
ليسَ أَقْصَى المُنَى سِوَى العَفْوِ مَنُ يَرْتَجَى العَفْوَ مِنْهُ يَوْمَ القِصاصِ^(٢)

والمعتمد بن عباد (ت ٥٨٨هـ)، يجعل من نفسه واعظاً، ومما حل به عبرة لأولي الأبصار داعياً إلى طلب المغفرة من الله ، فيقول :

أَقْنَعْ بِحَظِّكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا كَانَا في اللهِ مِنْ كُلِّ مَفْقُودٍ مَضَى عَوْضٌ
وَعَزَّ نَفْسِكَ إنْ فَارَقْتَ أوطاناً فَأشْعِرِ القلبَ سُلْواناً وإيماناً
أَكَلَمَّا سَنَحْتَ ذِكْرِي طَرَبْتَ لها مَجَّتْ دُمُوعُكَ في حَدِّكَ طُوفاناً
وَطَنَ على الكُرهِ وَارْقُبْ إِثْرَهُ فرجاً وَاسْتَغْفِرِ اللهَ تَغْنَمْ مِنْهُ غُفْراناً^(٣)

ومحمد بن زهر يدعو الناس إلى تقوى الله والفرع إليه مستغفرين تائبين مما كان من تقريظهم في جنب الله ، قائلاً :

فيا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وافْزَعُوا إِلَيْهِ وإلاَّ فَاحْذَرُوا النِّقْمَةَ العُظْمَى

(١) " ديوان الشريف العقيلي " ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٩١ .

(٣) " ديوان المعتمد بن عباد " ، جمع وتحقيق : د. رضا الحبيب السويسي ، (تونس : الدار التونسية للنشر، ١٩٧٥م)

وَتُوبُوا لَهُ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَأَخْلَصُوا لِمَا كَانَ مِنْ تَفْرِيطِكُمْ تَوْبَةً عَزَمًا^(١)

جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هـ)^(٢)، يدعو نفسه ومن معه بعد أن ظنَّ النَّاسَ فيهم الظَّنَّ، فأراد أن يحققوا ظنَّهم ويتوبوا، فيقول :

تَوَهُمَ فِينَا النَّاسُ أَمْرًا وَصَمَّمَتْ	على ذاكَ منهم أنْفُسٌ وقلوبُ
وظَنُّوا وَبَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَكُلُّهُمْ	لأَقْوَالِهِ فِينَا عَلَيْهِ ذُنُوبٌ
تَعَالِ نَحْقِظْ ظَنَّهُمْ لِنُريهِمْ	من الإِثْمِ فِينَا مَرَّةً وَنُتُوبُ ^(٣)

الجانب التصويري :

فابن حمديس يصوِّر الدُّنيا ذات أمانٍ كاذبة، ووعود واهية، وهي بثست الصَّاحبة، ويرى دقائق ساعاتها تأكل في عمر الإنسان وتسلبه بُردَ شبابه، حيث يقول:

فَرَعْتَ لِصُنْعِكَ مَا لَا يَقِيكَ	كَأَنَّكَ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ
وَعَرَّتْكَ دُنْيَاكَ إِذْ فَوَّضْتَ	إِلَيْكَ أَمَانِيَّهَا الْكَاذِبَةَ
أَصَاحِبَةٌ خَلَّتْهَا؟ إِنَّهَا	بِأَحْدَاثِهَا بَثَّتِ الصَّاحِبَةَ
أَمَا سَلَبْتَ مِنْكَ بُرْدَ الشَّبَابِ	فَهَلْ يَسْتَرِدُّ مِنَ السَّالِبَةِ؟
وَإِنَّ دَقَائِقَ سَاعَاتِهَا	لِعُمُرِكَ أَكَلَةٌ شَارِبَةٌ
أَلَمْ تَرَهَا بِحِصَاةِ الرَّدَى	لِكُلِّ حَمِيمٍ لَهَا حَاصِبَةٌ ^(٤)

(١) المراكشي: "الذيل والتكملة"، ج ٦، ص ٤٠٠.

(٢) هو محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، صاحب لسان العرب، قاضي تفرّد وعمر، كان فاضلاً عنده تشيع، خدم في الإنشاء بمصر ثم ولي طرابلس، و اختصر كتباً كثيرة، منها: الأغاني، وزهر الآداب، والحَيوان، واليتيمة، والذخيرة.

ترجمته في: الصفدي: "وفيات الأعيان"، ج ٥، ص ٥٤-٥٧، والكتبي: "وفيات الوفيات"، ج ٢، ص ٥٢٤.

(٣) الصفدي: "الوافي بالوفيات"، ج ٥، ص ٥٥.

(٤) "ديوان ابن حمديس"، ص ٤٠-٤١.

ومن الشعراء من صور المرحلة الأولى من حياته ، كمحمد البلوي ، الذي أقرَّ بعصيانه
لربِّه في شبابه الذي أمضاه في البطالة واللَّهو ، فيقول :

عَصَيْتُكَ جَهْلًا ثُمَّ جِئْتُكَ نَادِمًا مَقْرَأٌ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ
مَضَى زَمَنٌ لِي فِي الْبِطَالَةِ لَا هَيَا شَبَابِي قَدْ وَلَّى وَعُمْرِي ذَاهِبٌ^(١)

كما صور محمد بن زهر، لحظة من لحظات الشدائد التي مرت بقومه مذكرا إياهم بحق
الله عليهم بعد أن نسوا ذلك أو تناسوه عندما غمرتهم النعمة والعافية، حين أصاب القحط
البلاد في الشتاء ، ثم توالى سقوط المطر في الصيف ، مما أدى إلى كثرة الأوبئة وتفشي
الأمراض بين النَّاس وكان ذلك سنة أربع وتسعين وخمسمائة للهجرة ، حيث يقول :

أَيَقَحَطُ مَشْتَانًا وَيُمَطِّرُ صَيْفَنَا لَقَدْ صَارَتِ الْبُؤْسَى بَدِيلًا مِنَ النَّعْمَى
أَرَى دِيمَةً فِي جَمْرَةِ الْقَيْظِ أَغْدَقَتْ كَمَا يَغْدُقُ الْحُمُومُ مِنْ صَالِبِ الْحُمَى
لَقَدْ جَادَ صَوْبَ الْمَزْنِ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ حَرَمْنَاهُ دِرْيَاقًا وَنَمْنَحُهُ سُمْمَا
وَمَا الْقَطْرُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ إِذَا انْتَهَى عَدَّوًا فَلَا بَقِيَا لَدَيْهِ وَلَا رَحْمَى
كَذَا تَقْتَضِي أَعْمَالُنَا السُّوءَ إِنِّي لِأَخْشَى عِقَابًا شَرَّهُ يَشْمَلُ الدَّهْمَا^(٢)

وابن حمديس ، يرى الشَّيبَ نجوما لامعة بيضاء لا تغور، في حين مات بذلك شبابه فلا
رجعة له ولا نشور ، فيقول :

غَمَرَ الشَّيْبُ الدُّجَى مِنْ لَمَمِي بِنُجُومٍ طُلَعِ لَيْسَتْ تَغُورُ
لَا نُشُورٌ لِشَبَابِي بَعْدَمَا مَاتَ مِنْ عُمْرِي إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
وَحِصَابُ الشَّيْبِ لَا أَقْبَلُهُ إِنَّهُ فِي شَعْرِي شَاهِدٌ زُورٌ^(٣)

(١) ابن الخطيب : "الإحاطة" ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ .

(٢) المراكشي : "الذيل والتكملة" ، ج ٦ ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

أغدقت : " غَدَقْتُ يَغْدُقُ غَدَقًا فَهُوَ غَدَقٌ إِذْ كَثُرَ التَّدْيُ فِي الْمَكَانِ أَوْ الْمَاءُ ، وَ الْمَاءُ الْغَدَقُ : الْكَثِيرُ " انظر ، ابن منظور :

" لسان العرب " ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ ، مادة " غدق " .

(٣) " ديوان ابن حمديس " ، ص ١٩٨ .

فلفظة " غمر " تدل دلالة واضحة على انتشار الشَّيب في رأسه ، دلالة على كبره وتولَّى ظل الشباب الذي كان يظله رغما عنه ، فيقول :

فَعُوْضْتُ شَيْبًا مِنْ شَبَابِي كَأَنِّي تَوَلَّيْتُ عَنْ ظِلِّ بَرْعِمِي إِلَى الشَّمْسِ
وَقَطَعِي بَعِيشَ بَعْدَ سِتِينَ حِجَّةً أَرَى فِيهِ لَبْسًا وَالتَّخَوُّفَ فِي اللَّبْسِ^(١)

وقد زال شبابه ولبه الذي كان يستتر به وظهر فخاره وطلعت شمسُه ، فيقول :

وَقَدْ شَمَلَتْنِي شَيْبَةٌ لَمْ أَتْ بِهَا فَمَالِي فِي لَيْلِي وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسِي^(٢)
وَأَبُو إِسْحَاقَ الْأَلْبِيرِي وَصَفَ الذُّنُوبَ ثَقِيلَةً، وَلَا يَخْفَفُ ثَقْلُهَا عَنْهُ سِوَى عَفْوِ اللَّهِ، فيقول :

وَإِنْ تَعَفُّوْا فَعَفْوُكُمْ قَدْ أَرَانِي لِأَفْعَالِي وَأَوْزَارِي الثَّقَالِ^(٣)

وابن حمديس يراها عيوباً يستحي منها ، ويطلب من مولاه أن يسترها ، فيقول :

فَيَا رَبَّ إِنِّي فِي الْخُضُوعِ لِقَائِلٌ : ذُنُوبِي عِيُوبِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فَاسْتَرْهَا^(٤)

وهي عظيمة حتى ظنَّ الناس أن الله لن يغفرها لعبده، خلف بن فرتون ، إذ يقول :

أَيَّ أَسْوَئِي لَمَّا تَعَاظَمَ ذَنْبِي أَتَرَاهُمْ هُمْ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ؟^(٥)

وتتكرر الصورة عند سليمان الموحدي فهي ثقيلة قد أثقلت كاهله حتى غرق في بحر أوزاره ، حيث يقول :

قَصِدْتُكَ لَمَّا أَثْقَلَ الذَّنْبُ كَاهِلِي فَلَا تُرْجِعْنِي مُخْفِرَ السَّعْيِ خَائِبًا
أَجْرَنِي أَوْزَارًا غَرِقْتُ بِبِحْرِهَا وَخُذْ بِيَدِي إِنِّي أَتَيْتُكَ تَائِبًا^(٦)

(١) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٢٨١ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٨١ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٦٤ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٦٤ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٦٥ .

(٦) د . الجراري : " الأمير الشاعر أبو الربيع الموحدي " ، ص ٢٢٨ .

ابن عبد ربّه يصوّر العبد أثناء لجوئه إلى ربّه وهو يجهش بالبكاء ، قد كحل بالهجوم
مقلته ، وسقى الأرض من دمه حتى أعشبت ، فيقول :

مَدَامَعُ قَدْ حَدَدْتُ فِي الْخُدُودِ وَأَعَيْنُ مَكْحُولَةً بِالْهُجُودِ
وَمَعَشَرٌ أَوْ عَدَهُمُ رَبُّهُمْ فَبَادَرُوا خَشْيَةَ ذَاكَ الْوَعِيدِ
فَهُمْ عُكُوفٌ فِي مَحَارِيِبِهِمْ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ
قَدْ كَادَ أَنْ يَعْشَبَ مِنْ دَمِهِمْ مَا قَابَلْتُ أَعْيُنَهُمْ فِي الشُّجُودِ^(١)

وسلام الباهلي (ت ٥٤٤هـ) ، حين شعر بقرب أجله تفكر في حاله ومآله مصوراً ذلك
بأنه صار رهن قبر أصبح بديلاً عن منزله ، منفرداً ، أسير ذنوبه التي سيحاسب عليها ،
حيث يقول :

وَهَا أَنَا الْيَوْمَ رَهْنُ قَبْرِ أَصْبَحَ مِنْ مَتَرِي بَدِيلاً
مُنْفَرِداً لَا أَرَى قَرِيْباً وَلَا حَمِيْماً وَلَا خَلِيْلاً
رَهْنُ ذُنُوبٍ تَقَدَّمَتْ لِي حَمَلْتُ مِنْ غِيَّهَا ثَقِيْلاً^(٢)

ويصوّر اليوم الآخر ، يوم تعرض أعمال العباد بين يدي الله ، وهم صغار أذلاء ، فيقول :

فَمَا اعْتَذَارِي إِذَا دَعَانِي لِلْعَرَضِ مُسْتَصَغِراً ذَلِيْلاً
وَقَالَ لِي : مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ يَا ظَالِماً جَهُولاً
فَرُبَّ دَاعٍ بظَهْرٍ غَيْبٍ قَابِلٍ مِنْ رَبِّهِ الْقَبُولَ^(٣)

ومحمد بن ولّاد ، يصوّر حاله في قبره منفرداً بلا أنيس ، فيقول :

مَنْ ذَا يُؤْنِسُنِي فِي الْقَبْرِ مُنْفَرِداً إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ يَا مَوْلَايَ تُؤْنِسُنِي
وَسَوْفَ يَضْحَكُ خَلٌّ قَدْ بَكَى جَزْعاً بَعْدِي وَيَسْلُو الَّذِي قَدْ كَانَ يَنْدُبُنِي^(١)

(١) " ديوان ابن عبد ربّه الأندلسي " ، ص ٧٤ .

(٢) المراكشي : " الذيل والتكملة " ، ج ٤ ، ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٥٤ .

واليوم الآخر يوم عظيم يطالب فيه العباد بما قدّموا وأخروا، ويوضع فيه الميزان بالقسط
للحكم لهم أو عليهم، وفيه تطيش العقول ويفرّ المرء من أخيه وصحبه، هذه الصّورة القرآنية
نقلها الشّاعر محمد البلوي في قوله :

وَيَوْمًا عَظِيمًا أَنْتَ فِيهِ الْمُطَالِبُ	وَإِنِّي لِأَخْشَى فِي الْقِيَامَةِ مَوْقِفًا
وَجَاءَ شَهِيدٌ عِنْدَ ذَاكَ وَكَاتِبٌ	وَقَدْ وُضِعَ الْمِيزَانُ بِالْقِسْطِ حَاكِمًا
وَفَرَّ عَنِ الْإِنْسَانِ خِلٌّ وَصَاحِبٌ ^(٢)	وَطَاشَتْ عَقُولُ الْخَلْقِ وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ

(١) انظر: الشاهد : ص ٥٢ .

(٢) ابن الخطيب : "الإحاطة"، ج ٣، ص ٢٢٠-٢٢١ .

الفصل الثاني

ظاهرة المحصّات في الشعر المقصّد

مباحثه :

- المبحث الأول : التعريف بالظاهرة ونشأتها وسبب تسميتها و الفرق بينها وبين شعر الزّهد .
- المبحث الثاني : محصّات جرت مجرى النقائص
- المبحث الثالث : محصّات نُصّ عليها .

شعر المُمَحَّصَات :

شعر " المُمَحَّصَات : " أحد جوانب شعر التَّوْبَة والاستغفار، إذ كان نظم الشَّاعر له بدافع التَّكْفِير عن شعر نظمته في المرحلة الأولى من حياته أيام كان يخوض في لُجَّة اللّهُو والمجون، ولكن الباحثين لم يتتبعوا هذا التَّوَّع من قبل، عند شعراء المشرق إذ كان مبتدعه شاعر الأندلس، أحمد ابن عبد ربّه، كما أشار إلى ذلك الحميدي (ت ٤٨٨ هـ)، حيث يقول: "ولأحمد بن محمد بن عبد ربّه أشعار كثيرة جداً سَمَّاهَا المُمَحَّصَات، وذلك أنّه نقض كل قطعة قالها في الصُّبَا والغزل بقطعة في المواعظ والزُّهْد، مَحَّصَهَا بها، كالتَّوْبَة منها، والنَّدَم عليها" ^(١) وهذا يعني أن المُمَحَّصَات تعتمد على أسلوب النقائض الذي يقوم على، واتفاق القصيدتين في البحر و الروى، واختلافهما في الموضوع والمضمون.

ونجد إشارات في بعض المصادر والدراسات الحديثة، مثلاً إلى مُمَحَّصَات أَبِي عَقَال (ت ٢٩١ هـ)، والشريف العقيلي " فكما كفر أبو عقال، وابن عبد ربّه صاحب العقد الفريد كفر الشريف العقيلي، صنف النصوص على أساس أبجدي وختم بنص أو أكثر من الشَّعر الرُّوحي " ^(٢)، ولابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ)، مُمَحَّصَات شعرية نقض فيها قصيدتين لأبي تمام ^(٣).

هذه الظاهرة ربما لمحها ابن عبد ربّه بنظرته الثاقبة عند من سبقه من الشُّعراء فاقتفى أثرها وأضاف إليها عنصر " التضمين " بل هو نفسه نجد عنده قصائد مُمَحَّصَة في الزهد تعتمد على اتفاق الوزن والقافية خلت من هذا العنصر التضميني، ربما كانت هي الأولى في النظم إذ كان لا يزال غصنه غصاً رطباً في النظم، وحين اشتد عوده وقوي ساعده، وتمكن من ناصية النظم، نجده يضيف إلى ذلك التَّوَّع من الشَّعر عنصر التضمين كنوع من التجديد

(١) " جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس "، تحقيق: د. إبراهيم الأبياري، ط (١)، (بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م)، ص ١٠٢.

(٢) د. جاب الرب، إبراهيم: " شعر الشريف العقيلي، موضوعاته وعلاقتها بالشعر العربي والبيئة والشاعر"، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٧ م)، ص ٢٠١.

(٣) " رسائل ابن حزم الأندلسي "، تحقيق: د. إحسان عباس، ط (١)، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م)، ج ١، ص ٣٠١.

والتفرد ، ويبدو أنّ ما دعاه إلى ذلك كانت حاجة ماسة في نفسه ، وهي شدة الشعور بالإثم والرغبة في التكفير والتّوبة والبراءة مما قاله سالفاً ، خوفاً من سوء العاقبة بعد الموت ، بعد ما بزغ فجر الشّيب ، وعنوان الموت ، ونذير الآخرة ، والمؤذن بالفناء ، فالاستمرار في نظم هذا النوع من شعر المجون - في رأيه - من أشد ما يدعو إلى الاستمرار في طريق الغي واللّهو فالرغبة في تبديل الطريق الذي كان يسلكه هؤلاء الشعراء لا يمكن أن يحصل إلاّ بدافع ورغبة من أنفسهم ، وصدق في التّوبة .

مُسَمَّى الْمُحَصَّات :

لعل من المفيد قبل البدء بدراسة " المحصّات " إحدى الأغراض الشعريّة التي عُرف بها ابن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ) في شعره الزّهدي ، أن أطرح تساؤلاً عن هذه التسمية محاولة مني أن أعثر على إجابة ، وهذا التساؤل هو :

هل هذه التسمية - المحصّات - من اختراع الشاعر ابن عبد ربّه ، أم أنّه اقتبسها من المشاركة ؟

إذا عرفنا بأنّ الأندلسيين سلكوا سبيل المحاكاة والتقليد للأدب المشرقي ، - الذي كان بمثابة الأم - بدافع الانتماء إذ كان ولعهم بكل ما هو مشرقي عجيب ، حيث تسمّوا بأسماء الشعراء والشاعرات المشاركة ، ولقبوا شعراءهم بألقابهم ، والمتعارف عليه عند الأدباء والعلماء المشاركة في القدم إطلاق الأسماء والعناوين على بعض القصائد المفردة : كبردة كعب بن زهير (ت ٢٦هـ) ، وسينية البحتري (ت ٢٨٦هـ) ، بل إنهم لم يستثنوا من ذلك القصائد المجموعة التي عرفت واشتهرت عند شاعر أو شعراء بعينهم ، فورثنا عن الجاهليين المعلقات ، و حوليات زهير ، واعتذارات النابغة ، ووقفنا على اختيارات الأصمعي (ت ٢١٦هـ) المسماة " بالأصمعيات " ، والمتأثر فيها بمن سبقه من علماء العرب ، أمثال المفصّل الضبي (ت ١٧٥هـ) في كتابه " المفضليات " ، وهي مجموعة من القصائد المختارة جمعها للخليفة المهدي (ت ١٦٩ هـ) بطلب منه .

وجرت العادة على إطلاق مثل هذه المصطلحات والأسماء على القصائد تميزا لها ،
كما فعل أبو زيد القرشي ، في جمهرته عندما قسم أشعار الشعراء الجاهليين والإسلاميين
إلى مجموعات ، وأطلق على كل مجموعة منها اسما يخصها به كالمجمهرات، والمنتقيات ،
والمذهبات ، والمشوبات^(١)

وانتقلت العدوى إلى الأبناء ، فاقتفوا أثر الآباء ، واشتهر الشعراء وعُرفوا بنوع من
الأغراض الشعرية التي غلبت على بعضهم حتى نسبت إليه ، كخمریات أبي نواس
وزهدیات أبي العتاهية ، وتشبيهات ابن المعتز ، و سيفيات المتنبي (ت ٣٥٤هـ) وروميات
أبي فراس (ت ٣٥٧هـ) ، وحجازيات الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) ، ولزوميات أبي
العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) ، واتسع الأمر وتشعب في العصر العباسي الثاني ، والعصور
التي تلتها، فوجدت روضيات الصنوبري (ت ٣٣٤هـ)^(٢)، وقصائد الزهريات ، و الربيعيات،
و الثلجيات ، و الداريات والبرذونيات، والفينيات ...^(٣)، وما إلى ذلك من تسميات
مجموعة من القصائد التي ولدت في أحضان الجاهليين ثم ترعرعت وتشعبت في العصور
التالية عند الخيام (ت ٥١٧هـ) في رباعياته ، ووصلت إلى عصر المماليك عند صفى الدين
الحلي في أرقياته و ناصرياته ، فالأمر إذن يجري مجرى التقليد والمحاكاة عند المشاركة
أنفسهم .

يقول علي البهائي (ت ٨١٥هـ) : " من روى حوليات زهير ، واعتذارات النابغة
وأهاجي الخطيئة ، وهاشميات الكميت ، وقلائص جرير ، وخمریات أبي نواس ، وتشبيهات

(١) انظر : " جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام " ، حققه وضبطه وزاد في شرحه : علي محمد البجاوي ،

(القاهرة : دار تحفة مصر ، د.ت) ، ص ٩٨ - ١١١ ، ١١٣ ، ٣٤٧ ، ٤٣١ ، ٤٩٢ ، ٦١٧ ، ٦٩٣ .

(٢) انظر : " ديوان الصنوبري " ، تحقيق : د. إحسان عباس ، ط (١) ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٣٩٠هـ) . ص : ٢٠ .

١٤١ ، ١٥٥ ، ١٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٩ ، وغيرها .

(٣) انظر : الثعالبي، أبو منصور: " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، تحقيق : د. مفيد قميخة ، ط (٢) ، (بيروت :

دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

ابن المعتز ، وزهديات أبي العتاهية ، ومراثي أبي تمام ، ومدائح البحتري ، وروضيات الصنوبري ، ولطائف كشاجم^(١) ، ولم يُخرَج في الشعر فلا أشبَّ الله قرنه^(٢) .
وهذا القول يدل على إعجاب القدماء بهذه القصائد وحفاوتهم بها ، حتى عدّوها من الأصول التي تنمي الموهبة وتصقلها .

هذه القضية - قضية التقليد واقتفاء آثار السابق - أمر معروف منذ العصور الأولى للأدب ، أشار إلى ذلك بن سلام (ت ٢٢٣هـ) ، " في طبقاته " ، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في " الشعر والشعراء " ، فليس غريباً أن ينتقل التأثير إلى الأندلس عن طريق اللغويين والمؤدبين من العلماء الذين وصلوا إليها قادمين من المشرق ، حاملين معهم دواوين الشعراء وكتب العلماء والأدباء المشاركة ، لتربية ذوق الإنسان العربي في الأندلس عليها ، وصقل موهبته ، أمثال: أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمان (ت ٣٩٥ أو ٣٩٦ هـ) (٣) عباس بن ناصح الجزيري (ت ٢٣٨ هـ) (٤) ، وأبي علي القالي (ت ٣٥٦ هـ) الذي نقل معه مجموعة شعرية ضخمة من الدواوين و القصائد من جاهلية وإسلامية ، وشعر المحدثين وغيرها ، ولا ننسى كتابه " الأمالي " الذي أملاه وهو في الأندلس ، " فقد كان

(١) انظر : "ديوان كشاجم" محمود بن الحسين ت ٣٦٠هـ ، تحقيق : د. النبوي عبد الواحد شعلان ، ط (١) ،

(القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

(٢) " مطالع البدور في منازل السرور " ، ط (١) ، (لم يذكر اسم البلد ، مطبعة إدارة الوطن ، ١٢٩٩ هـ) ، ص ٧٠٤ .

(٣) هو عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد الصديقي ، فاضل من أهل طليطلة ، كان الناس يرحلون إليه لسعة روايته وعلمه .

ترجمته في : ابن بشكوال : " الصلة " ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .

(٤) هو أبو العلاء عباس بن ناصح الثقفي الجزيري ، تردد على قرطبة ، و ولي القضاء على الجزيرة ، و رحل إلى المشرق من أجل العلم ثم رجع ، كان من ذوي الفصاحة ، عالماً باللغة و الحديث و قد غلب عليه الشعر .

ترجمته في : السيوطي : " بغية الرعاة " ، ص ٣٧٦ ، و ابن سعيد : " المغرب " ، ج ١ ، ص ٤٥ ، ٣٢٤ - ٣٢٥ ، المقرئ : " نفح الطيب " ، ج ١ ، ص ٣٤٣ ، ج ٢ ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، ج ٣ ، ص ٤٢٤ .

الأندلسيون يحنون إلى المشرق ، وكان شعراؤهم يقتفون أثر الشعراء المشارقة ، ولذلك كانت فنون الشعر تنضج في الأندلس بعد أن تكون قد بلغت أوجها في المشرق " (١).

ويُقرُّ **الصاحب بن عباد** (ت ٣٣٥هـ) بمبدأ الاحتذاء والتقليد من جانب الأندلسيين وأخذهم من المشارقة حين عُرض عليه كتاب "العقد الفريد" بمقولته المشهورة : " هذه بضاعتنا ردت إلينا " إذ كان الكتاب يحتوي على أخبار ونصوص مشرقية ، بل إن الكتاب سلك فيه ابن عبد ربّه منهج ابن قتيبة في " عيون الأخبار " (٢) ، فليس من الغريب أن يكون قد اطلع على أشعار المشارقة ومؤلفاتهم ، بل إن الأرجوزة العروضية التي وجدت في ديوانه تدل على معرفته بهذا العلم وبالتالي لمح بنظرته الثاقبة العلاقة بين شعر أو قصيدة الزهد المحصّنة ، والقصيدة الأخرى الممحّص عنها ، فأطلق مثل هذه التسمية - الممحّصات - على هذه القصائد التي أشار إليها ، فتبعية الأدب الأندلسي للأدب المشرقي جعلته يقتبس من المشارقة طريقتهم في إطلاق أسماء على قصائدهم تمييزاً لها ، لأنّه جزء لا يتجزأ من كيان الأدب العربي ، وهذا ما يؤكده ابن بسام (ت ٥٤٢هـ) بقوله : " إنّ أهل هذا الأفق - يعني الأندلس - أبوّ إلاّ متابعة أهل المشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قنّادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثّوا على ذلك صنماً وتلوا ذلك كتاباً مُحْكَمًا " (٣).

وابن عبد ربّه نفسه يُقرُّ بمبدأ التقليد من السابقين ، ويعتبره وسيلة من وسائل إتقان الشعر ، إذ يقول : " إن دراسة وسائل الشعر من المتقدمين تفتق اللسان ، وتقوي البيان ، وتشجّد الطبع ، وإنه يجب على الشاعر المقلد أن تكون له أداة تولد بنات ذهنه وفكره ، والذي لم تكن له هذه الأداة في توليد هذه الصورة الجديدة فهو لم يكن من صناعة الشعر

(١) د. الشكعة ، مصطفى : " فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين " ، (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨١م) ، ص ٧٠٤

(٢) د. الشكعة ، مصطفى : " مناهج التأليف عند العلماء العرب القدامى " ، ط (٩) ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٦م) ، ص ٣١٣-٣١٤ .

(٣) " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥م) ، ج ١ ، ص ١٢ .

في غير ولا نفي^(١)، وهذا ما نلمحه في محصته المشهورة إذ استخدم أداة ولدت عنده صورة جديدة، وهي "عنصر التضمن"، في القصيدة المَحْصَة إذ ضمنها شرطاً من مطلع القصيدة المَحْص عنها ففي محصته التي مطلعها:

يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدرُ ولا يُقضى له من عيشه وطرُ^(٢)

يضمن آخرها بشرط من مطلع القصيدة المَحْص عنها، إذ يقول:

أنت المَقُولُ له ما قلتُ مُبتدأً هَلَّا ابتكرتَ لبين أنت مُبتكرُ^(٣)

وهنا يكمن عنصر التجديد في هذه المَحْصَة. هذا التضمن نلمح شبيهاً له في قصيدة لابن الرومي، في ذم الدنيا، حيث يضمن آخرها شرطاً من مطلعها، فيقول:

يَا لَهْفَ نَفْسِي لِلْأَحْبَةِ	و رَجَائِهِمْ غَوْتَ الْأَطْبَةِ
لَمْ يَشْفِهِمْ كَدُّ الطَّيِّبِ	و لَا عِنَايَتُهُ الْمَكْبَةِ
لَمْ تَقْضِ حَاجَتَهُمْ وَلَا	نَفَعَتْهُمْ نَفْسُ مُحِبِّةٍ
مَا زَارَهُمْ فَرَحٌ وَلَا	كَانَتْ كُرُوبُهُمْ مُغِبَّةٍ
تَرَحُّلاً لِدَارٍ إِنَّمَا	سُكَانُهَا رِفْقٌ مُنْجِبَةٍ
تَقْتَادُهُمْ نَحْوَ الرَّدَى	طُرُقٌ إِلَيْهِ مُسْتَبِةٍ
دَارٌ غَرِيبٌ خَيْرُهَا	و تَرَى الشُّرُورَ بِهَا مُرَبَّةٍ
أَذَوَتْ وَغَابَ دَوَاؤُهَا	عَنْ كُلِّ نَفْسٍ مُسْتَطَبَّةٍ
وَصَفَتْ مُحِبَّةٌ أَهْلَهَا	مِنْهَا لِمَدْغِلَةٍ مُضَبَّةٍ
نَامُوا عَلَى صِيحَاتِهَا	بِهِمُ الشَّدَادُ الْمُسْتَهَبَّةِ
كَمْ غَرَّ قَوْمًا حُلُوهَا	مِنْ مُرَّهَا إِلَّا الْأَلْبَةَ

(١) "العقد الفريد" شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم

الأيباري، ط(٣)، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م)، ج ٥، ص ٣٩٤.

(٢) "ديوان ابن عبد ربه الأندلسي"، ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٨٦.

فَتَهَافَتُوا فِي شَهْدِهَا فَتَهَالَكُوا مِثْلَ الْأَذْبَةِ
مَا آتَى الْإِنْسَانَ بِالذُّ نَيَا الدُّبُوبِ لَهُ الْمَدْبَةِ ؟
تَغْدُو عَلَيْهِ عَدُوَّةٌ وَيُعْدُّهَا أَمَا وَحْبَةٌ
يَا لَهْفَ نَفْسِي لِلْأَحْبَةِ لَوْ شَفَى اللَّهْفَ الْأَحْبَةُ^(١)

وعلى هذا يمكن القول : إنَّ مثل هذه النماذج المشرقية قد اطلع عليها ابن عبد ربّه ، فقدحت في ذهنه شرارة هذا الفن ، وكأنّه بهذا الاقتباس يلفت نظر الباحثين والدارسين لهذه العلاقة بين شعر الصِّبَا والشُّبَاب ، شَعْرُ اللَّهْوِ والمجون و شَعْرُ الزُّهْد ؛ لجمعها ودراستها ، كونها تحمل بين طياتها جانبا فنيا جديدا يزيد في إثراء الأدب العربي وروعته وأصالته ، ويضيف إليه خصوصية جديدة تميزه عن غيره من الآداب .

الفرق بين شعر الزُّهْد وشعر الْمُحَصَّات :

عَرَفَ الشَّعْرَ الْعَرَبِيَّ الزُّهْدَ الَّذِي عَمِرَ عَنْهُ الشُّعْرَاءُ مِنْذُ الْقَرْنِ الثَّانِي الْمُهْجَرِيِّ ، فَلَا يَكَادُ يَخْلُو دِيْوَانُ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الْغَرَضِ حَتَّى عِنْدَ مَنْ عَرَفُوا بِالْمُجُونِ مِنْ أَضْرَابٍ : أَبِي نَوَاسٍ وَبِشَارِ بْنِ بَرْدٍ مِنْ قَبْلِهِ . وَلَعَلَّ هَذَا الْغَرَضُ فِي تَارِيخِ الشَّعْرِ كَانَ نَتِيجَةً لِمَا عَرَفَتْهُ الْمَجْتَمَعَاتُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مِنْ إِسْرَافٍ فِي الْمُجُونِ ، وَالتَّهَافُتِ عَلَى مِلَذَّاتِ الْحَيَاةِ ، فَكَانَ شَعْرُ الزُّهْدِ رَدًّا فَعَلَّ يَقَابِلُ هَذَا الْإِسْرَافِ ، كَمَا نَجِدُ أَنَّ جَمَاعَاتٍ تَكُونُ مِنَ الزُّهَادِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ كَرَدَةً فَعَلَّ لِهَذَا التَّيَّارِ الْجَارِفِ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى الْحَيَاةِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْآخِرَةِ ، وَتَرَكَ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّرْعُ الْخَفِيفَ . وَلَكِنْ هَذَا الشَّعْرُ الَّذِي عَرَفَ " بِالْمُحَصَّاتِ " وَإِنْ التَّقَى مَعَ شَعْرِ الزُّهْدِ فِي التَّوْبَةِ وَتَرَكَ الْمَعَاصِيَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَوْبَةً عَنْ عَمَلٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ ارْتَكَبَهَا الشَّاعِرُ ، بَلْ هُوَ تَوْبَةٌ عَنْ قَوْلٍ ، أَيْ شَعْرَ قَالَهُ الشَّاعِرُ فِي لَحْظَاتٍ مِنَ الضَّعْفِ الْبَشَرِيِّ ، فِيهِ إِسْرَافٌ وَعَبَثٌ وَبُجُونٌ ، وَهُوَ الْآنَ يَعْتَذِرُ عَنْهُ ، وَإِذَا كَانَ الشُّعْرَاءُ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ فَقَدْ لَا يَصِيبُهُمْ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَذِرَ عَنْهُ ، وَلَعَلَّهُمْ شَعَرُوا بِأَنَّ مِنْ شَعْرِهِمُ الَّذِي اعْتَذَرُوا عَنْهُ مَا يَدْعُو إِلَى مِثْلِ هَذَا الْإِسْرَافِ فِي الْمُجُونِ وَاللَّذَّةِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الشَّهَوَاتِ الَّتِي حَفَّتْ بِهَا جَهَنَّمَ .

هذا الذي جعل مثل هذا الشَّعْرَ - شعر المُحَصَّاتِ - يختلف عن شعر الزُّهْدِ بالرَّغْمِ مِنَ التَّقَاءِ الْغَرَضِيِّ فِي الزُّهْدِ وَالتَّوْبَةِ مِنْ أَعْمَالٍ سَابِقَةٍ ، وَقَلَّ أَنْ نَجِدَ فِي شَعْرِ الزُّهْدِ أَنَّ الشَّاعِرَ

(١) "ديوان ابن الرومي" ، ج ١ ، ص ١٧٧-١٧٨ .

يذكر عملا فعله هو بل إن كثيرا منهم يحذر من مغبة المعاصي ويحض على الفضيلة ويرغب فيها ، وربما دعا إلى الزهد في الملذات والإقبال على الشهوات ، وهذا يجعل الشعر تجديدا عاما ، أما شعر " المحصّات " فهو شعر ذاتي موجه إلى النفس - نفس الشاعر - إلى ذاته ، وهذا يضيف على الشعر خصوصية ومواجهة للنفس وتعمق في أغوارها ، وتفكر في أحوالها : ضعفها وقواها ، ضلالها وهداها ، فهذا الذي جعل لغة الشعر في قصائد الزهد التقليدي تختلف عن لغة الشعر في قصائد أو موشحات المحصّات من حيث الموسيقى والصدق العاطفي ، والذاتية التي تدعو إلى البوح والاعتراف بالخطأ .

المبحث الثاني

مُمَحَّصَات جرت مجرى النقائض

أبـرر الشـعراء :

- ١ - أبو نواس - الحسن بن هانئ - (ت ١٩٩هـ)
- ٢ - أبو العتاهية - إسماعيل بن القاسم - (ت ٢١١هـ)
- ٣ - ابن الرومي - علي بن العباس - (ت ٢٨٣هـ)
- ٤ - عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)
- ٥ - أحمد بن عبد ربّه (ت ٣٢٨هـ)
- ٦ - الشريف العقيلي علي بن الحسين بن حيدرة (ت ٤٥٠هـ)
- ٧ - عبد الجبار بن حمديس (ت ٥٢٧هـ)
- ٨ - أبو الفضل بماء الدين زهير (ت ٦٥٦هـ).

مُحَاطَة أَبِي نَوَاس (ت ١٩٩ هـ)

مطلعها :

يَا سَائِلَ اللَّهِ فُرْتُ بِالظَّفَرِ وَبِالنَّوَالِ الْهَنِيِّ لَا الْكَدْرِ^(١)

مستفتحا القصيدة بالنداء إلى كل من يتوجه إلى الله - سبحانه و تعالى - بالسؤال والدعاء ، راغبا في عفوه ومَنِّه ، ويث إليه البشرى بالفوز والظفر بإجابة الله لدعائه ، فهو الذي لا يخيب سائله ، و يجيب دعوة الدَّاع إذا دعاه، داعيا إلى التوجه إلى الخالق وأخذ الحذر والحيلة من مغبة السعي وراء شهوات النفس ، مستنكرا على قلبه الاشتغال بالترهات، لاهيا عن ما ينتظره في آخرته من حساب وعقاب ، وجَنَّة ونار ، ومن قبل ذلك انشغاله بتوافه الحياة الدُّنيا عن الموت والقبر . وقد عَمَّ في النداء ، حيث استعمل "أم الباب (يا)^(٢) التي ينادى بها القريب والبعيد والمتوسط " كما في البيت الأول من القطعة " يا سائل الله " فهذا السائل وإن كان قريبا أو بعيدا عن الشاعر لعدم معرفته به إلا أنه قريب من ربه ، فهو الذي يرى ويسمع ، ويعلم ما نخفي وما نعلن ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾^(٣)

(١) "ديوان أبي نواس"، ص ٩٨٢، والقصيدتان النقيضان ، مطلعها :

إني صرفت الهوى إلى قمر لم تبذل العيون بالنظر .

المصدر السابق : ص ٨٥٧ .

خلّيت عني ولذة النظر تلهو بحسن الوجوه والصّور .

المصدر السابق : ص ٧٦٩ .

(٢) انظر : الأزهرى ، خالد بن عبد الله : " شرح التصريح على التوضيح "، تصحيح ومراجعة : لجنة من العلماء ،

(بيروت : دار الفكر ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

(٣) سورة البقرة ، آية : (١٨٦) .

فالله - سبحانه وتعالى - لا يخيب سائلا ، ولا يرد طالبا طرق بابيه ؛ ولذلك يشره بالفوز والظفر بمطلبه ، وبالنوال الذي يجلب له الهناء والسعادة وعدم الكدر والحزن ؛ لأن الله لن يرده صفر اليدين .

وفي البيت الخامس ، أسلوب نداء آخر في قوله : " يا قلب مهلا " ، استعمل الأداة ذاتها " يا " لنداء القلب ، وقد خالف فيها القاعدة ، إذ استعملها في غير ما وضعت له ، فنادى بها القريب جدا منه ؛ تزيلا له منزلة البعيد وقد خاطب قلبه خطاب الصديق للصديق وهو يخفق في صدره يحذره من مغبة غفلته ؛ ولأن القلب المتيقظ الحذر الذي لا يغفل بعيدا عنه ، ناداه بأداة النداء المشتركة التي تشمل القريب والمتوسط والبعيد ، وهي " يا " مبالغة منه في ذم حاله وتوكيدا^(١) ، واستعمل صيغة الماضي " فزت " ليؤكد حصول الظفر والإجابة ، بل زاد على ذلك الفوز ، التوال الهني لمطلبه ، ثم عقب ذلك بصيغة الأمر " ارغب " في مطلع البيتين الثاني والثالث ؛ ليدله على ما هو واجب عليه وملزم به وهو شكر الله على نعمه المتفضل بها عليه ، وذلك بأن يرغب إلى الله وحده لا إلى أحد سواه ؛ لأنه لا يتغير ولا يتبدل ، بخلاف حال البشر المتغير والمتنقل من حال إلى حال .

ويؤكد صفة أخرى لله بأنه لا يخيب أمل سائلا مستعملا صيغة المضارع " يخيب " فسأله لا يخيب في أي وقت وحين ، مهما طال به الزمن أوقصر ؛ ليثبت الأمل في نفس السائل ، ويحثه على التوجه إلى الله وعدم القنوط من رحمته . ويعقبه بتأكيد آخر " بقدر " في قوله : " فقد لعمرى أمرت بالحذر " برفقة الفعل المبني للمجهول " أمرت " المسبوق بالقسم " لعمرى " ليؤكد على أهمية الأمر - الحذر - وأتى الاستفهام الإنكاري في البيت الأخير " بما " في قوله : " مالك بالترهات مشتغلا " دالا به على الإنكار المقترن بالتعجب والتوبيخ ، وعقبه باستفهام آخر في عجز البيت نفسه " بالهزمة " في قوله : " أفى يديك الأمان من سقر ؟ " الذي يحمل بين طياته النفي وكأن المعنى : ليس في يديك الأمان من سقر ، فكيف تشتغل بالترهات ؟ أما موسيقى القطعة ، فنلاحظ بأن أسلوب التصريح الذي استفتح به الشاعر حديثه مزية موسيقية ، حيث إنَّ لحرف الراء المكسورة صفة التكرار ، وكأن الكلمة تعاد وتتردد ، كما يتصف أيضا بأنه حرف جهوري واضح ، متوسط بين الخفة والثقل والشدة ،

(١) انظر: الأزهرى، " شرح التصريح على التوضيح " ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

وهي صفات قوية ، فاختيار الشاعر لهذا الحرف ليكون رويًا يكسب القطعة قوة ، يدل على خبرة الشاعر وحذقه ومعرفته بمواطن التأثير وأساليبه. ^(١)

أيضاً البحر الذي استعمله واختاره لينظم على تفعيلاته ، وهو بحر " المنسرح " بأجزائه الستة :

مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن

الذي يعد من البحور المتوسطة، مناسب لحالة الشاعر الانفعالية والشعورية المتوسطة بين الشدة والهدوء ، ويلفت النظر هذا التكرار المتوالي في البيتين الثاني والثالث :

فَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى بَشَرٍ مُنْتَقِلٌ فِي الصُّرُوفِ وَالْغَيْرِ
وَارْغَبْ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى جَسَدٍ مُنْتَقِلٌ مِنْ صَبَا إِلَى كِبَرٍ ^(٢)

مما يدل على أن الشاعر كان في حالة انفعال وقتي، أو قالها ارتجالاً .

وهناك بعض ملامح التشابه بين هذه القطعة والقطعتين النقيضتين لها.

القطعة الأولى في الغزل بالمؤنث ، ومطلعها :

إِنِّي صَرَفْتُ الْهُوَى إِلَى قَمَرٍ لَمْ تَبْتَذِلْهُ الْعُيُونُ بِالنَّظَرِ .

نلمح في هذه القصيدة أول تشابه ، وهو عنصر التصريع في استهلالها كما استعمل في عروض القطعة الزهدية كلمة مجرورة بحرف جر وهو " الباء " " بالظفر " بإدغام الحرف الثالث وهو الظاء ، كذلك نلمح الأمر نفسه في القصيدة الغزلية ، لكنه جعله في الضرب من عجز البيت في كلمة " بالنظر " ، وهناك الفعل الماضي المتصل بتاء الفاعل " صرفت " ومثيله " فزت " إلا أنه استعمل مع الأول حرف التوكيد " إن " المتصل بياء المتكلم ليزيد من تأكيد الأمر، فقال : " إِنِّي صَرَفْتُ الْهُوَى إِلَى قَمَرٍ " ولم يفعل الأمر نفسه في قصيدة الزهد في قوله :

(١) انظر : سيبويه : " الكتاب " ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، دراسة وتحقيق : حسن

هنداوي ط (١) ، (دمشق : دار القلم ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ .

(٢) " ديوان أبي نواس " ، ص ٦٢٢ .

" يا سائل الله فزت بالظفر " ؛ لأنَّ المخاطب يعلم ذلك ، فالمقام لا يحتاج إلى أن يؤكد الكلام للمخاطب ، فسائل الله لا يرد ، أما انصرافه إلى هوى قمر ، فاحتاج إلى أن يؤكد بمؤكد واحد ؛ لأنَّه وصفه بأنه " لم تبدله العيون بالنظر " فكأنَّه لم يسبق لأحد سواه أن نظر إليه ، وهل هو قمر السماء أم فتاة حسناء ؟

هذا الأمر يستدعي التعجب ، ويبعث على الحيرة والشك ، بل إنَّه يبالغ في وصفه حتى عدَّه من غير البشر ، يقول :

إِذَا تَأَمَّلْتَهُ تَعَاظَمَكَ الْإِقْرَارُ فِي أَنَّهُ مِنَ الْبَشَرِ^(١)

فهو من البشر ولكن فوق مستوى البشر ، ذلك خيال الشاعر . وكأنَّ المستمع في حالة شك وتردد ، لكن هذا الشك والتردد يعود إقراراً ومعرفة إذا قيس جماله بجمال الصُّور ، فقلوب العاشقين لا ترى سوى مواطن الحسن والجمال في المحبوب ، وكأنَّها تتعامى عن رؤية قبحه ومساوئه ، وهذا أمر مباح في شريعتهم الأخذ بأطيب ما يتمتع به المحبوب ، حيث يقول :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهَا تَأْخُذُ مِنْهَا أَطَايِبُ الثَّمَرِ^(٢)

ولفظة " البشر " نلمحها أيضاً في البيت الرابع من القطعة الزهدية ، في قوله :

إِنَّ الَّذِي لَا يُخِيبُ سَائِلُهُ جَوْهَرُهُ غَيْرِ جَوْهَرِ الْبَشَرِ^(٣)

و النقيضة الثانية ، في الغزل بالمدكر ، ومطلعها :

خَلَيْتَ عَنِّي وَلَذَّةُ النَّظَرِ تَلْهُو بِحُسْنِ الْوُجُوهِ وَالصُّورِ^(٤)

أيضاً نجد التصريح عنصراً مشتركاً بين القصيدتين ، و أيضاً العروض والضرب " النَّظَر ، وَالصُّور " معرفتان كما في القطعة النقيضة " الظُّفَر ، وَالكَدَّر " والتعبير بصيغة الماضي في البيت الأول " خَلَيْتَ عَنِّي " يقابله الأسلوب ذاته في قوله : " فزت بالظفر " ، وكما

(١) " ديوان أبي نواس " ، ص ٨٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٥٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٨٢ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧٦٩ .

وصف " النّوال الهني " ، وصف أيضا الوجوه بالحسن ، وثمة أسلوب آخر وهو النفي " بلا التي تلاها الفعل المضارع الدال على الاستمرار ، فكما أن سائل الله لا يخيب " إنّ الذي لا يخيب سائله " فكذلك المحبوب عنده لا يطمع في غرته " لا يطمع في غرتي " وفي خاتمة القصائد الثلاث يبرهن الشاعر على أنّ ملكية الإنسان للأشياء ضئيلة ، فلا يملك سوى اليسير منها ، وما ليس بذي أهمية أو بال أما الأهم منها و الأساس فلا يستطيع أن يمتلكه ، ففي قصيدة الزهد أكد بأسلوب إنشائي متخذا من الاستفهام وسيلة لإيصال المعنى وترك المخاطب يقرّ بذلك ، فالإنسان مهما اشتغل بالترهات فلا يملك بين يديه الأمان من سقر وهو الأهم ، واستعمل صيغة جمع المؤنث " الترهات " للدلالة على ما ينشغل به الإنسان في حياته ، وما يشغله من توافه ، في حين استعمل صيغة المفرد " الأمان من سقر " بما تثيره هذه اللفظة من الخوف والرغبة في القلوب ، وفي القطعتين النقيضتين أكد على الأمر ذاته ولكن بأسلوب مختلف ، إذ صاغ ذلك بأسلوب خبري ، فالمرء لا يملك سوى أن يأخذ بأطيب وأحسن ما يراه في المحبوب متغاضيا عن بقية ما فيه ، فلا يملك سوى التلذذ فقط بالنظر والحديث إليه، أمّا سوى ذلك من الأمور المهمة فلا يصل إليها ولا يمتلكها ، فيقول :

مَالِكٌ بِالتَّرَهَاتِ مُشْتَغَلًا	أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ؟ ^(١)
مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهَا	تَأْخُذُ مِنْهَا أَطَايِبَ الثَّمَرِ ^(٢)
عَفْ ضَمِيرِي ، وَطَيْبٌ خَبْرِي	وَلَذِّي فِي الْحَدِيثِ وَالتَّنْظَرِ ^(٣)

(١) " ديوان أبي نواس " : ص ٦٢٢ .

(٢) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

(٣) " ديوان أبي نواس " ، ص ٧٦٩ .

مَحَصَّاتُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ " تالاه "

القصيدَةُ الأولى ، ومطلعها :

مِنْ تُرَابٍ خُلِقْتَ لَا شَكَّ فِيهِ وَغَدًا أَنْتَ صَائِرٌ لِلتُّرَابِ^(١)

في هذه القطعة يعظ أبو العتاهية أخاه الإنسان ، مذكرا له بأصله الوضع الذي خُلِقَ منه - وهو التراب - ومرجعه إليه منكرا عليه إعجابه بنفسه بعد أن عرف أصله فالأولى به أن يتحلى بالتواضع ، ويترك الزهو والكبر ، ومن ثم يسأل الله زلفة و اعتصاما به وخلاصا من عذابه الأليم . وهذه المكانة لا ينالها إلا بالخوف من الله وترك الزهو المفضي بالإنسان إلى الكبر والخيلاء ، وتذكر موقفه يوم الحساب بين يدي الله - عز وجل - وهو مثقل بأعباء ذنوبه وأخطائه حتى يستشعر رهبة ذلك الموقف فيتقي الله ويعمل لآخرته ، ويستصغر شأن الدنيا في نظره . استعمل الشاعر أسلوب الاستفهام في البيت الثاني ، حيث يقول :

كَيْفَ تَلْهُو وَأَنْتَ فِي حَمَاةِ الطَّيِّبِينَ وَتَمْشِي وَأَنْتَ ذُو إِعْجَابٍ^(٢)

ليدل على إنكاره وتعجبه من حاله ، فكيف يمتلكه الغرور والإعجاب بنفسه وهو المخلوق من أصل سيء وضع - الطيبين والتُّراب - وكأنه يدعوه إلى أن ينفذ غبار ذلك عنه ، ويتعجب من سؤاله الله بأن يمنحه زلفة واعتصاما وخلاصا من عذابه الأليم وهو لا يزال متشبهاً بالحياة واللهو والزهو وصيغة الفعل " تسأل " تدل على أنه في سؤال دائم لله ، وما دام هذا ما يريده ويتغيه فينبغي عليه الخوف من الله وترك الزهو في الدنيا ، وطريقه إلى ذلك بأن يتصور موقفه يوم الحساب بين يدي الخالق وهو محمل بأخطائه ، ولذلك اتخذ صيغة الأمر في البيت الأخير ليدله على ما هو واجب عليه ، فيقول :

فَخَفِ اللَّهَ وَاتْرِكِ الزَّهْوَ وَادْكُرْ مَوْقِفَ الْخَاطِئِينَ يَوْمَ الْحِسَابِ^(٣)

(١) " أبو العتاهية ، أشعاره وأخباره " ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٣ .

ونظم قصيدته على تفعيلات البحر " الخفيف " الستة :

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وهو من البحور المتوسطة ، فالشاعر رجل على جسده رداء الواعظ الناصح ، يريد أن يصل بفكرته المباشرة إلى قلوب سامعيه حتى يتمكن من ترسيخها في النفوس ، فيعوها و يحفظوها ؛ ولأنه يتحدث عن معان عامة يعرفها الجميع فلا يحتاج إلى الشرح و التعليل الذي يشغل حيزا كبيرا من القصيدة ، ويحتاج أيضا إلى بحر من البحور الطويلة ذي الأجزاء الكثيرة والتفعيلات المتعددة ؛ ليتمكن من ذلك ، ولهذا فإن استعماله لبحر متوسط ، مناسب لغرض القصيدة وموضوعها .

كما اختار روي " الباء " بما يتميز به من السرعة والجهر والقوة^(١)، وحرف الردف " الألف " الممدودة الذي يتميز باستطالة الصوت ومدّه ، في حين تفتقر القصيدة إلى عنصر " التصريع " في المطلع .

أما القصيدة النقيضة، ومطلعها :

رَاعِنِي يَا زَيْدُ صَوْتُ الْغُرَابِ بِحَذَارِي لِلْبَيْنِ مِنْ أَحْبَابِي^(٢)

استفتح القصيدة بجملة خبرية كما في القصيدة الزهدية ، واستعمل أداة النداء " يا " لنداء " يزيد " وهو قريب منه ، إلا أنه عدّه بعيدا عنه ؛ لأنه لم يشعر بما شعر به من روع وخوف وتشاؤم من نعيق الغراب الذي يؤذن بالفراق والبين بينه وبين أحبابه وهو ما كان يحذر منه الشاعر ، إلا أنه يتخذ من التصريع أساسا افتتح به القصيدة .

القصيدة الثانية ، ومطلعها :

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِي تَفَاوُتَ أَيَّامِي لَعْمَرِي وَمَا أَذْرِي^(٣)

(١) انظر خصائص هذا الحرف ، عند : سيويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة

الإعراب " ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ .

(٢) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ٤٨٩ ، وما بعدها .

(٣) " أبو العتاهية أشعاره وأخباره " ، ص ١٤٧ ، و ص ٥٤٦ ، وما بعدها . مطلع القصيدة النقيضة : = =

في هذه القصيدة يتحسر الشاعر على فوات أيامه و ما مضى من عمره لاهيا غافلا عن أيامه وعمره الذي مضى سدى ، وتوالي الأيام ومضى عمره مؤذنا له بدنو الأجل وتذكر الموت وتوقع وقوعه خطوة خطوه بدء بالموت هاذم اللذات ومفني الجماعات ثم البلى في القبر ، ومن ثم البعث للمثول بين يدي الله - عز و جل - فالحشر والحساب والجزاء ، إما إلى جنة وإما إلى نار ، وهذا قدر الله على خلقه ومخلوقاته ،

وينتقل الشاعر إلى الحديث عن الإنسان ورغباته وأمله في طول البقاء ، على الرغم من معرفته و يقينه بما قدره الله عليه و أنه صائر إلى الموت و الفناء ، وكأنه على ثقة من تقلبات الدهر ونيل صفوه ، وهو يتقلب به فلا يقنع من قذاه و لا يصبر على أحواله ، وما يسمو إليه ما هو إلا فقر يجر إلى فقر ، فبتوالي الأيام يمضي العمر ، ويتناقص عمر الإنسان في الحياة - وهذه حقيقتها - ، متعجبا من نفسه وهي ترغمه على ركوب الوعر حين تدعوه بعدما علاه المشيب إلى العودة إلى حياة التصابي على غير هواه ؛ وهذا الوعر هو الصراع الذي ينشب وتشتعل ناره بين نفسه الأمارة بالسوء والشيب الذي ينهائ عن ذلك . " ما فات من عمري وتفاوت أيامي " الفعلان مختلفا في الصيغة ، فالأول " فات " ماضٍ ، والثاني " تفاوت " مضارع دل على الاستمرار ، فتفاوت أيامه ؛ لأنه لا يزال على قيد الحياة أما جلُّ عُمره بما فيه من شباب و قوة فقد فات ومضى وزال بقدوم المشيب وكبر الإنسان . واعتمد الشاعر على أسلوب التصريح في استهلاله للقصيدة " عمري ، و أدري " في حين لم يعتمد عليه في النقيضة " حبها ، وعذري " .

وثمة تشابه بين القصيدتين ، فوصف أبو العتاهية في القصيدة الزهدية ، حال الإنسان وطول أمله وحبّه للخلود في الدنيا ، ثم مصيره الذي سيؤول إليه من موت سيفاجئه ويعقبه بلى ثم بعث و حشر ، في حين وصف المحبوبة و ما تتمتع به من حسن فاق حسن البدر ، فالجامع بين القطعتين " الوصف " ، فهذه المعاني التي احتوت عليها القصيدتان و التي ضمنها الشاعر أبياته كان لا بد له من بحر من البحور الطويلة المتعددة التفعيلات لكي يحتوي هذه

المعاني ويعينه على إخراج مكنونات فؤاده ، ففطن إلى اختيار البحر " الطويل " بأجزائه
الثمانية :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن .

وقافية القطعة المعتمدة على روي " الرءاء المكسورة " نستشعر منها انكسار الشاعر ونبرة
الحزن المتمكنة منه على ما فات من عُمره ، وفراق أحبابه ، وكأنها عبرة ساكنة في قرارة
نفسه يكررها مرارا يريد بذلك أن يعلنها إلى من يسمعه ليشاركه حزنه وألمه ويتعظ مما حلَّ
به ، مذكرا بما ينتظر الإنسان من موت وحشر ، فهذا الروي يجمع بين القوة المتمثلة في
جهوره وانخفاض نبرته .

مَحْطَّاتُ ابْنِ الرُّومِيِّ " ت ٨٣ هـ "

القصيدة الأولى ، ومطلعها :

رَاحَ شَيْبِي عَلَيَّ مِثْلُ الشَّغَامِ وَغَدَا عَاذِلِي أَلَدَّ الْخِصَامِ^(١)

القصيدة طويلة تقع في تسعة وثمانين و مائة بيت ، وتنقسم إلى عدة موضوعات أو أفكار، الفكرة الأولى : الحديث عن الشيب الذي كبح جماح هواه وألجمه ، وفي الشيب نعي للصبا ونذير للموت ، فيقول :

حَلَّ رَأْسِي فَرَاعَنِي أَنَّ فِي الشَّيْبِ نَعْيَ الصَّبَا نَذِيرَ الْحَمَامِ^(٢)

وهذا الشيب الذي أفزع الغانيات فتناهين عنه وتناهى عن هواه خوفا مما ينتظره من الموت والحساب مكرها مغلوبا على أمره ، يقول :

رَاعَنِي شَخْصُهُ وَرَاعَ بِشَخْصِي بَقَرِ الْأُنْسِ سَاكِنَاتِ الْخِيَامِ
فَتَنَاهَيْنَ قَالِيَاتٍ وَصَالِي وَتَنَاهَيْتُ خَائِفًا مَا أَمَامِي
بَلْ تَنَاهَيْتُ مُكْرَهًا بِتَنَاهِي الْبَيْضِ عَنِّي وَ مَا انْتَهَتْ أَعْرَامِي^(٣)

ويقر نادما على ما اقترف من سيئات ولم يطع فيه حكم الله ، فيقول :

سَوَّأَتِي أَنْ أَطَعْتُ شَيْبِي فِيمَا لَمْ أَطِعْ فِيهِ حَاكِمَ الْحُكَّامِ^(٤)

ولكنه ما لبث أن عاد إلى جادة الصواب وأطاع وعظ الله في كتابه ونهي المشيب فصمم وأقدم على التوبة وترك طريق للهو وصام عن اللذات ، حيث يقول :

وَعَظَّ اللَّهُ وَالْكِتَابُ فَصَمَّمْتُ وَأَقْدَمْتُ أَيَّمَا إِقْدَامِ

(١) "ديوان ابن الرومي" ، ج ٦ ، ص ٢٣٦٦-٢٣٧٧ ، ومطلع القصيدة النقيضة :

كَانَ هَزْلاً فَعَادَ جِدّاً غَرَامِي وَ عَذَابُ الْهُوَى غُلَامُ غِلَامِ

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٦ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٦ .

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٧ .

وَهِيَ الشَّيْبُ بَعْدَ ذَاكَ فَسَلَّمَ ——— وَأَحْجَمْتُ أَيَّمَا إِحْجَامٍ

صُمْتُ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ لِمَشْيِي أَفَلَا كَانَ لِلَّهِ صِيَامِي^(١)

ففي بادئ الأمر تاب إجلالاً للمشيبي ، ثم يدرك بعد ذلك بأن التوبة لا تكون إلا إجلالاً لله وحده ، فأبي عذر يقابل به ربه - سبحانه وتعالى - ، فيقول :

أَيُّ عُذْرٍ لَتَائِبٍ لَا إِلَى اللَّهِ وَلَكِنْ إِلَى شَبِيهِ الشَّعَامِ

بل إلى الله تبت لما ثناني بِعِنَانِي وَزَاعَنِي بِزِمَامِي^(٢)

فقد أفرعه الله بالمشيب وجعله ناهياً له ومنذراً يذكره بما فعل الله عنه في القرآن الكريم بعدما كان متغافلاً متعامياً عنه ، فهتك الشيب ذلك الحجاب عنه .

وينتقل إلى الحديث عن فضل كتاب الله والشيب عليه ، فكلاهما زاجر وواعظ عن آثامه

فالكتاب خط بمداد الوعظ ، بينما الشيب تسطر خطوطه الحوادث ومرر الشهور والأعوام ، وهو كتاب مبين كالصبح يقرؤه حتى الأمي ، فيقول :

رَاعَنِي بِالْمَشْيِبِ عَمَّا فَعَلَ عَنِّي ——— بَأَيِّ الْكِتَابِ ذِي الْأَحْكَامِ

كَمْ بَدَأَ فِي الْكِتَابِ لِي مِنْ ضِيَاءٍ كَانَ مِنْ قَبْلِ دُونِهِ كَالْقَتَامِ

هَتَكَ الشَّيْبُ ذَلِكَ السَّتْرَ لِي عَنِّي فَزَالَ الْعَمَى وَرَاحَ التَّعَامِي

وَكَلَا الشَّيْبُ وَالْكِتَابُ جَمِيعَا وَاعِظٌ زَاجِرٌ عَنِ الْآثَامِ

غَيْرَ أَنَّ الْكِتَابَ يَكْتُبُ بِالْأَقْلَامِ ——— وَالشَّيْبُ لَيْسَ بِالْأَقْلَامِ

بَلْ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ الْمَصْمُولَةَ ت وَ مَرُّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ

لَنْ تَرَى مِثْلَهُ كِتَابًا مَبِينًا لَا بِشَكْلِ لَهْ وَلَا إِعْجَامِ

حَطَّ غُفْلَ الْحُرُوفِ يَقْرُؤُهُ الْأُمِّيُّ كَالصَّبْحِ غَيْرِ ذِي اسْتِعْجَامِ^(١)

(١) " ديوان ابن الرومي " ج ٦ ، ٢٣٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٧ - ٢٣٦٨ .

ومع ذلك يتحسر على شبابه الذي مضى و ما فيه من حياة اللّهُو ، ويصف تلك الحياة التي كان يحياها ويحن إليها ، ولكنه يعود يعض أصابع الندم على حظه ، حيث يقول :

قائلٌ قولَ ذاكرٍ خيرَ عَصْرِ — طویل الحنين والتهيام

لهف نفسي على الشباب الذي أضـحى خلفي وذكره قدامي

لهف نفسي عليه أن صار حظي منه هـفا يعضني إبهامي

لهف نفسي على الظباء اللواتي عاقني عن قنيصها إحرامي^(٢)

جعل الشَّيب كالإحرام الذي يحرم على المرء التلذذ بالنساء، ثم ينتقل إلى المديح^(٣) ، يستفتح الشاعر القصيدة بيت مصرّع : " الثَّغام — الخِصام " لما في ذلك من الخلاوة والطلاوة والتجانس في النغمة التي يجلبها إلى النفس لاستدلالها على قافية القصيدة التي تدل على بلاغة الشاعر^(٤)، وكذلك نجد يعتمد على ذلك أيضاً في النقيضة ، " غرامي — غلام " ، كما اتفقت القصيدتان في " التدوير " في بعض الأبيات^(٥) ، نلاحظ اتفاقاً آخر بين كلمات بعض القوافي مثل :

فَآتي الآنَ دونها فهي اليو م حرامٌ عليَّ كلَّ الحرام^(٦)
يكرر لفظة " حرام " تأكيداً :

فمدام الكروم غير حلال وهي تَسْقِي المدامَ غير حرام^(٧)

كرّر لفظة " مدام، و غير " ، كما طابق بين الحلال والحرام، مما أكسب كلامه رونقا و جمالا .

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ٦ ، ص ٢٣٦٧-٢٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٨-٢٣٦٩ .

(٣) يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر .

(٤) انظر : د. بكار، يوسف : " بناء القصيدة العربية " ، (الدمام : دار الإصلاح ، ١٩٧٩م) ، ص ٢٢٩ .

(٥) انظر : القصيدتين في الديوان ، ج ٦ ، ص ٢٣٦٦-٢٣٧٧ ، و ٢٤١٤-٢٤١٥ .

(٦) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٥ .

(٧) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٦ .

وقوله :

بل إلى الله تبتُ لما ثناني بعناني وزاعني بزمامي^(١)

يقابله قوله :

أمرتُ قدَّها يقود إليها القَلْبَ مني فقاده بزمام^(٢)

وقوله :

وقضيتُ الرضاعَ من درّةِ الكر م لتجريم أربعين تمام^(٣)

يقابله بقوله :

بتُّ شرَّ المبيت ما ذقتُ غمضاً طول ليلي والليلُ ليلُ تمام^(٤)

وقوله :

بينما الشاةُ ناصلاً من هناتٍ بات يشقي بمنَّ ليلَ التمام^(٥)

وقوله :

ولتجريم أربعين قديماً يتناهى الرضاعُ بابن المدام^(٦)

يقابله :

أسقني من مدامٍ ريقتها العذ به إذ قد حُرمتُ شربَ المدام^(٧)

وقال :

فعطاياهُ دانياتُ يد الدهر ————— رتوالى كأنَّها في نظام^(٨)

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ٦ ، ص ٢٣٦٧ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٤ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤٦٩ .

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٥ .

(٥) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٧١ .

(٦) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٦٩ .

(٧) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٥ .

(٨) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٧٤ .

يقابله :

جمعت طرةً وقدأً ووجهاً ونهوداً ونغمةً في نظام^(١)

وقال :

ساهرٌ لا ينأى عن حاجة السآ هر حتى يذوق طعم المنام^(٢)

يقابله قوله :

وعدتني وعدا فهاجت حروبا بين عيني فيه وبين المنام^(٣)

و قوله :

وإذا حاسدٌ صفا من غليل فهو في وزن عاشقٍ مستهام^(٤)

يقابله :

ليس في العالمين أسوأ حالا من محبٍ بقينةٍ مستهام^(٥)

أما ما يخص البحر " الخفيف " فقد أشرت إلى ما يميزه سابقاً^(٦)، وقافية " الميم المكسورة " وهو حرف متوسط بين الجهر والخفاء، وهو مناسب لحالة الشاعر المتوسطة الانفعا، وحزنه وانكساره .^(٧)

القصيدة الثانية ، ومطلعها :

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ٦ ، ص ٢٤١٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٧٥ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٥ .

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٣٧٦ .

(٥) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤١٥ .

(٦) انظر : محصة أبي العتاهية الأولى : ص ٩٦ .

(٧) انظر : سيبويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ٦٠ ، وما بعدها .

يَا فُؤَادِي غَلَبْتَنِي عَصِيَانَا فَاطِعْنِي فَقَدْ عَصَيْتَ زَمَانَا^(١)

الشاعر يخاطب نفسه ويتوجه إلى فؤاده الذي غلبه عصيانه " يا فؤادي " يناديه بأداة نداء البعيد على الرغم من قربه الشديد منه ؛ لأنه مسترسل في غيه وعصيانه ، فهو بعيد عن الطريق التي سلكها الشاعر ، وهي طريق الهداية والتوبة ويأمره بطاعته حتى ينجو مستخدماً " قد التحقيقية " تأكيداً على عصيانه ، ويستعمل أسلوب الاستفهام " أما نحنُ إلى طوبى إذا هبّت الرياح و هزّت الأغصان " وهو استفهام تعجبي ، يتعجب من عدم حنينه إلى الجنة كلما هبت الريح وهزّت الأغصان .

ثم ينتقل إلى وصف الجنة التي أعدت للأولياء وأهلها ، وما فيها من النعيم المقيم ؛ تشويقاً له ليتوب من عصيانه ، حيث يقول :

مِثْلُ الْأَوْلِيَاءِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ إِذَا مَا تَقَابَلُوا إِخْوَانَا
قَدْ تَعَالَوْا عَلَى أَسْرَةٍ دُرٍّ لَابِسِينَ الْحَرِيرَ وَالْأَرْجُوانَا
وَعَلَيْهِمْ تِيَجَانُهُمْ وَالْأَكَالِيَةُ لُتْبَاهِي بَحْسِنَهَا التَّيْجَانَا
يَتَعَاطَوْنَهَا سُلَافًا شَمُولًا فِي جَنَّاتٍ مُجَاوِرَاتٍ جَنَّاتِنَا
يَتَلَقَّاهُمْ بِقَوْلٍ حَفِيٍّ مَرَحَبًا مَرَحَبًا بِكُمْ رُكْبَانَا
وَتَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ حُجُبُ النُّجُورِ فَسَبْحَانِ وَجْهِهِ سَبْحَانَا
وَاسْتَفَادُوا بِشَاشَةً وَسُرُورًا يَنْفِيَانِ الشُّرُورَ وَالْأَحْزَانَا
ثُمَّ آبَوْا فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ حِسَانٌ مِنْ بَنَاتِ النَّعِيمِ فُقْنِ الْحَسَانَا
بُوجُوهٍ مِثْلِ الْمَصَابِيحِ لَا يَغْفَرْنَ إِلَّا الظُّلَالَ وَالْأَكْنَانَا

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ٦ ، ص ٢٥٩٩-٢٦٠٠ ، ومطلع القصيدة النقيضة ، ج ٦ ، ص ٢٤٦٨ .

حَبِيتُ دُرَّةَ الْقَيَّانِ إِلَيْنَا مِثْلُ مَا بَعْضَتْ إِلَيْنَا الْقَيَّانَا .

مُرْسَلَاتٍ عَلَى الرَوَادِفِ مِنْهُ ————— نَ فُرُوعاً تَمُجُّ مِسْكَاً وَبَانًا^(١)

والوصف في الأبيات مقتبس من آي الذكر الحكيم ، ويلمح الشاعر إلى بياض الحور العين وحسنهن الذي فاق البدر والشمس حتى ذلاً لوجهها واستكانا حياءً، فيقول :

لَوْ رَأَى الْبَدْرُ بَعْضَهُنَّ أَوْ الشَّمْسُ ————— لَسُ لَذَلًا لَوَجْهَهَا وَاسْتَكَانًا^(٢)

وهذا النور في وجههن يزيدهن افتتاناً ، فيقول :

كُنَّ بِالْأَوْلِيَاءِ مُفْتَتِنَاتٍ ثُمَّ زِيدُوا ثُوراً فَرَدْنَ افْتِنَانًا^(٣)

ومع أن هناك ألفاظاً وقوافي مشتركة بين القصيدتين إلا أن ثمة تشابهاً آخر يجمع بين بعضهما ، ففي حديثه عن الخمر واصفاً لها ومفرقاً بين خمر الدنيا وخمر الآخرة ، حيث يقول :

يَتَعَاطَوْهَا سِلَافًا شَمُولًا فِي جَنَانٍ مَجَاوِرَاتٍ جَنَانًا^(٤)
والبيت الأخير يقول فيه :

رَيْقَةً كَالشَّمُولِ طَيِّباً وَنَشْرًا كَنَسِيمِ الشَّمَالِ خَاضَ الْجَنَانَا^(٥)

ويصف حياة أهل الجنة بالسُرور الدائم ، فليس فيها شرور ولا أحزان ، فيقول :

وَاسْتَفَادُوا بِشَاشَةً وَسُرُورًا يَنْفِيَانِ الشَّرَّورَ وَالْأَحْزَانَا^(٦)

وكما أن حياة البشاشة والسُرور تنفي الشرور والأحزان عن أهل الجنة ، كذلك صوت الجارية — وهي تغني — يطرد الهم والأحزان ، يقول :

(١) " ديوان ابن الرومي " ، ج ٦ ، ص ٢٥٩٩ ، وما بعدها .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

(٥) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤٦٩ .

(٦) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

ومنى مَا سَمِعَتْ مِنْهَا فَشَدَّوْ يطرد الهمَّ عنكَ و الأحزاناً^(١)

أيضاً اتفق البيتان في الشطر الثاني، وعجز البيت ،والقافية ،هذا وقد شبه الروادف بالكثبان وما فوق الروادف بعود البان وما ينضح من عرقها بالمسك والبان ،حيث يقول :

مُرْسَلَاتٍ عَلَى الرَوَادِفِ مِنْهُنَّ ————— نَ فُرُوعاً تَمُجُّ مَسْكَاً وَبَاناً^(٢)

يَا كَثِيباً عَلَيْهِ غَصْنٌ مِنَ الْبَا نِ وَ فُرْعٌ يَمُجُّ مَسْكَاً وَبَاناً^(٣)

والبيت الأخير يبين أن الزيارة تكون أحياناً وليست دائمة ،فأهل الجنة يزورون ربهم أحياناً ، فيقول :

تَارَةً بَعْضُهُمْ يَزُورُونَ بَعْضاً وَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ أحياناً^(٤)

في حين كان يزورهم في الدنيا أحياناً ،طيف "دريرة" الغانية ، يقول :

عندها البخل بالتَّوَالٍ وَلَوْ بِالطِّيفِ ————— يَفٍ مِنْهَا يَزُورُنَا أحياناً^(٥)

والقصيدتان أيضاً متفقتان في " التدوير " في بعض الأبيات . فمُحَصَّنَا ابن الرومي فيهما بعض جوانب الاتفاق والتشابه ،فكلتاها تعتمدان على " الوصف " وصف الجنة وأهلها في قصيدة الزهد ،ووصف الغانية في القصيدة النقيضة .

(١) " ديوان ابن الرومي " : ج ٦ ، ص ٢٤٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤٧١ .

(٤) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٦٠٠ .

(٥) المصدر السابق : ج ٦ ، ص ٢٤٧٠ .

مُحَصَّات ابن المعتز "ت ١٦٩هـ"

القصيدة الأولى، ومطلعها :

أَجَارَةٌ بَيْتِي إِنَّ حُبَّكَ زُورٌ وقد شَغَلْتَنِي عَنْ هَوَاكِ أُمُورٌ^(١)

نلمح في هذه القصيدة الجانب الوعظي من قبل الشاعر حين شعر بدنو الأجل ، وعرف أن ما كان يشغله أيام لهوه وصباه كان زورا ، أما الآن فقد اشتغل بما هو أهم من ذلك ، داعيا ومذكرا ساكني القصور وبانيها ، وجامع الأموال بأن ما هم عليه سوف يزول ويطير ، فيجب عليهم الاستعداد للسفر والرحيل إلى الدار الآخرة .

واستفتح الحديث " بالنداء " مستعملا حرف النداء " الهمزة " بدل " ياء النداء " لبيان قربه منها وملاصقته لها ، فهي قريبة من مسكنه وقلبه ، منبها لها بما آل إليه حاله ، فقد علم أن حبها كان زورا ، مُصَرِّحاً بحقيقة العلاقة التي كانت تربط بينهما ، و شغل عن هواها بأُمُور عظام ، معبرا بصيغة الجمع " أُمُور " للدلالة على أنه لم ينس هواها ولم يشغله أبدا عنها إلاّ الأُمُور الشديدة المتعاقبة عليه وعرف ما كان يجهله وغائبا عنه بعدما شاب وكبر " وقال الشيب أنت كبير " استعارة مكنية حيث شبه الشيب بالإنسان الذي يتكلم فحذف المشبه به وهو الإنسان وأتى بلازم من لوازمه وهو " القول " وجملة " أنت كبير " تؤكد تجاوزه العُمُر وطعنه في السن فهي أبلغ من قوله : " كبرت " ، ويقابلنا بأسلوب نداء آخر " أيا باني القصر " و " أيا " أداة نداء لا تكون إلاّ للبعيد ، وهو نداء عام لباني القصور للاستعداد للسفر إلى دار البقاء ، " و يا حاصر الأموال سوف تطير " . وهي كناية عن فناء الأموال التي جمعها ، وتوجه بالنداء إلى " جامع الأموال وباني القصور " وهما خصلتان من أشد خصال بني الإنسان حبا وإيثارا ، وقد ورد في كتاب الله الكريم إشارة إلى ذلك ، قال تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

(١) " شعر ابن المعتز " ، ج ٣ ، ص ١٦٩ ، ومطلع القصيدة النقيضة :
تَقَضَّتْ لُبَانَاتٌ وَنَامَ غَيُورٌ وَآبَ طَوِيلُ اللَّيْلِ وَهُوَ قَصِيرٌ .

المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٧٣ .

وَحَيْرٌ أَمَلًا^(١) ، وقوله : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^(٢) وفي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن علامات الساعة قوله : (... قال : فأخبرني عن أمارتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشَّاء يتطاولون في البنيان ...)^(٣) ، ثم نلاحظ أن حديثه بالماضي في البيتين " شغلتنى ، كنت ، شبت ، قال " دلالة على أنه كان يتحدث عما مضى من عمره ، " وعرفت " دلالة اكتساب الخبرة والتمرس في الحياة ، ثم استعمل أسلوب النداء في البيت الثالث " أيا باني القصر ، ويا حاصر الأموال " ليلفت الانتباه ويشد إليه الأسماع ، ومن ثم يتوجه الشاعر بالخطاب بصيغة الأمر " استعد لسفرة " داعياً وموجهاً نفسه بعدما رأى علامات الموت ، من نعى ظل الشباب المشيب ، وكأنه زرع حان وقت حصاده بموته ورحيله من دار الفناء والتنافس في جمع الأموال ، والتطاول في البنيان ، إلى دار البقاء والحساب ، فابن المعتز على يقين بذلك ، واستعمل أسلوب التوكيد " بآن " في صدر البيت الأول من قوله : " إنَّ حبك زور " ثم أعقبه في العجز " بقد " الدالة على التحقيق بقوله : " وقد شغلتنى " فهو يؤكد لها بأنَّ حبها كان أمراً حقيقياً يُكنه لها في فؤاده فيما مضى من عمره ، أما الآن فقد أصبح زوراً ، ويعقبه بالتوكيد الثاني " وقد شغلتنى " إذ لم يتحول ذلك الحب إلى زور فحسب ، بل شغل عنه أيضاً بأمور عظام لتيأس من التفكير في العودة والرجوع إليها مرةً أخرى ، واستعماله للبحر " الطويل " ذي التفعيلات المتعددة ، وهو من البحور الطويلة التي تحتاج إلى طول نفس الشاعر لأنه يعبر عن تجربة خاضها وعاش دقائقها وتحول منها إلى تجربة أخرى والحديث عن التجارب وخلجات النفس طويل يحتاج إلى بحر متعدد التفعيلات ، مثل هذا البحر الطويل وأضرابه من البحور ليشتمل على طبيعة الموضوع ، ويتسنى للشاعر التعبير عن ذلك ، أيضاً هذه النغمة الموسيقية التي نلمحها في عنصر التصريع في البيت الأول " زور ،

(١) سورة الكهف : آية (٤٦) .

(٢) سورة الهزلة : الآيتان (١ - ٢) .

(٣) انظر : العسقلاني ، بن حجر : " فتح الباري في صحيح البخاري " ، ج ٨ ، ص ٦٥٩ ، باب { إنَّ الله عنده علم الساعة } ، حديث رقم : ٤٧٧٧ .

وأمر " ، والروي الذي اتخذ للنقيضة وهو حرف " الراء " وهو من الحروف القوية نعمةً وتردداً توحى للقارئ والمستمع بدوي قوي وتكرار وصدى، وكأن هذه المعاني التي عبر عنها الشاعر تتردد وتكرر في قرارة نفسه .

أما في القصيدة النقيضة فكان مدار حديثه وصف الحالة النفسية ، والشعورية التي أملت به إثر مداهمة الشيب له إذ كان و بالاً عليه أفقده ما كان يتمتع به من صحبة المحبوبات و بات ليله طويلاً مثقلاً يقضيه وحيداً بعدما انقطع حبل الوصال بينهما ، فهو على يقين بأن الشيب سيكون حائلاً بينه وبين ما كان يشغله في أيام شبابه " وأكثرها بعد الشباب غرور " ؛ لأنه قد كبر ، فيجب عليه أن يتعقل ، وهو ما رمى إليه بقوله : " وشبت و قال الشيب أنت كبير " ، كما استعمل صيغة الماضي في هذه القطعة مثل قوله : " تقضت ، نام ، آب ، فأغضت " وأضاف إليها صيغة جمع المؤنث السالم للدلالة على الكثرة في مثل قوله : " تقضتُ لَبَانَاتٌ ، فَأَغَضْتُ عُيُونَ الْغَانِيَاتِ " .

القصيدة الثانية ، ومطلعها :

قَالَتْ أَرَى عَجَبًا إِذْ نَوَّرَ الشَّعْرُ مَهْلًا سُلَيْمَى فَهَذَا الشَّيْبُ وَالْكِبَرُ^(١)

كان ظهور الشيب بداية مرحلة جديدة ، وأفول مرحلة الشباب و ذبول لزهرتها ، وكان لذلك أثره البالغ في نفس ابن المعتز ، إذ غيّر مجرى حياته ونفّر منه صويحاته ، وكانت وسيلته التي اتخذها للشكوى من خلانه والتبرم من أحوال زمانه " والملاحظ من شعر ابن المعتز أن الشيب وسيلة للشكوى من الربعان والدّهر ، يتخذ الشاعر مطية ليعطي الحكمة ويث زهده "^(٢) وفي هذه القصيدة نجد يجعله في مقدمتها ، إذ كان ظاهرة تثير دهشة

(١) " شعر ابن المعتز " ، ج ٣ ، ص ١٦٠-١٦٥ ، ومطلع القصيدة النقيضة :

حَاشَا لَشْرَةٍ بَلْ طُوبَى لِعَاشِقِهَا
لَوْ كَانَتِ الشَّمْسُ تَحْكِيهَا أَوْ الْقَمَرُ

المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(٢) أ . مروه ، محمد رضا : " عبد الله بن المعتز خليفة يوم و ليلة " ، ط (١) ، (بيروت : دار الكتب

العلمية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) ، ١٥٤ .

وبيث زهده ^(١)، وفي هذه القصيدة نجده يجعله في مقدمتها ، إذ كان ظاهرة تثير دهشة " سليمي " وتعجبها ، إلا أنه يجيبها بأن ذلك كان نتيجة لكبر سنه وكثرة همومه ، وأحزان أحاطت بفؤاده وشغلت لبه حتى باتت نيرانا تحرق قلبه بشرارها ، وظهور الشيب كان يُشعره بقرب أجله الذي كان سببا في بعده عن اللهو والشراب ، وقصر آماله وهجرة صوحيباته ، ويرى أن شبابه كان عارية أعيرت له ثم ردت إلى المعير بعد ما كبر وهرم فلم يبق له إلا أن يعظ نفسه وينهاها عما كانت عليه من اللهو فما هذه الحياة إلا دار بلى وسفر مذكرا بمصير من سبقوه من إخوانه الذين سوى مضاجعهم بيديه ووارقهم الحفر والتراب يقول :

وَكَيْفَ أُنْسَى أَخِلَاءَ عَرَفْتُهُمْ مِنْ الْحَيَاةِ فَقَدْ وَارَتْهُمْ الْحُفْرُ
كَمْ مِنْ أَخٍ لِي قَدْ سَوَّيْتُ مَضْجَعَهُ كَأَتَمَّا غَابَ فِي أَكْفَانِهِ قَمَرٌ ^(٢)

كما تطرق بن المعتز إلى تصوير علاقته بإخوانه الذين مضوا وما كان بينهم من مشاعر الحب والصدق والوفاء والمعروف ؛ لأنه " نظر إلى الوجود نظرة الفاحص ، فرأى الحياة تمشي وتأخذ معها الأحبة والخلان ، ولم تبق له خلا ولا أنيساً " ^(٣) ، ويختتم القصيدة بالسخط على الأيام التي أرتته الحن وأذاقته الألم ، والشكوى من الدهر ، فيقول :

فَقَدْ سَخَطْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَيْنَهُمْ وَعَثَرَا الدَّهْرُ لَا بَلْ هُمْ بِهِ عَثَرُوا ^(٤)

(١) أ. مروه ، محمد رضا : " عبد الله بن المعتز خليفة يوم و ليلة " ، ط (١) ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م) ، ١٥٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٥٤ .

الربعان : الربع جماعة الناس ، وقيل : أهل البيت ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٨ ، ص ١٠٢ ، مادة " ربع " .

(٣) " شعر بن المعتز " ، ج ٣ ، ص ١٦٤-١٦٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٤٥ .

و صيغة الماضي " انتهى " ليدل على أن ما بقي من عمره قليل ، و المهم عليه أن يشغله بما هو خير له ، ويمسك عن جهله ، فيقول :

وَحِفْتُ أَلَّا أَرَى شَيْئاً أَسْرُبُهُ وَقَدْ تَقَرَّبَ حَتْفِي وَانْتَهَى الْعُمُرُ^(١)

كما استعمل " قد " التحقيقية في أكثر من بيت لتأكيد حصول الفعل و وقوعه منها بتماسكه عن جهله وغيه ، و حكمته في الحياة بعد ظهور الشيب ، فيقول :

وَقَدْ تَمَاسَكْتُ عَنْ جَهْلِي وَأَحْكَمَنِي أَطْوَارَ دَهْرٍ لَهَا فِي مَفْرِقِي أَثَرُ^(٢)

فقال : " تماسكت " ولم يقل : " أمسكت " ؛ لأن " التماسك " يدل على صعوبة المحاولة ، أما " الإمساك " فيكون بطوعية من النفس ورضى منها ، وأحكم هذا التماسك ، اختلاف الدهر وتعاقب السنوات التي أبقت أثرها على مفرق رأسه ، وحمل الشيب لذنبه ، وهجرة صويجباته عنه ، وافتقاده لأيامه الحلوة ، واغتراره بزهرة شبابه .

وهناك صورة أخرى تجمع بين الإنسان ، والفناء ، والدُّنيا ، استعمل فيها الشاعر أسلوب القصر بـ " إنَّما " في قوله :

إِنَّمَا أَنَا دَيْنٌ لِلْفَنَاءِ عَلَى الدُّ نِيَا تُنْجِزُهُ الْآصَالُ وَالْبَكْرُ^(٣)

فالدين هو الإنسان ، والمدين هي الدنيا ، والمدان هو الفناء ، ومن سيقضي هذا الدين وينجزه هي الآصال والبكر ، فالإنسان ما هو إلا دين استقرضته الدنيا من الفناء - الموت - وسيتم سدادده بمرور الآصال والبكر على الإنسان ، فكل وقت يمر على الإنسان وينقص من عمره و يقربه من حتفه وفنائه بمثابة سداد لهذا الدين .

(١) " شعر ابن المعتز " ، ج ٣ ، ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٦١ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٦٢ .

فالدين هو الإنسان ، والمدن هي الدنيا ، والمدان هو الفناء ، ومن سيقضي هذا الدين وينجزه هي الآصال والبكر ، فالإنسان ما هو إلا دين استقرضته الدنيا من الفناء - الموت - وسيتم سدادده بمرور الآصال والبكر على الإنسان ، فكل وقت يمر على الإنسان وينقص من عمره و يقربه من حتفه وفنائه بمثابة سداد لهذا الدين .

أيضا نلمح صورة أخرى للفناء والحياة ، حين صور ابن المعتز عمر الإنسان الذي يقضيه منذ أن يولد وحتى يموت وكأنه في سفر وترحال دائم لا يهدأ ولا يستقر إلا بموته ، واستعمل " قد " التحقيقية ليؤكد هذه الحقيقة ، فيقول :

وقد بدا لي فيما قد هُديتُ له أن الحياة إلى دار البلى سفر^(١)

ويزيد من تأكيد حتمية الموت على جميع العباد بأسلوب استفهام دل على التسوية في هذا المصير المحتوم بينه وبين جميع الناس ، فيقول :

هل أنا إلا من الناس الذين مضوا عاشوا بأخذ عيش ثم قد قُبرُوا
كيف البقاء وباب الموت مُنفتح وليس يغلق حتى ينفد البشر^(٢)

فأسلوب الاستثناء في البيت الأول ب " إلا " أراد الشاعر أن يستثني نفسه ويجعلها من زمرة الناس الذين كانوا يعيشون في رغد من العيش ثم قضوا نحبهم وصاروا إلى القبور ، فلم يكن من الناس العاديين أو الفقراء ، بل من زمرة من نعموا برغد العيش وبحبوحته .

إذن تنوعت أساليب التعبير التي استعملها الشاعر في قصيدته هذه بين أساليب بيانية وإنشائية ، مستفيدا من ذلك في إبراز معانيه وصوره وتنوعها حتى يبعد القارئ والمستمع من الرتابة والملل المتأتية من تكرار الصور والمعاني بطريقة واحدة ، واستعمله للبحر " البسيط " أحد البحور الطويلة يدل على طول نفسه الذي نلمحه في طول القصيدة التي جنح فيها للتعبير عن خلجاته وتغير مجرى حياته .

(١) " شعر ابن المعتز " ج ٣ ، ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ١٦٤ .

أما بالنسبة لنقاط التشابه بين النقيضتين ، فتكاد تكون قليلة ونادرة نظرا للتفاوت الكبير بينهما في عدد الأبيات ؛ لأن قصيدة الغزل عبارة عن " نتفة " وهذا يجعل الحكم عليها غير متكافئ أو منصف ، إلا أنه يمكن أن نقف على شبه يجمع مطلع كل منها ، واختلاف أيضا بين كلتا النقيضتين ، فالشبه الجامع بينهما وهو " صورة الثور " ، ففي البيت الأول من قصيدة الزهد شبه الشيب بالثور لبياضه ، حيث يقول :

قَالَتْ أَرَى عَجَبًا إِذْ نَوَّرَ الشَّعْرُ مَهَلًا سَلِمَى فَبُهِدَ الشَّيْبُ وَالكِبَرُ^(١)

كما شبه وجه المحبوبة في النقيضة بنور الشيب وضوء القمر إلا أن نورها فاق نور الشمس وضوء القمر - مبالغة من الشاعر - وهو تشبيه مألوف ، فالجامع بين الصورتين أنهما منتزعتان من شيء واحد وهو " الثور والبياض " ، فيقول :

حَاشَا لَشَرِّهِ بَلْ طَوَّبَى لِعَاشِقِهَا لَوْ كَانَتْ الشَّمْسُ تَحْكِيهَا أَوْ الْقَمَرُ^(٢)

كما أنه اعتمد على التصريح في قصيدة الزهد في حين لم يعتمد عليه في النقيضة .

القصيدة الثالثة ، ومطلعها :

وَكُنْتُ أَظُنُّ الدَّهْرَ لَهْوًا وَغِبْطَةً فَقَدْ أَيقَنْتُ نَفْسِي مِنَ الْآنَ بِالْهَمِّ^(٣)

وبعد ظهور الشيب يفيق الشاعر من سباته ، ويوقن بحقيقة الدهر بعدما لها ظنا منه أنه خلق للهو ، أما الآن فقد باتت الهموم رفيقة دربه وأغلقت أمامه أبواب لذاته ، وعطلت أقواس التصابي ، منتهيا به الحال إلى العلم واليقين بحقيقة ما ينطوي عليه هذا الدهر من النكد والهموم ، مستعملا " قد " التحقيقية ليؤكد ذلك : " فقد أيقنت نفسي من الآن بالهم " ، وأصبح يبيت مشغولا بالسقم يعالج سكرات الموت ، مصورا نفسه في ساحة قتال يصارع

(١) انظر الشاهد : ص ١٠٢ .

(٢) انظر الشاهد : ص ١٠٢ .

(٣) " شعر بن المعتز " ، ج ٣ ، ص ٢٠٥-٢٠٦ ، ومطلع القصيدة النقيضة :

أَلَا تَسْأَلُونَ اللَّهَ بِرءٍ مُتِّمٍ تَمَكَّنَ مِنْهُ السُّقْمُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَمِ

شعره : ج ١ ، ص ٣٤٥ ، والثانية :

خَلِيلِي قَوْلًا لِلْمَلِيحَةِ تَسْلَمٍ عَلَى سَقَمٍ أَبَقْتُ وَقَلْبُ مُتِّمٍ

" شعره " : ج ١ ، ص ٣٤٤ .

فيها الموت ، ويواجه تعاقب الدَّهر عليه إذ كان فارس المعركة ، وعدوه اللدود تعاقب الأيام
و الليالي وكرَّهما ، فهما المنتصران ، إذ أبقياه فريسة للسقم و الموت ، لكنه مع ذلك يوحي
إلى حاسديه بالتجلد والصبر على الرغم مما يعانیه من الكلم والسقم ، يقول :

وَأُوْحِي لَهُمْ أَنِّي صَاحِحٌ تَجَلُّدِي وَكَمْ تَحْتَ صَبْرِي لَوْ تَكْشَفَ مِنْ كَلَمٍ^(١)

فالشاعر يصور بعض مواقف الحياة السابقة التي ألت به ؛ لذلك أكثر من استعمال
صيغة الفعل الماضي ، نحو : " أيقنت ، أغفلت ، عطَّلت ، قلت ، فقالت ، انتهيت ، هزمني ،
شغلا " ، كما استعمل صيغة الفعل المضارع الدال على الاستمرار ؛ لأنه لا يزال على قيد
الحياة يعيش ما بقي له من لياليها ، ينبض قلبه بالحياة ، مثل : " يكرّ، تُردد، أُوحى " ، أكمل
ذلك باستعمال " قد التحقيقية " ليؤكد بعض ما ألمَّ به ، " فقد أيقنت نفسي ، قد انتهيت ،
فقد شغلا عمري " .

أما قافية " الميم المكسورة " التي اعتمد عليها الشاعر ، وقامت عليها القصيدة بما يتميز
به من توسط حدة الصوت وقوته ، ونبرة الحزن والحسرة خيمت على أجواء القصيدة ودلت
على انكسار الشاعر^(٢) ، واعتمد على عنصر التصريع في القطعة الغزلية ، في حين لم يعتمد
عليه في قصيدة الزهد ، فيقول :

خَلِيلِي قُولَا لِلْمَلِيحَةِ تَسْلَمِ عَلَى سَقَمٍ أَبَقْتُ وَقَلْبٍ مُتَيِّمٍ^(٣)
وَكُنْتُ أَظُنُّ الدَّهْرَ هَوَاً وَغِبْطَةً فَقَدْ أَيْقَنْتُ نَفْسِي مِنَ الْآنَ بِالْهَمِّ^(٤)

فابن المعتز في الطور الثاني من حياته سكن وسط دياجير الهموم والأحزان ، وكانت
القصائد الزهدية عنده تدور حول ذم الدَّهر والشكوى من كثرة همومه وأحزانه ، ومعاناته
مع السقم والأمراض .

(١) " شعر ابن المعتز " ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ .

(٢) انظر : تحليل محصة ابن الرومي ١٠٤ .

(٣) " شعر ابن المعتز " ، ج ١ ، ص ٣٤٤ .

(٤) انظر الشاهد في الصفحة السابقة من البحث .

إذن القصائد عنده متداخلة في عمومها بين موضوعات معينة، وهي : " الشيب ،
والزهد ، وبث الحكمة ، والحديث عن الموت " .

مُحَصَّات ابن عبد ربه الأندلسي " ت ٣٢٨ هـ "

من مُحَصَّات ابن عبد ربه التي جرت مجرى النقائض دون أن يلتزم فيها عنصر التضمين

القصيدة الأولى ، مطلعها :

تَجَنَّبُ لِبَاسَ الْخَزْرِ إِنْ كُنْتَ عَاقِلًا وَلَا تَخْتِمُ يَوْمًا بِفَصٍّ زَبْرُجَدٍ^(١)

سلك ابن عبد ربه مسلك الوعاظ الزاهدين الذين أوحى لهم التدين وحركتهم اليقظات الروحية من خوف يجر إلى الرغبة في التوبة و التفكير بالمصير الذي ينتظرهم ، داعيا إلى ترك مباحج الدنيا ، ووسائل الكبر ، والتفاخر والزَّهو ، والزهد في متاعها ، وفيما في أيدي الناس .

واستعمل الشاعر صيغة الأمر في البيت الأول " تجنب " وأكثر من صيغ النهي ، بل يمكن القول - تجاوزا - بأن القصيدة قائمة على أسلوب النهي والتحذير من أمور تجلب على صاحبها الندم وسوء العاقبة ، لذلك عَقَّب بعضها منها بتفسير لسبب ذلك وبين مغبة تلك الأمور التي نُهي وحذر منها،^(٢) والفعل المضارع يدل على استمرار النهي ودوامه ، وهناك تشابه بين ألفاظ البيت الرابع ، والثامن ، يقول :

يَرَى جِلْدَ كَبِشٍ تَحْتَهُ كُلَّمَا اسْتَوَى عَلَيْهِ سَرِيرًا فَوْقَ صَرْحٍ مُّمَرَّدٍ
فِيَوْمَا تَرَاهُ تَحْتَ سَوْطٍ مَجْرَدًا وَيَوْمًا تَرَاهُ فَوْقَ سَرْجٍ مُنْضَدٍ^(٣)

وبالمقارنة بين هذه القصيدة والقطعة النقيضة ، نقف على بعض الألفاظ المشتركة بينهما مثل : " اليد ، زبرجد ، غد " وصيغتا الأمر والنهي في البيت الأخير ، يقول :

(١) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٦٠ ، والقصيدة النقيضة في وصف الخمر مطلعها :

وحاملة راحاً على راحة اليد مُوردة تسعى بلونٍ مُورَّدٍ

المصدر السابق : ص ٨٦ .

(٢) انظر : القصيدة في المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٠ .

بِتِلْكَ وَهَذِي فَالَهُ لَيْلِكَ كُلُّهُ وَعَنْهَا فَسَلْ لَا تَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ غَدٍ^(١)

في حين نلمح بعض نقاط الاختلاف بينهما ، فالقطعة الخمرية نجد المطلع يعتمد على التصريح ، في حين يختفي هذا الأسلوب في قصيدة الوعظ ، كما ضمن الشاعر آخر الخمرية بيتاً لطرفة بن العبد ، وهو :

سَتُبْدِي لَكَ الْآيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(٢)

نجح الشاعر في توظيف حروف الشدة - ق ، ط ، ب ، ص ، ض ، ج ، د - لوصف شدة الموقف و أهمية ما حذر منه ، كما ساعدت موسيقى البحر " الطويل " الغنية ، لتسع انفعالاته المتتابعة و صرخات قلبه المتوالية ، خوفاً على نفسه وعلى أخيه ، وإعطاء مبررات لتحذيره ، وتصويره للموقف ، وكان جميلاً منه أن يختار روي " الدال " ليسانداً لحروف القصيدة وجوهاً للمفعم بالانفعال والشدة.^(٣)

القصيدة الثانية :

وهي عبارة عن قطعة تتكون من ثلاثة أبيات ، ومطلعها :

مَنْ لِي إِذَا جُدْتُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مِنِّي نَحْوُ الْمَوْتِ قِيدَ^(٤)

بدافع الخوف من الله يتذكر ابن عبد ربه الموت ، ويتخيل مواجهته لذلك الوحش وهو

(١) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٦١ .

(٢) " ديوان طرفة بن العبد " : (بيروت : المكتبة الثقافية ، د.ت) ، ص ٤١ .

(٣) انظر : صفات هذا الحرف عند سيبويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، وابن فارس : " معجم مقاييس اللغة " ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، ج ١ ، ص ١١ .

(٤) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٦٥ ، والقطعة النقيضة في الغناء ، مطلعها :

يَا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغُرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُ هَذَا الضَّنَّ مِنْ أَحَدٍ

المصدر السابق : ص ٦٤ .

يساق إلى حتفه من بين أهله و ولده ، وروحه تصعد إلى بارئها ، وهم لا يملكون إلا أن يذرفوا عليه الدمع الغزير الذي لا يدفع عنه الأجل المحتوم .

ويصور الشاعر كثرة بكاء أهله و ولده عليه بصورة المطر المنهمر بغزارة وقد قابلها بصورة الدمع المنهمر من العين ، مما يدل على كثرة الباكين عليه ، فيقول :

وَالدَّمْعُ يَهْمِلُ وَالْأَنْفَاسُ صَاعِدَةٌ فَالدَّمْعُ فِي صَبِّ وَالتَّفْسُ فِي صُعْدٍ^(١)

وقوله " قيد يد " دلالة على قرب الأجل ، مما يجعلنا نشعر بأن هذه القطعة قالها الشاعر في أيامه الأخيرة حين شعر بدنو أجله . وهناك نقاط تشابه بين القطعتين ، مثل الاستفتاح بيت مصرّع ، حيث يقول :

مَنْ لِي إِذَا جُدْتُ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَكَانَ مِنِّي نَحْوَ الْمَوْتِ قَيْدَ يَدٍ .

يَا مَنْ يَضُنُّ بِصَوْتِ الطَّائِرِ الْغَرْدِ مَا كُنْتُ أَحْسَبُ هَذَا الضَّنَّ مِنْ أَحَدٍ^(٢)

واتفاق القافية في البيت الأخير من القطعة الزهدية ، والبيت الخامس من القطعة النقيضة فيقول :

ذَاكَ الْقَضَاءُ الَّذِي لَا شَيْءَ يَصْرِفُهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٣)

فَلَا تَضُنُّ عَلَى أُذُنِي تُقَرِّطُهَا صَوْتًا يَجُولُ مَجَالَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ^(٤)

وكان الاتفاق أيضا ، في ضرب البيت الأخير على نفي الفعل المبدوء بأحد أحرف المضارعة والمختوم بالضمير ، يقول :

ذَاكَ الْقَضَاءُ الَّذِي " لَا شَيْءَ يَصْرِفُهُ " حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^(٥)

(١) " ديوان ابن عبد ربّه " ، ص ٦٥ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ٦٥ .

(٤) المصدر السابق : ص ٦٤ .

(٥) المصدر السابق : ص ٦٥ .

أَمَّا الشَّرَابُ فَإِنِّي " لَسْتُ أَقْرَبُهُ " ولستُ آتِيكَ إِلَّا كِسْرَتِي بِيَدِي^(١)

القصيدة الثالثة ، ومطلعها :

أَتْلُوهُ بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَاكِ عَلَى شَفِيرٍ؟^(٢)

يستمر ابن عبد ربه في بث وعظه نفحات من قلب مؤمن إلى إخوانه بتذكيرهم بالموت وتنبيه الغافلين اللاهين عن بغتته ، ودعوتهم إلى الاستعداد له ، وترهيدهم في الدنيا ، منكرا عليهم ذلك ، متعجبا من اغترارهم بآمالها وتعلقهم بجمال أحلامها الفانية مع أنهم يرون الموت كل يوم يحصد في العباد واحدا تلو الآخر ولا يعتبرون ، فمسرقتها زائلة وواهية وإن طالت فلا تلبث حتى يعقبها الحزن والمرض والفناء ، وترى الحقيقة ماثلة أمام العين ، فأسلوب الاستفهام الذي استخدمه الشاعر مطرزا به مطلع المحصنة ، والبيت الثالث يبين ما في نفسه من التعجب والدهشة المتمكنة منه من صنيع صاحبه وعدم تفكره في مصيره وما ينتظره ، وكأنه قصد من وراء ذلك أن يأمره بترك اللهو ، والعمل للآخرة.

فيقول في البيت الثالث :

أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلُّ يَوْمٍ تَرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ؟^(٣)

وصيغة الفعل المضارع بعد أداة الاستفهام " تلهو ، تفرح " تدل على تمكن الدهشة والتعجب من قبل الشاعر التي لم تكن بسبب اللهو والفرح ؛ وإنما بسبب استمرار هذه

(١) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٦٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٤ ، والقطعة النقيضة في الخمر ، مطلعها :

ورأدة بأنفاس العبير مقنعة المفارق بالقتير

المصدر السابق : ص ٩٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٤ .

الحالة حتى بعد ما يراه الإنسان من قبور الموتى التي سيسكن أحدها بعد حين ، وجملة " وأنت من الهلاك على شفير " استعاض بها عن تصريحه بكبر عُمره ، وفي قوله :

فيا مَنْ غرّة أملٌ طويلٌ يُؤدّيهِ إلى أَجلٍ قصيرٍ^(١)

لفت انتباه من الشاعر لصاحبه وتحذير له من طول الأمل ، فهو يُقصرُ العُمر ويُدني الأجل ، حتى يسارع إلى ترك هذا الطريق وسلوك طريق النجاة ، إضافة إلى عنصر التصريح المشترك بين النقيضتين ، كما أن القافية في كليهما مجرورة بحرف جرٍّ ، حيث يقول في النقيضة :

ورادّةً بأنفاسِ العَبرِ مُنّعةً المَفارقِ بالقَبرِ^(٢)

وجاءت القصيدة على بحر " الوافر " وتفعيلاته المتوسطة الستة :

مفاعلتن مفاعلتن فعولن مفاعلتن مفاعلتن فعولن

و هو بحر يتميز بحسن موسيقاه التي تأنس لها الآذان وتطمئن لها النفوس عند الاستماع والإنشاد ، ويدل على اعتدال العاطفة وهدوء الانفعالات النفسية واستكانتها ، و وصف انفعال الشاعر بالاعتدال حين رأى وشاهد الموقف كانت مما يناسب تفعيلات هذا البحر .

أما ما يخص حرف الروي ، فيمكن الرجوع إلى المحاضرة الأولى عند أبي نواس ، وابن المعتز ، للوقوف على تأثير هذا الروي وأبرز خصائصه .

قصائد ابن عبد ربه " المحاضرة " يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

أ- محصات اتفق فيها الوزن والقافية فقط .

ب- محصات اتفق فيها الوزن والقافية و تشابه بعض إضافة إلى اتفاق بعض الصُّور والألفاظ و التصريع .

ج- محصة فريدة من نوعها في شعره ضمنها شطرا من القصيدة النقيضة إشارة إلى أنّه أراد تمحيصها . فيمكن القول : إنّ ابن عبد ربه قد بدأ بالنوع الأول كمعارضة للشعراء السابقين حين كان في بداية حياته الأدبية ، ثم تدرج وصولا إلى النوع الثاني ، وعندما

(١) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٣ .

قوي ساعده وتمكن من ناصية القول أدخل النوع الثالث إلى شعره كنوع من التجديد
والتميز ، وسأتناول النوع الثالث من ممحّصاته في المبحث الثاني من هذا الفصل .

مُحَصَّات الشَّريف العَقِيلِي " تـ ٤٨ "

يعتبر الشَّريف العَقِيلِي من شعراء المحصَّات التائبين بعد حياة حافلة باللَّهو والتَّرف والمجون بلغت ذروتها في مرحلة الشباب ، ثم عاد إلى ربه راجيا عفوهُ ، مكفرا عما قاله بعدما جاءت جيوش الشيب تنذرهُ بالضعف وقرب الأجل ، كما أشار إلى ذلك جامع شعره والملاحظ على ديوانه أنَّه ختم كل قافية من الديوان بمقطعات و تنتف في الزهد ، عدا قافية " الميم ، والهاء ، والياء " فليس فيها شيء من الزهد ، وهناك أيضا قوافٍ أفردت بمقطعات زهدية ، مثل قافية : " الحاء ، والطاء " فهو بذلك يجعل من شعره الزهدي كَفَّارة له عما سلف من القول ، " فجاء الشاعر بمقطوعاته وقصائده ضمن الحرف الواحد مختومة بقطعة أو أكثر من شعر الزهد والاستغفار ، وكأنَّه بهذا يزيل ما علق في نفس القارئ من شعره السابق برجوعه إلى الله وتقواه " (١) ، " ويلفت النظر في ديوان الشَّريف العَقِيلِي أنَّه يختم كل باب من قوافي شعره بأبيات من الزهد الخاشع المؤثر في النفس ، كأنَّه يجعل ذلك كفارة عما سلف في شعر القافية الماضية من الذنوب " (٢) .

و هذه المحصَّات أقرب ما تكون نظما ليس فيها من الشَّعر إلَّا القافية و الوزن

من محصَّاته ، التي حذرا فيها من بغتة الموت ، و دعا إلى حياة التقى ، فيقول :

قَدْ لَاحَ فِي فَوْدِكَ الْمَشِيبُ وَرَثَ مِنْ عُمْرِكَ الْقَشِيبُ
فَكُنْ لِدَاعِي الثَّقَى مُجِيبًا مِنْ قَبْلِ تَدْعَى فَلَا تُجِيبُ (٣)

(١) " ديوان الشَّريف العَقِيلِي " ، ص ٣٥ .

(٢) د. حسن ، محمد عبد الغني : " مصر الشاعرة في العصر الفاطمي " ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣م) ، ص ٢٣٤ .

(٣) " ديوان الشَّريف العَقِيلِي " ، ص ٧٩ ، والقطعة النقيضة ، مطلعها :

أَيَا مَنْ لَهُ وَجْهٌ قَدْ اجْتَمَعَتْ بِهِ مَحَاسِنُ مِنْهَا مُمَرِّضٌ وَطِيبُ

المصدر السابق : ص ٦٦ .

واستعمل " قد " الحقيقية " قد لاح " والفعل الماضي " رث " دلالة على كبره ، وفعل الأمر " كُن " للحث على التُّقى ، وجملة " من قبل تدعى فلا تجيب " كناية عن الموت ، والفعل هنا للاستقبال ، أي من قبل أن تصبح من الأموات مستقبلا فتدعى إلى التُّقى فلا تستطيع إجابة الداعي .

ومن محصاته ، قوله :

فَارَ مَنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ سَيِّئَاتٌ وَ نَجَا مَنْ وَرَاءَهُ حَسَنَاتٌ^(١)

فهو نادى على ما اقترَف من سيئات ، ويغبط صاحب الحسنات ، محذرا من الندم بعد فوات الأوان ، وأتى التوافق بين النقيضتين في البحر " الخفيف " أحد البحور المتوسطة ، وتفعيلاته :

فاعلاتن مستفعَلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعَلن فاعلاتن

وإحدى القوافي ، وهي قوله :

فَاقْضِ دَيْنَ التُّقَى وَلَا تَكُ مِمَّنْ أَبْدَأَ فِيهِ لِلتُّقَى إِغْنَاتٌ^(٢)
وَمُعْذِرٌ لِي فِيهِ عُذْرٌ وَاضِحٌ مَنْ شَكَّ فِيهِ فَفِيهِ لِي إِغْنَاتٌ^(٣)

وقطعة أخرى على القافية نفسها ، مطلعها :

تَزَوَّجَ الْحَسَنَاتِ وَطَلَّقَ السَّيِّئَاتِ^(٤)

(١) " ديوان الشريف العقيلي " ، ص ٨٨ ، ومطلع القصيدة النقيضة ، ص ٨٧ :

بَرَكَاتٌ عِنْدِي كَاسِمِهِ بَرَكَاتُ ظِلِّي طَرَائِفَ طَرَفِهِ اللَّحَظَاتُ

(٢) المصدر السابق : ٨٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٨ ، والقطعة النقيضة ، ص ٨٧ ، مطلعها :

لَا يَأْكُلُ اللَّهُ فِيمَنْ يَصُدُّ عَنْ بَرَكَاتِ

أيضا يبحث على كسب الحسنات ، والبعد عن المعاصي والذنوب التي يجني صاحبها السيئات ، ويختم القطعة بحقيقة لا تخفى على كل مؤمن ، وهي : أن الموت أهون مما سيكون بعده ، فيقول :

فَالْمَوْتُ أَهْوَنُ شَيْءٍ يَكُونُ بَعْدَ الْمَمَاتِ^(١)

ومما أتى من محصلاته على قافية " الثاء " ، قوله :

وَدَعْ الْمَعَاصِيَ عَنْكَ فِي مَعَزِلٍ وَتُبْ إِلَى مَنْ هُوَ نِعَمَ الْغِيَاثِ^(٢)

يدعو إلى التوبة وترك المعاصي ، والقافية ذاتها في مطلع النقيضة ، كما اتفق بيتان آخران في القافية والنفي ، في قوله :

فَلَيْسَ يَحْظَى بِجَدِيدِ الرِّضَا عَبْدٌ عَلَيْهِ حَسَنَاتٌ رِثَاثُ
لَمْ يَكْسُ مِذَّ كَانَ مَقَاطِيعُهُ غَيْرَ مَعَانَ دَنَسَاتٍ رِثَاثِ^(٣)

ومن قافية " الذال " يطالعنا قوله :

رَوِّ بِالْوَبْلِ مِنْ صَلَاحِكَ دِينًا لَيْسَ يَرْضَى ظِمَانُهُ بِالرَّذَاذِ^(٤)

(١) " ديوان الشريف العقيلي " ، ص ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٨٩ ، والقطعة النقيضة ، مطلعها :

يَا صَاحِ لَا تُصْغِي إِلَى لَفِظِهِ يَفْتَحُ عَنْهَا شَفَتَيْهِ غِيَاثُ

المصدر السابق : ص ٨٩ .

(٣) المصدر السابق : ص ٨٩ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٣٤ ، والقصيدة النقيضة ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، مطلعها :

يَا مَعَادِي حَقًّا وَيَا أَسْتَازِي وَمَلَاذِي مِنْ دُونِ كُلِّ مَلَاذٍ

في هذا الشاهد تجاوز من الشاعر في خطاب الله - سبحانه و تعالى - " يا أستاذي " .

يدعو إلى الإكثار والاستمرار في إصلاح الإنسان لدينه ، وفي البيت صورة تشخيصية ، حين جعل الإصلاح شخصاً يظماً ولا يروي ظمأه الرذاذ، لذلك يطلب الوبل ، فالقليل من الإصلاح لا يرضي نفسه ، وكأن النفس تظماً إلى صلاحه صلاحاً كلياً ، وتحول صلاحه إلى سحب ينزل منها الماء ، والقافية نفسها في البيت الثالث من القصيدة النقيضة مضمناً بصورة أيضاً ، حيث يقول :

كُلَّمَا جَاءَنَا بِكَافُورٍ غَيِّمٌ جَاءَ فِي عَقْبِهِ بِمِسْكٍ رَدَاذٍ^(١)

واتحدت القافية أيضاً في بيتين آخرين من النقيضتين ، فيقول :

لَا تَبِعْ بَاقِي اللَّذَاذَةِ يَوْمًا أَوْ يَكُنْ حُلُو مَائِهَا فِي التِّدَاذِي
والتِّدَاذِي مُضْنًا بَدَاءِ التَّنَائِي فَاشْفِ يَوْمًا بِالقُرْبِ مِنْهُ التِّدَاذِي^(٢)

ومن قافية " الطاء " محصة مطلعها :

أَرْضِ إِلَهَ السَّمَاءِ عَنْكَ بِمَا يَضْمَنُ عَنْكَ إِزَالَةَ السَّخَطِ^(٣)

يدعو إلى طلب رضا الله - سبحانه وتعالى - والبعد عما يسبب سخطه وغضبه ، وفي البيت الثاني من القطعة الزهدية اتفاق مع البيت الأول من النقيضة في القافية ، حيث يقول :

وإن ركبْتَ الصَّوَابَ مِنْكَ فَلَا تَسْرِ بِهٍ فِي مَسَالِكِ الغَلَطِ^(٤)
ومن قافية " الواو " ، قوله :

(١) " ديوان الشريف العقيلي ، ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٤ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٩٥ ، والقطعة النقيضة ، مطلعها :

عَشِقْتُ مَنْ لَا أَلَامَ فِيهِ وَلَا أَنْسَبُ فِي عِشْقِهِ إِلَى الغَلَطِ

المصدر السابق : ص ١٩٤ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٩٥ .

يَا ذَا الَّذِي هَمَّتْهُ اللَّهْوُ وَمَالَهُ مِنْ سُكْرِهِ صَحْوٌ^(١)

يحذر من عاقبة اللهو وما يجنيه صاحبه من الندم ، فالشاعر ينفي أن يكون لسكر اللاهي صحو من غفلته في حين يثبت أن للسكر صحوا عندما يكون الإنسان مخمورا ؛ لأنّ تأثير الخمر على عقله سيزول حتما ويصحو المرء من سكره أما سكر اللهو فلا صحوة منه ؛ لأنّ الإنسان يلهو وهو مدرك لما يفعله ، فماء مورد الغي غير صاف ولا حلو ، يشوبه العكر ، فيقول :

إِيَّاكَ أَنْ تَسْلُو فَلَا نَلْتَقِي فَكُلُّ سُكْرٍ خَلْفُهُ صَحْوٌ^(٢)

واتفقت النقيضتان في القافية ، كما اتفقتا في استهلال المطلع بالنداء " يا ذا الذي " ، كما يثبت الشاعر سهو الإنسان وغفلته في بيتين اشتركت قافيتهما في المعنى ، وهما قوله :

إِنْ كُنْتَ تَخْشَى نَدْمًا فِي غَدٍ فَلَنْ بَمَنْ نَسْهُو وَلَا يَسْهُو
يَا ذَا الَّذِي يَظْلِمُنَا ذَاكِرًا وَفِيهِ عَنْ إِنْصَافِنَا سَهْوٌ^(٣)

ممحصات الشريف العقيلي مقارنة بممحصات غيره من الشعراء تعد قصيرة جدا ، وتدور حول الحض على التوبة واكتساب الحسنات ، حتى يحظى الإنسان برضا الرحمن عنه ، والتحذير من عاقبة حياة اللهو وما يحصده من الخسارة والندم بعد فوات الأوان وأقول عنفوان الشباب ، فالشاعر نظم قصائده الزهدية بعد انقضاء عهد التصابي الذي ملت منه النفس ، وهي طبيعة وفطرة جبلت عليها .

(١) " ديوان الشريف العقيلي " ، ص ٢٩٧ ، والقطعة النقيضة ، مطلعها :

يَا ذَا الَّذِي يَظْلِمُنَا ذَاكِرًا وَفِيهِ عَنْ إِنْصَافِنَا سَهْوٌ

المصدر السابق : ٢٩٧ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٩٧ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٩٧ .

أيضا نلاحظ أنّ الشاعر استعمل بحورا متوسطة وصافية وقصيرة و مجزوء لما تتميز به من
الخفة والرشاقة ، والسرعة والسهولة والبساطة ، حتى تحفظ وتثبت في ذاكرة الإنسان ، وقد
شاعت هذه الأوزان في العصور التي تلت العصر الإسلامي ، وكثر نظم الشعراء على منوالها
لما تقتضيه طبيعة العصر وظروفه .

محمّدة ابن حمديس " ت ٣٧٧ هـ "

مطلعها :

مَا الَّذِي أَعْدَدْتَ لِلْمَوْتِ فَقَدْ قُدِّرَ الْمَوْتُ بِلا شَكٍّ عَلَيْكَ؟^(١)

الموت مصير كل حيّ ، ولا بد من الإعداد له والاستعداد لموقف يوم الحشر ، والشاعر يذم الإكثار من الذنوب ، ويدعو إلى التهيؤ لذلك اليوم ، ويصور موقفه يوم القيامة وأهواله تحيط به من كل جانب ، وقد أتى حاملاً عبء ذنوبه ، والويل لمن زلت به قدمه عن الصراط ولم يحظ بنظرة من الرحمن ، فمآله النار و بئس المصير .

أسلوب الاستفهام في مطلع القصيدة الغاية منه لفت الانتباه و تذكيره بما غفل عنه و هو الموت ، و استخدم " قد " للتأكيد على حقيقة الموت ، والفعل مبني للمجهول " قُدِّرَ " جاء في البيت ؛ لأنّ الفاعل الذي قُدِّرَ الموت على العباد - وهو الله - معلوم لا يخفى على أحد فلا يحتاج إلى ذكر. والاستفهام في البيت الثاني في قوله :

أَذْنُوباً كَاثَرْتُ عَدَّ الْحَصَى بئسَ مَا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ كَسْبٍ يَدِيكَ؟^(٢)

دلّ على الإنكار والتوبيخ ، والحضّ على الاستكثار من الأعمال الصالحة ، والتزود من الحسنات ، والنهي عن كثرة الذنوب وكأنه يقول : إن كانت الذنوب ما أعددتَه لذلك اليوم واستكثرت منه ، فبئس ما فعلت و أعددت ، وكأنها عملية تجارة وكسب وخسارة ؛ لأن كسب السيئات في الدنيا نتيجه الخسارة في الآخرة ، وكسب الحسنات سيؤدي إلى الفوز والفلاح في الآخرة ، والفعل الماضي " استكثرت " دلّ على أنّ كسب الحسنات والسيئات إنما هو في الدنيا وليس في الآخرة .

(١) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٣٤٦ ، والقصيدة النقيضة ، مطلعها :

هَاتِ كَأْسَ الرَّاحِ أَوْ خُذْهَا إِلَيْكَ يَزِلُّ اللَّهُوْهَا بَيْنَ يَدَيْكَ

المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٦ .

من نقاط التشابه بين القصيدة والقطعة ، أسلوب الاستفهام ، يقول :

أَعْلِيلُ أَنْتَ ، مَاذَا تَشْتَهِي ؟ قُلْتُ : قَطْفِي بِيَدِي رُمَاتِيكَ
فَأَنْشَتُ كِبْرًا وَقَالَتْ : وَيَلْنَا أَوْ هَذَا كُفْلُهُ تَطْلُبُ وَيْكَ؟^(١)

أيضا اتفقتا في بعض القوافي ، مثل :

وَتَنَاوَلُ نَشْوَةً مِنْ رَوْضَةٍ طَلَعَتْ كَالشَّمْسِ بِالتَّجْمِ عَلَيْكَ^(٢)

وهذه القافية مطابقة لقافية مطلع المحصّة ، ومنها أيضا قافية أخرى طابقت البيت السابق من المحصّة ، وهو :

هَاتِ كَأْسَ الرَّاحِ أَوْ خُذْهَا إِلَيْكَ يَنْزِلُ اللَّهُ بِهَا بَيْنَ يَدَيْكَ^(٣)
وقوله :

فَلَكِ الْوَيْلُ مِنَ النَّارِ إِذَا مُقْلَةُ الرَّحْمَنِ لَمْ تَنْظُرْ إِلَيْكَ^(٤)
ويقابله قوله :

تَتَغَنَّى بِنَسِيبِ قُلْتَهُ فَهَوَاهَا رَاجِعٌ مِنْكَ إِلَيْكَ^(٥)
ونظم الشاعر محصّته على أوزان بحر " الرمل " المحذوف العروض والضرب ،
وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

(١) " ديوان ابن حمديس " ، ص ٣٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٣٤٦ .

(٥) المصدر السابق : ص ٣٤٣ .

وهو من البحور المتوسطة ذات الإيقاع الهادئ المتميز بحسن نغماته ، وحرف الروي وهو " الكاف " وما يتميز به من الشدة والجهر كما شاركته حروف أخرى وهي " القاف الجيم ، الشين ، الطاء " في الإيحاء بشدة الانفعال وقوة الموقف ، وصعوبة المعاني التي عبر عنها الشاعر وهي : الموت ، والقبر ، والحشر ، والصراط ، والنَّار^(١)

(١) انظر : سيبويه " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ٦٠ ، ١٧٥ ،
٦١ ، ٢٠٥ ، ٢١٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، وابن فارس : " معجم مقاييس اللغة " ، ج ١ ، ص ٨ ، ١٤ ، ١٧ .

مُحَاطَاتُ أَبُو الْفَضْلِ بِهَاءِ الدِّينِ زَهِيرٍ "ت ٦٦٦ هـ"

البهاء زهير شاعر بكاء شبابه الضائع ، و عبّر عن معاناته بألفاظ عذبة ، و عاطفة حزينة غزت كيان شعره .. لكن حياة التّقى التي لازمت المرحلة الأخيرة من عُمره كانت تنم عن شعور صادق لأمس روحه ، فحقق قلبه لها ، و عزفت أوتار قيثارته لحن الإنابة إلى ربّه .

مطلع المُحَصَّصة الأولى :

وَعَانِيَةَ لَمَّا رَأَيْتَنِي أَعُولْتُ وَقَالَتْ : عَجِيبٌ يَا زُهَيْرُ عَجِيبٌ^(١)

يستهل الشاعر قصيدته بمقدمة في الشيب ، وإنكار الغانيات عليه ذلك وتعجبهم من ظهور الشيب عليه ، إذ لا يزال في عنفوان شبابه رطب الغصن ، وماء الصّبّا يتقطر منه إلّا أنه يوضح لها سبب ظهور الشيب عليه ، الذي كان بسبب وقائع هجرها ، فيقول :

وَمَا شَبْتُ إِلَّا مِنْ وَقَائِعِ هَجْرِهَا عَلَى أَنْ عَهْدِي بِالصَّبَا لَقَرِيبٌ^(٢)

وينتقل البهاء إلى جزء آخر من القصيدة يصف فيه ما لاقاه من تبايرح الحب أيام كان يمرح ويسرح منهمكا في لهوه وغيه غير عابئ بما يقوله عنه العذول تاركاً رقيه يموت غيظاً ، في حين ينقلنا في الأبيات الثلاثة الأخيرة من المُحَصَّصة إلى بيت القصيد ، فبزوغ الشيب كان داعياً له لترك حياة اللهو مجيئاً لداعي التّقى ، راجياً عفو الكريم عن ذنبه ، مع أن الهوى لا زال يدعوه فيجيبه ، إلّا أن التّقى يثنيه بعد ذلك فينيب له ويقرّ بذنبه ، فيقول :

وَإِنِّي لِيدْعُوْنِي الْهَوَى فَأَجِيبُهُ وَإِنِّي لَيُثْنِيْنِي التُّقَى فَأُنِيبُ

رَجَوْتُ كَرِيماً قَدْ وَثَقْتُ بِصَنْعِهِ وَمَا كَانَ مَنْ يَرْجُو الْكَرِيمَ يُخِيبُ

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، (القاهرة : إدارة الطباعة المينرية ، د.ت) ، ص ١٣-١٤ .

والقصيدة النقيضة في الديوان ، ص ١٦ ، ومطلعها :

يُحَدِّثُنِي زَيْدٌ عَنِ الْبَانِ وَالْحَمَى أَحَادِيثُ يَحْلُو ذِكْرُهَا وَيَطِيبُ

(٢) المصدر السابق : ص ١٣ .

فيا من يحب العفو إنِّي مُذنبٌ ولا عَفْو إلاَّ أَنْ تَكُونَ ذُنُوبٌ^(١)

من الظواهر الأسلوبية في القصيدة ، صيغة الفعل " الماضي " في بداية الحديث عن ظهور الشيب ، وتعجب الغانية ؛ لأنه يحكي ما حدث له فيما مضى من عُمره ، مثل " رأيتني ، أعولت ، قالت ، أنكرت " ، أما بعد ما أجاب الغانية عن سبب ظهور الشيب على رأسه زال تعجبها ، كما استعمل صيغة الفعل " المضارع " للدلالة على استمرار الازدراء والاستخفاف بالشاعر ، وتسفيهه وتعييره من قبل عدوله الذي يغار منه فلجأ إلى الإنقاص من قدره فيقول :

تَرَكْتُ عَذُولِي مَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ يُسَفِّهُ يُذْري يَسْتَخَفُّ يَعِيبُ^(٢)

كما استعمل " قد " التحقيقية في مقام تأكيد إنكار الغانية لما رآته ، فيقول :

لَقَدْ أُنْكَرْتُ مَنِّي مَشِيئاً عَلَى صَبَا وَقَالَتْ : مَشِيْبٌ ، قُلْتُ : ذَاكَ مَشِيْبٌ^(٣)

ويؤكد دهشتها وتعجبها السؤال الذي طرحته ، وكأنها لم تصدق ذلك .

من القوافي المشتركة بين النقيضتين ، قوله :

وَمَا شَبْتُ إِلَّا مِنْ وَقَائِعِ هَجْرَهَا عَلَى أَنَّ عَهْدِي بِالصَّبَا لَقَرِيبٌ^(٤)

يقابله قوله :

وَدَعَيْتُ أَفْزَ مِنْ مُقْلَتِكَ بِنَظَرَةٍ فَعَهْدُهُمَا مِمَّنْ أَحَبُّ قَرِيبٌ^(٥)

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٤ .

(٥) المصدر السابق : ص ١٦ .

وقوله :

أروحُ ولي في نشوة الحب هزةً ولستُ أبالي أن يُقالَ طروبٌ^(١)

في مقابلة قوله :

فقلتُ : لزيدٍ إنَّها لبشارة وإنِّي لنشوانٌ بها وطروبٌ^(٢)

في البيتين تشابه بين الألفاظ ، بين الهزة من الحب ، والنشوة التي أصابته وسرته من وقع
بشارة زيد ، ومن ذلك أيضا ، قوله :

مُحبٌ خليعٌ عاشقٌ متهتِكُ يلدُ لقلبي كلُّ ذا ويطيبُ^(٣)

يقابل قوله

يُحدثنِي زيدٌ عن البانِ و الحمى أحاديثَ يحلو ذكرها ويطيبُ^(٤)

ساعدت موسيقى البحر " الطويل " في رسم مراحل القصة وانفعال شخصياتها رسماً
دقيقاً صبَّ الشاعر فيه عواطفه ، وساهمت قافية " الباء " بما توحى به من سرعة ساعدت
على التناغم والموسيقى وأوحت بانتصار الشاعر في الأخير وعودته إلى رحاب التقى ،
وطلب العفو من الله بعد ما كان منه من اللهو في بداية حياته ، في حين نشعر بأن الشاعر في
هذه القصيدة يتذكر أيامه الخوالي^(٥).

القصيدة الثانية ، ومطلعها :

كانَ البياضُ يَروُّقُني حتَّى رَأيتُ الشَّيبَ مِنِّي^(٦)

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ١٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٦ .

(٥) انظر : سيبويه " لكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(٦) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ٢٢٣ ، والقصيدة النقيضة ، ص ٢١٢ ، مطلعها :

كَمْ ذَا التَّحْنُبُ والتَّحْنِي مَا كَانَ هَذَا فِيكَ ظَنِّي

عكّر الشيب صفو حياته ، و كان سببا أفاق الشّاعر من غفلته ، وترك سبيل الهوى ،
قارعا سنه ندما ، تائبا إلى ربّه ، وقفّا بيباه ، عساه يقبله و يأذن له .

أراد الشّاعر بالبياض الذي كان يروق له " بياض وجه المحبوبة " إذ كان أجمل ما يراه
فيها ويعجب به ، أما بعدما شاهد بياض الشيب يزين رأسه أصبح مصدرا لألمه ، ويعكّر
صفو حياته ، فكره لونه وتمنى أن يزول عنه حتى يحظى بفرصة أخرى للهوى ، فيقول :

فَلَقَدْ هَجَرْتُ بِكَ الصَّبَا وَنَسِيتُهُ حَتَّى كَأَنِّي
وَيُقَالُ : إِنَّكَ قَدْ كَبُرَ تَ عَنْ الْهَوَى ، فَأَقُولُ : إِنِّي^(١)

والملاحظ استعمال الشاعر لأدوات التوكيد " قد ، إن " في المثال تأكيدا منه لكل حالة
انتابته " لقد هجرت ، كأني ، إنك قد كبرت ، إني " .

كما استعمل الجناس ، في قوله :

وَأَظْلُ أَقْرَعُ دَائِمًا سَنِي إِذَا حَقَّقْتُ سَنِي^(٢)

فالأولى أراد بها السنّ - في الفم - ، والثانية أراد بها عُمره ، فهو يقرع سنه ندما على
ما مضى من عمره في اللهو ، يقول :

حَتَّى انْقَضَى زَمَنُ الصَّبَا فَخَرَجْتُ مِنْ حُزْنٍ لِحُزْنٍ^(٣)

" حزن ، حزن " أراد أنه خرج من حزن فراق المحبوبة وصدودها وتجنّئها إلى حزن
بزوغ فجر الشيب وفناء شبابه وفقدان حياة المرح واللّهو ، وكأن الحزن ملازم له طيلة
حياته .

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٢٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٣ .

وفي القصيدتين الكثير من نقاط التشابه ، كالقوافي ، والألفاظ ، والتدوير الذي شاع في معظم الأبيات ، والتصريح ، من القوافي المشتركة قوله :

كَانَ الْبَيَاضُ يَرُوقُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الشَّيْبَ مِنِّي^(١)

قُلْ : لِي وَحَدَّثَنِي فَهَآ ذَا مَوْضِعِ الْكَيْمَانِ مِنِّي^(٢)

فَلَقَدْ هَجَرْتُ بِكَ الصَّبَا وَنَسِيتُهُ حَتَّى كَأَنِّي^(٣)

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا جَرَى لَكَ كُلُّهُ حَتَّى كَأَنِّي^(٤)

وَيُقَالُ : إِنَّكَ قَدْ كَبُرَ تَ عَنْ الْهَوَى ، فَأَقُولُ : إِنِّي^(٥)

غَالِطَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَمْ تَحُنْ وَزَعَمْتَ أَنِّي^(٦)

قَدْ كُنْتُ أَحْزَنُ لِلْفِرَا قِ وَلِلصُّدُودِ وَلِلتَّجْنِي^(٧)

لَا لَا وَحَقَّ اللَّهُ مَا عَوَدْتَنِي هَذَا التَّجْنِي^(٨)

(١) " ديوان أبي الفضل بماء الدين زهير " ، ص ٢٢٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢١٢ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٢٣ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق : ص ٢٢٣ .

(٦) المصدر السابق : ص ٢١٢ .

(٧) المصدر السابق : ص ٢٢٣ .

(٨) المصدر السابق : ص ٢١٢ .

عاطفة الشاعر معتدلة سريعة استجابة لانفعاله السريع ، فلاءمتها تفعيلات بحر " الكامل
" الموحدة المكررة " متفاعلن " ست مرات ، وصاحبه في ذلك روي " النون " ، وهو
حرف متوسط القوة^(١).

القصيدة الثالثة، ومطلعها :

مَضَى الشَّبَابُ وَوَلَّى مَا انْتَفَعْتُ بِهِ وَلَيْتَهُ فَارِطًا يُرْجَى تَلَاْفِيهِ^(٢)

يكرر الشاعر أسفه وحزنه على ما مضى من شبابه دون أن ينتفع به ، ويبكيه ويخشى
أن يكون ما بقي من عمره كما ذهب منه ، فالحسرة تملأ قلبه .

ولم يكتف البهاء باستعمال صيغة الفعل الماضي " مضى " ليدل على ذهابه وتبدل حاله
بل أضاف فعلا آخر وهو " ولَّى " ليؤكد على ذهابه دون عودة حتى يقطع الأمل في رجاء
عودته بل استعمل " النفي " ما انتفعت " لينبئ عن مضي العمر ، وتولي أيام اللهو دون أن
يفيد منه فيما يستقبل من الحياة والدار الآخرة ، وتمنى زواله لسوء ما قدم فيه وما صنع إذ لا
عمل له يسرّ به عند لقاء الكريم ، لذلك فهو يبكي أسفا وحزنا على ما فاتته الانتفاع به في
شبابه على الرغم من علمه المسبق بأن البكاء لا يفيد ولا يجدي ، ولا يعيد إليه شبابه مرة
أخرى ؛ لذلك يطلق زفرات قلبه الحزين حسرة وألما لضياعه .. ويعلم بأن الويل له إن أضاع
باقي عُمره فيما أضاع فيه شبابه ، وكأنه يحذر نفسه من الاستمرار في خوض غمار اللهو ،
ويحثها للاستفادة من باقي العمر والزهد في الدنيا والعمل للآخرة ، فيقول :

وَاحْسَرَتَاهُ لِعُمْرٍ ضَاعَ أَكْثَرُهُ وَالْوَيْلُ إِنْ كَانَ بَاقِيَهُ كَمَا ضِيَهُ^(٣)

(١) انظر : سيبويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ٤٣٥ .

(٢) انظر : "ديوان بماء الدين زهير " ، ص ٢٣٥ ، ، القصيدة النقيضة ، مطلعها :

أَقْرَأَ سَلَامِي عَلَى مَنْ لَا أَسْمِيَهُ وَمَنْ بِرُوحِي مِنَ الْأَسْوَاءِ أَفْئِدِيهِ

المصدر السابق : ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٥ .

نشعر بنبرة الحزن و آهات الشاعر من خلال قافية " الياء و الهاء " وما يوحي به الحرفان من الهمس واللين و انخفاض نبرة الصوت وحدته ، وهي صفات تحيط بقلب الشاعر الحزين وتناسب المقام^(١)، وبالنسبة للبحر الذي صيغت عليه أبيات المحضة " البحر البسيط " وما يتميز به من السهولة وتعدد المقاطع ، فهو من البحور الطويلة التي تتسع لوصف المشاعر والتجارب والعواطف ، وحديث البهاء ملئ بالشجن والبكاء على الشباب .. ووصف المحبوبة وتباريح الهوى وما يعانيه ؛ لذلك اتخذ هذا البحر ليصب فيه من أشجانه وينفض عنه حزنه وفرحه .

إضافة إلى عدم استهلال مطلع القطعتين بيت مصرّع ، و اتفاقهما في قافية واحدة ، وهي :

أُولَيْتَ لِي عَمَلًا أُسَرِّ بِهِ أُولَيْتَنِي لَا جَرَى لِي مَا جَرَى فِيهِ^(٢)
 مَنْ مِثْلُ قَلْبِي ، أَوْ مَنْ مِثْلُ سَاكِنِهِ اللَّهُ يَحْفَظُ قَلْبِي وَ الَّذِي فِيهِ^(٣)
 هذا ولا يمكن الحكم على النقيضتين حكما منصفًا ؛ نظرا للتفاوت الكبير بينهما .
 القصيدة الرابعة ، ومطلعها :

مَا لِلْعَذُولِ وَمَا لِيهِ عَذْلُ الْمَشِيبِ كَفَانِيهِ؟^(٤)

(١) انظر سيبويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ٢ ، ص ٥١٥ ، ٧٢٩ .

(٢) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ٢٣٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٣٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٦ ، والقصيدة النقيضة ، مطلعها :

مَلِكُ الْغَرَامِ عَنَائِيهِ فَالْيَوْمَ طَالَ عَنَائِيهِ

المصدر السابق : ص ٢٤٥ .

يظل العذال يسعون وراءه - لائمين - يلومونه على تبدل حاله وزهده ، ويظل الشاعر يتحسر على شبابه ويندبه إذ لم يبلغ مراده فيه ، وهو صادق الزهد لا يرائي فيه لخوفه من الله .. فالله لا تخفى عليه خافيه .

استفتح القصيدة بالاستفهام الإنكاري ، منكرا على العذول لومه له ، فلوم المشيب قد كفاه وأغناه .. مستعملا " قد " التحقيقية ليبرهن على عدة أمور ويؤكد عليها " لقد عرفت مكانيه ، قد قعدت، قد كشفت، ولقد أرحتك " . واتفقت لفظتان من قافية في القصيدة وهما، قوله :

سَلْنِي أُجِبْكَ بِمَا يَسُرُّ لَكَ ذِكْرُهُ مِنْ حَالِيهِ^(١)

وقوله :

وإِلَيْكَ يَا مَلِكَ الْمَلَا حَ وَفْتُ أَشْكُو حَالِيهِ^(٢)

وقوله :

وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيهِ^(٣)

وقوله :

إِنِّي لِأَطْلُبُ حَاجَةً لَيْسَتْ عَلَيْكَ بِخَافِيهِ^(٤)

وأسلوب التدوير كان واضحا في القصيدتين^(٥)، وانفعال الشاعر السريع بدا واضحا في اختياره لمجزوء بحر الكامل المكون من تكرار " متفاعلن " أربع مرات ، وهو من البحور

(١) " ديوان أبي الفضل بهاء الدين زهير " ، ص ٢٤٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٢٤٥ .

(٣) المصدر السابق : ص ٢٤٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٢٤٥ .

(٥) انظر القصيدتين في الديوان : ص ٢٤٥-٢٤٦ .

القصيدة ، ويبدو أنّ الشاعر قد نظم القصيدة في حالة انفعال سريع ، إذ كان ذلك تأثراً بالقصيدة النقيضة ، وهذا النمط نراه شائعاً في الشعر العربي ، خاصة في العصر العباسي حين أخذ الناس يتغنون بالأشعار ويلحنونها ويرتاحون إلى موسيقاها ؛ لأنّها أطوع في الغناء والتلحين^(١).

شعر البهاء في هذه القصيدة يدور حول بكاء الشباب والتحسر على فنائه ، وترك حياة اللهو ، والزهد في الحياة ، وأسلوب التعجب من الصاحبة حين رأت الشيب يلوح على مفارق رأسه نجده أيضاً عند صاحبة ابن المعتز ، فالتأثر بين الشاعرين واضح ، فالشيب كان سبباً في كبح جماح الهوى والتصابي .

والملاحظ في شعر البهاء ، أن الشاعر يتحسر على شبابه الفاني بما فيه من ذكريات جميلة يمر طيفها أمام عينه فيحن إليها ، لكنه يكتنم ذاك الهوى والشوق المضطرب والمتلاطم في فؤاده ، وينيب إلى ربّه يرجو منه العفو والمغفرة عن زلاته في أيام شبابه المنصرم ، "وللبهاء زهير بضع قصائد في المشيب ، يتحسر فيها على شبابه الراحل ، وتترأى أمامه أطياف الماضي بما فيه من جمال الحسان ، وكأس المدام ، فيهتز لها ، ويهيم بها ، يدفعه إلى ذلك كله قلب لا تزال فيه بقية من شمائل المرح الطروب ، ولكنه يكتنم صبابته ، وينيب إلى ربّه ، ويلتمس منه العفو والغفران"^(٢).

(١) انظر : د. أنيس ، إبراهيم : "موسيقى الشعر" ، ط (٤) ، (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢م) ص ١٠٦-١٠٧ .

(٢) د. شلي ، عبد الفتاح : "البهاء زهير" ، ط (٢) ، (القاهرة : دار المعارف ، د . ت) ، ص ٥٩-٦٠ .

المبحث الثالث : مُمَحَّصَاتُ نَصِّ عَلَيْهَا

أبرز الشعراء:

- ١- أبو عقال غلبون بن الحسن " تـ ٢٩١هـ " .
- ٢- أحمد بن عبد ربه الأندلسي " تـ ٣٢٨ هـ " .
- ٣- الشريف العقيلي " تـ ٤٥٠هـ " .
- ٤- ابن حزم الأندلسي " تـ ٤٥٦هـ " .

مُحَصَّات أَبُو عَقَال " ت ٢٩١ هـ "

واسمه : غلبون بن الحسن بن غلبون من بني الأغلب ملوك القيروان ^(١)، من الحفاظ النبلاء والشعراء والأدباء ، نشأ بالقيروان في مجبوحة من العيش ورغد وثراء مغدق ، كان شديد المجون قد جرّ أذياله في الصبا وانغمس في حياة اللهو منهمكا في البطالة مع مروءة وفتوة عُرف بهما ، إلى أن تاب إلى الله وصلح حاله وآثر ما يبقى على ما يفنى ، وتجرد من الدنيا ونعيمها الفاني فبكى وناح على آثامه وصام نهاره وقام ليله واجتهد في العبادة حتى كان من كبار الزهاد ، خرج من القيروان مهاجرا من بلاده إلى مكة تائبا راجيا عفو ربه فمكث فيها حتى مات بالحرم وهو ساجد في صلاة التراويح ، ورثته أخته. (٢)

جاء في معالم الإيمان في سبب توبته " أنه - أي أبي عقال - كان مفتونا بالنساء فكان يحضر الأعراس والمآتم بزي النساء فحضر يوما عرسا لبعض ملوك الاغالبه مع جملة من جواريه على شكل النساء ، فلما جلس بينهن ضاعت دُرّة نفيسة في دار العرس ، فأغلقوا الأبواب ، ووقع التفتيش في النساء : واحدة بعد واحدة ، حتى لم يبق في الدار إلا هو وامرأة ، فلما خشي الفضيحة قال : إلهي لعن سترتي هذه المرة ، ولم تفضحن لأتوبنّ ثم لا أعود - وكان قد تاب قبلها نحو السبعين مرة ثم نكث - فلما علم الله منه الصدق نادى مناد من الدار : خلّوا عن الحرّة ، فإنّا قد وجدنا الدرّة ، فخرج من الموضع إلى داره

(١) انظر ترجمته في الأنصاري ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد : " معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان " ، أكمله وعلق عليه : أبو الفضل بن عيسى التنوخي ، تحقيق : محمد أبو الأنوار ومحمد ماضور ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، د . ت) ، ج ٢ ، ص ٢١٤ - ٢٣١ ، والمالكي ، أبي بكر عبد الله بن محمد : " رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساکم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم " حققه : بشير البكوش ، راجعه : محمد العروسي ، (بيروت : دار المغرب الإسلامي ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) ج ١ ، ص ٥٢٧ - ٥٤٥ ، وابن الأبار : " التكملة لكتاب الصلة " ، ص ٣٣٨ ، في ترجمة هارون الأندلسي ، ويسميه " ابن علوان " والسخاوي : " التحفة اللطيفة " ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ ، ويسميه " علوان المغربي " .

(٢) هي : مَهْرِيّة بنت الحسن بن غلبون التميمي ، أديبة شاعرة ، نشأة في بيت مجدٍ وشعر ، وكانت تميل إلى التصوف ، توفيت في مكة سنة ٢٩٥ هـ . ترجمتها في : الأنصاري : " معالم الإيمان " ، ج ٢ ، ص ١٤٤ وما بعدها .

وقد حصل في نفسه ما حصل من التوبة النصوح " (١) ، فزهد في متاع الدنيا تاركا وراءه المال والأهل والولد ، وفرَّ بنفسه متجها نحو مكة ليطهرها من أدران الذنوب ، وذكر المالكي في سبب توبته ، قائلا : " أخبرني محمد بن الكاتب ، قال : كنا نشرب عند أبي عقال في داره ، فلما كان بعد العصر خرج عنا من المجلس ، وقد طلبنا ، فقال لغلامه : أمض فاشتر لي جبة من صوف وعباءة وكساء ومثزراً من الصوف .. فأتى بها إليه فترع ثيابه تلك الناعمة النظاف ودخل إلى والدته فقالت له : ما هذا يا أبا عقال؟ أخولطت في عقلك يا بني ؟ فقال لها: يا أماه ، والله لا عصيته بعد هذا اليوم أبداً ، إلا أن يقدر علي ... فباع ما كان له من دار وعقار وتصدق به ، وخرج إلى مكة " (٢) ويبدو أن هذه القصة كانت بعدما نجَّاه الله من افتضاح أمره في دار العرس ، وأيا كان الأمر فتوبة الرجل كانت هبة من الله - تعالى - بعدما ملَّت نفسه حياة اللهو والمجون ، فخلع عنه ثيابه الملطخة بالمعاصي والذنوب ، وأبدلها بثياب الزهد وشرَّ للعمل للآخرة والتكفير عن ذنوبه .

عُرف عنه في صباه أنه هوى الشعر كأمثاله اللهاة ، ثم كفر عنه بعد توبته ومحَّصه ، فقد أنشد محمد بن الكاتب قوله :

أما و الأكفُّ المَهْدِيَّاتِ سَلَامُهَا إلى مُدْنَفٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُسَلِّمًا
وتلك الخُدُودُ البِيضُ والأَعْيُنُ التي قضينَ لدمعي أن يفيضَ ويسجُمَا (٣)
ثم قال غلبون : " يا بن الكاتب ، استمع قولي في تكفيره " وأنشده :

نَاحَ الْمَشِيبُ بِلَمَّتِي فَتَعَانِي وَنَفَى الصَّبَا عَنِّي وَزَّمَ عَنَانِي
وَنَأَتْ خُطُوبُ الْحَادِثَاتِ بِأَسْرِي فَبَقِيَتْ مُنْفَرِدًا مِنَ الْأَقْرَانِ
فَلَنْ مَضَى صَدْرُ الزَّمَانِ بِصَفْوِهِ فَلَاخِذَ مَنْ لِسِيدي الْمَمَانِ
وَلَأَقْطَعَنَّ عَلَاتِي مِنْ غَيْرِهِ حَتَّى أَحُلَّ بِسَاحَةِ الْمِيدَانِ

(١) الأنصاري : " معالم الإيمان " ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ز

(٢) المالكي : " رياض النفوس " ، ج ١ ، ص ٥٢٧ - وما بعدها .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٥٤١ .

وَلَأَمْنَيْنِ مَطَاعِمِي وَمَلَابِسِي
وَلَأَهْجُرْنَ أَحْبَبِي وَمَعَارِفِي
وَلَأُبْكِينَ عَلَى الصَّبَا وَلَمَّا مَضَى
فَلَعَلَ مَنْ شَمِلَ الْعِبَادَ بِفَضْلِهِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ حُسْنُ ظَنِّي قَادِنِي
فَأَمْنَنْ عَلَيَّ بِمَا أُؤْمَلُ مِنْكَ يَا
وَلَأَمْنَعَنَّ عَصَابَةَ الْمُجَانِ
مِنْ غَرَّتِي فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
يُحْيِي الْفُؤَادَ بِكَثْرَةِ الْأَشْجَانِ
أَنْتَ الْمُؤْمَلُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانِ
مُعْطِي الْجَمِيلِ وَمُسْنِدِي الْإِحْسَانِ^(١).

فالشاعر يشعر بوقع المشيب على نفسه ، ويفتقد أهله في غربته ، لكنه يجد في العمل والعبادة حتى يحظى بأمله وهو العفو والإحسان من الله - سبحانه وتعالى - وإحساس الندم والصدق عنده نلمسه في أسلوب القسم والتأكيد في قوله : " فلأخدمَنَّ ، ولأقطعَنَّ ، ولأمنعَنَّ ، ولأهجرَنَّ ، ولأبكينَنَّ " . وقوله : " لاح المشيب " دلالة على أنه كبير وشاب وترك التصابي بذلك ، يقول :

لَا حَ الْمَشِيبُ بِلَمَّتِي فَتَعَانِي وَنَفَى الصَّبَا عَنِّي وَزَمَّ عَنَانِي^(٢)
والندم على ما اقترف من ذنوب أيام صباه ، جانب يؤكده عليه ، بقوله :

وَلَأُبْكِينَ عَلَى الصَّبَا وَلَمَّا مَضَى مِنْ غَرَّتِي فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ^(٣)

فهو نادم على شبابه الذي مضى دون أن ينتفع به ، على أن القصيدة تفتقر إلى التوافق في القافية أو التضمنين مع القصيدة الأولى وكأنه قصد من القول في الزهد التكفير عن شعر المجنون ، ولعل ذلك كان الهدف عند بعض الشعراء الذين تحولوا من القول في المجنون إلى القول في الزهد حينما كبروا وشاخوا في أواخر حياتهم^(٤)

(١) المالكي : " رياض النفوس " ، ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٥٤١ .

(٤) أمثال : أبي نواس ، وأبي العتاهية ، وابن عبد ربّه ، وابن حزم .

مَحْصَة ابن عبد ربّه الأندلسي " ت ٣٢٨ هـ "

كانت المَحْصَات قرضا من شعر الزهد عند ابن عبد ربّه و هي مقطوعات يعارض بها مقطوعات له في الغزل نظمها في شبابه .

و كان الدافع وراء نظمها ، الشُّعور بوطأة الذنوب الذي زاده أسى و حزنا ، و رغبة في الـمَتَاب و التَّكْفِير عن نظمها ، و مصدر وحيه لقول مثل هذه الأشعار ، و غاية يتوجه إليها ، و هدفا يرمي إليه ، و محطّ رحال و آمال .

مطلع المَحْصَة :

يَا عَاجِزًا لَيْسَ يَعْفُو حِينَ يَقْتَدِرُ وَلَا يَقْضَى لَهُ مِنْ عَيْشِهِ وَطَرٌ^(١).

وهي المَحْصَة الوحيدة في ديوانه التي ضمنها ابن عبد ربّه في عجز البيت الأخير صدر مطلع القطعة المَحْص عنها ، وهذا النوع الجديد والفريد من نوعه ، يتجلى فيه صدق توبته ، وقد نظمها في أواخر حياته معارضا بها نفسه ، و يناقض شعره بين مرحلتي الشباب والشيخوخة ، وجعلها على أَعَارِيز قصائد أيام الشباب ، وكأنه يكفر بها عن أيامه الماضية ويجعلها موعظة للقليلة الباقية ، وقد اعترف له بذلك الحميدي "ت ٤٨٨ هـ" ، إلا أنّ الكثرة الكثيرة من هذه المَحْصَات - كما أشار - قد ضاع^(٢) .

وفي هذه المَحْصَة يتوجه بالخطاب إلى نفسه ، وبالنداء إلى بني البشر العاجزين عن العفو عن أنفسهم بعد ما لاح المشيب على رؤوسهم في هذه الدنيا التي لا تستأهل الانغماس في ملذاتها والجري وراء شهواتها ، مذكرا بعذاب السعير حتى ترتدع النفس عما تَهَمُّ به وتسعى إليه .

وفي البيت يستعمل أسلوب النداء بـ " يا " لنداء اللاهي المتغافل البعيد عن سماع صوت الوعظ والنصيحة ، وعدّه بعيدا ، لأنّ بينهما مسافات شاسعة لامتناعه ، وهي تقصر حين يعير ذلك الصوت اهتمامه ، وفي ذلك زجر له حتى يرتدع ، فيقول :

يَا مَنْ تَلَهَّى وَشَيْبُ الرَّأْسِ يَنْدُبُهُ مَاذَا الَّذِي بَعْدَ شَيْبِ الرَّأْسِ تَنْتَظِرُ ؟

(١) " ديوان ابن عبد ربّه " ، ص ٨٦ ، و القطعة النقيضة مطلعها :

هَلَا ابْتَكَّرْتَ لَبِينَ أَنْتَ مُبْتَكِّرُ هَيْهَاتَ يَأْتِي عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْقَدَرُ .

المصدر السابق : ص ٨٦ . أعاريز : أوزان البحر العروضي و تفعيلاته التي نظمت عليها القصيدة .

(٢) انظر ، الحميدي " جذوة المقتبس " ، ص ١٠٢ ، و انظر صفحة ٨٢ من هذا البحث .

وأسلوب الاستفهام في عجز البيت " بما " التي اختصت لغير العاقل ، ونزله الشاعر
مترلة غير العاقل ، لأن العاقل من شأنه أن يتعظ حين يكبر ويشيب أما المخاطب فهو على
عكس ذلك ، فما الذي ينتظره المرء ليتوب ويترك حياة اللهو ويستعد للآخرة بعدما
اشتعل الرأس شيئا ؟

ثمة ما يشير في القصيدة إلى أنها محصية ، إضافة إلى عنصر التضمين نجده يشير إلى
ما قاله سابقا في القطعة الغزلية في صدر البيت الأخير :

أَنْتَ الْمَقُولُ لَهُ مَا قُلْتُ مُبْتَدَأً هَلَّا ابْتَكَرْتَ لِيِنَّ أَنْتَ مُبْتَكِرٌ؟^(١)

واتفاق القصيدتان أيضا في التصريع ، والوزن ، والقافية^(٢)

وصورة النار المستعرة التي جاءت في البيتين الثاني والثالث من المحصية ، توحى
بالرعب والخوف حتى يستشعر الإنسان ذلك فيحذر أن يكون من أهلها ، فيعمل لآخرته
ويجتهد في تكفير ذنوبه ، حيث يقول :

عَايِنْ بِقَلْبِكَ إِنَّ الْعَيْنَ غَافِلَةٌ عَنْ الْحَقِيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا سَقَرٌ
سَوْدَاءُ تَزْفَرُ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سُعِرَتْ لِلظَّالِمِينَ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ^(٣).

وتقابلها صورة النار في النقيضة ، حينما وصف بذلك الشوق ، وجعل له نارا تستعر

في قوله :

يَا بَرْدَهُ مِنْ حَيَا مُزْنٍ عَلَى كَبِدٍ نِيرَانُهَا بِغَلِيلِ الشَّوْقِ تَسْتَعِرُ^(٤).

(١) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٨٦ .

(٢) انظر : ما كتب عن البحر البسيط ، وقافية الراء ، في القصيدة الثانية لابن المعتز .

(٣) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ٨٦ .

(٤) المصدر السابق : ص ٨٦ .

مُحَصَّنَاتُ ابْنِ حَزْمِ الْأَنْدَلُسِيِّ " ت ٤٥٦ هـ "

وهي محصنات جديدة على نمط مغاير للمحصنات الأخرى ، حيث نقض بها الشاعر قصيدتين لأبي تمام :

الأولى في مدح محمد بن عبد الملك الهاشمي ، والثانية في عتاب أبي دُوَاد واستبطائه وعدا له عليه ، استهل الأولى بمطلع غزلي سار فيها على نمط القصيدة العربية القديمة في استهلال قصيدة المديح بمقدمة طللية أو غزلية ، حيث يقول :

إِنَّ بَكَاءَ فِي الدَّارِ مِنْ أَرْبَةٍ فَشَايَعًا مُغْرَمًا عَلَى طَرَبَةٍ ^(١) .
أما مُحَصَّنَاتُ بَنِ حَزْمٍ ، فمطلعتها :

أَقْصَرَ عَنْ لَهْوِهِ وَعَنْ طَرَبَةٍ وَعَفَّ فِي حُبِّهِ وَفِي غَرْبَةٍ ^(٢) .

تدور القصيدة حول موضوع الزهد في الدنيا والترغيب في طاعة الله ، والعمل لبلوغ رضاه ودخول الجنة ، والترهيب من عقابه والتخويف من عذاب النار ، ممتدحا حال من عَفَّ وزهد وترك حياة اللهو و شرب كأس الغرام في حياته الأولى ، ولذلك استعمل صيغة الماضي للدلالة على أن ذلك كان فيما مضى من عمره ، أما الآن فقد تبدل حاله وتغير مجرى حياته ، واستعمل " قد " التحقيقية وصيغة المضارع الدال على الاستمرار والدوام لدعوة أصحاب القلوب اللاهية المتنعمة في سبات الغفلة ودياجير الظلام لجعل القلب في صحوة دائمة وإزالة كل ما قد يعلق به من حب الدنيا وأسباب اللهو ووسائله ، وكشف الحجب عن العقول المظلمة والبصيرة المعتمدة ، والتفكير في المصير الحتمي لكل حي ، والمصارعة إلى الأوبة والعمل بجِد واجتهاد للفكاك من هذه القيود والخلاص من هذه الحياة التي تحياها بعض النفوس ، مخافة من الوقوف بين يد الله - سبحانه وتعالى - يوم الحساب ، يقول :

قَدْ آتَى لِلْقَلْبِ أَنْ يُفَيِّقَ وَأَنْ يُزِيلَ مَا قَدْ عَلَاهُ مِنْ حُجْبَةٍ .
أَلِهَاهُ عَمَّا عَهْدَتْ يُعْجِبُهُ خِيفَةُ يَوْمٍ تُبْلَى السَّرَائِرُ بِهِ

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ٤ ، ص ٢٦٩ .

أَرْبَ : " احتاج ، وقد أَرْبَ الرجلُ ، إذا احتاج إلى الشيء و طلبه " ، انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، مادة " أَرْبَ " .

(٢) " رسائل بن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

يَا نَفْسُ جِدِّي وَشَرِّي وَدَعِي عَنْكَ اتِّبَاعَ الْهَوَى عَلَى لَعْبَةٍ

وَسَارِعِي فِي التَّجَاةِ وَاجْتَهِدِي سَاعِيَةً فِي الْخِلَاصِ مِنْ كُرْبِهِ ^(١).

فما دعاه إلى تبديل طريقة حياته إلا الخوف من عقاب الله والرغبة في الفوز بالجنة من عذاب الآخرة ، فيقول :

عَلَيَّ أَحْظَى بِالْفُوزِ فِيهِ وَأَنْ أَنْجُوَ مِنْ ضَيْقِهِ وَمِنْ لَهْبِهِ ^(٢).

ثم ينتقل إلى وعظ إخوانه وكل لاعب لاه مجد في طلب الدنيا ، مستنكرا منه هذا الجد في طلبها ، وعدم الاتعاظ من حوادث الدهر المؤلمة الذي أذاقه ويلاتها ، حيث يقول :

يَا أَيُّهَا اللَّاعِبُ الْمُجِدُّ بِهِ الدَّهْرُ أَمَا تَتَّقِي شَبَابَ نُكْبَةٍ ؟

كَفَاكَ مِنْ كُلِّ مَا وُعِظْتَ بِهِ مَا قَدْ أَرَاكَ الزَّمَانُ مِنْ عَجَبِهِ ^(٣).

وينهاه عن التعلق بالدنيا ، لأنها دار فانية ، تفنى معها نضارتها وبريقها الأخاذ الذي يسحر الأبصار ويأخذ بالآلباب ، ويفتن ذوي العقول الضائعة والقلوب المريضة التي لا تتعظ .

ولكن من عرف الله حق المعرفة بشدة عذابه ومعاقبته للمذنبين خاف منه ورهبه ، متخذا من أسلوب المقابلة وسيلة ليبرهن على ذلك ، فليس من ينقضي ملكه ويفنى كالحالد المقيم عليه ، ولا التقى الصادق كالفاسق الكاذب ، فالفناء والزوال والانقضاء والاختلاط في الأهواء والفسوق ، وكل صفات الدنيا إنما هو كذب وزيف فلا تلبث أن تفنى وتذبل زهرتها ، ويزول بريقها ، وتكشف حوادثها عن حقيقتها التي فطرت عليها ، بعكس حياة الآخرة فهي دار خلود وصدق ويقين ، وهي دار باقية لا تفنى ولا تزول ، فيها نعيم مقيم ينعم به المتقون ، ويدوق المذنبون العاصون عذابها الأليم ، وفي ذلك يقول :

مَا مُتَّقِضِي الْمَلِكِ مِثْلُ خَالِدِهِ وَلَا صَاحِبُ الثُّقَى كَمُؤْتَشِبِهِ

(١) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٢) المصدر السابق ك ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠١ .

وَلَا تَقِيُّ الْوَرَى كَفَاسِقِهِمْ وَلَيْسَ صِدْقُ الْكَلَامِ مِنْ كَذِبَةٍ (١).

فلاحظ أن الشاعر قد نوّع في استعمال أدوات النفي " ما ، لا ، ليس " كل في المقام الملائم له لإبعاد النفوس عن ملل التكرار لأداة واحدة .

ومن أبرز ما يدعو الإنسان إلى لزوم طاعة الله وكبح جماح الهوى ، الخوف من عذاب الله ، والخشية من عقابه وناره التي أعدها لعقاب الجنّة .

وانظر إلى الصورة الرائعة التي رسمها ابن حزم حين جعل للهوى وفداً يقدّم على الإنسان ، وهي إحدى الطرق والأساليب التي يتخذها الهوى ليصل إلى الإنسان طالبا حاجة منه ، وهذه الحاجة تكمن في انصياع الإنسان له وتقبل دعوته ليغرق في متاع الدنيا و يا لخسارة هذا الوعد وذله حين يرجع على عقبه خائبا صفر اليدين لم يحظ بقبول طلبه وتلبية حاجته وتحقيق غرضه ، وهذه هي حال التقي الملازم لطاعة ربه والمجاهد للهوى نفسه وشهواتها ، يقول :

لَكَانَ فَرَضاً لَزُومٌ طَاعَتُهُ وَرَدُّ وَفْدِ الْهَوَى عَلَى عَقْبِهِ (٢).

ويعود مرة أخرى للتذكير بأحوال الدنيا وحوادثها ودناءة طبعها وتحقير شأنها ، علّه يجد من يتعظ منها ويزهد فيها متخذاً من التصوير أسلوباً من أساليبه لإيصال فكرته ، فيقول :

فَقَدْ رَأَيْنَا فِعْلَ الزَّمَانِ بِأَهْلِيهِ كَفِعْلِ الشَّوَاطِ فِي حَطْبَةٍ (٣).

فالزمان يأكل أعمار أهله ويقضي عليهم ، كما يفعل لهيب النار في الحطب حين يحرقه ويحيله إلى رماد لا جدوى ولا نفع يرجى منه ، فالإنسان يظل يجتهد ويسعى سعياً حثيثاً لتحصيل متاع الدنيا وجمع كنوزها وهي تجدد في نقص عُمره وتقريبه من حتفه والقضاء عليه ، فكل ما حصّله منها سيفني ويزول ولا ينتفع به في الآخرة .

والصورة الثانية : هي صورة الإنسان الرفيع القدر صاحب الملك والسُّمو لا يلبث أن يتحول ملكه ويهوي إلى الحضيض ، فمثله مثل زرع الرجل حين يجد في العناية به حتى

(١) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠٢ .

يشب ويكبر ويقوى عوده وتستحسنه الأبصار ، فما يلبث حتى إذا شبّ وكبر وقوى ساعده و استحسنته الأبصار ، ما لبث أن عدت عليه عوادي الزمان فذبل و تساقط ومات و ذهب معه تعبهُ و لم يستفد منه ، حيث يقول :

يَبْنَا تَرَى الْمَرْءَ سَامِيًا مَلَكًا صَارَ إِلَى السُّفْلِ مِنْ ذُرَى رُتْبِهِ
كَالزَّرْعِ لِلرَّجُلِ فَوْقَهُ عَمَلٌ أَنْ يَنْمُو حُسْنَ الثَّمْرِ فِي قَصْبِهِ ^(١).

وصنف من أهل الدنيا تراه يقطع نفسه أسمى و حزناً في إثر ما يجد في طلبه ولا يتحصل عليه فهو مبتغاه وأمله الذي يسعى إليه سعياً حثيثاً ، فهؤلاء هم أكثر أهل هذا الزمان في - نظر الشاعر - ولكن هيهات أن ينالوا مبتغاهم ، ويتحصّلوا على مآربهم ، لأن الزمان مفطور على الأخذ لا العطاء ، ولذا يكرر الشاعر الحديث عن الدنيا مبينا حقارتها ، لكثرة انشغال أهلها بالانغماس فيها والسّعي وراء شهواتها ، وصروف هذا الزمان أكبر دليل على ذلك وخير واعظ لذوي البصيرة يزيد قناعة وصدوداً عن الدنيا، وصاغ أسلوب التهيب من عقاب الله ، وأحوال يوم القيامة بعد تقبيح وتحقير شأن الدنيا ، لتنفّر النفوس وتعرض عنها ، وتمسك بطريق النجاة بامثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، مستكراً على الإنسان مقابلته لإنعام خالقه بالجحود والكران ، وصرفه فيما نهي عنه ، مستحقاً بذلك الويل والحرب من الله - سبحانه وتعالى - فيقول :

أَلَيْسَ هَذَا أَحْرَى الْعِبَادِ غَدًا بِالْوَقْعِ فِي وِيلِهِ فِي حَرْبِهِ ؟ ^(٢).

ويقرُّ في النهاية بأفضال الله وسعة رحمته ، فهو اللطيف بعباده والمتكفل برزقهم ، مثنٍ عليه ، وهذا مدعاة للحياء منه واتباع أوامره واجتناب نواهيه ، مستعملاً صيغة الأمر " اسمع ، و دُعْ " للتأكيد عليه ولفت انتباه المستمع أولاً ثم أمره بتجنب كل عاص لربه ، لأنه المتكفل والقادر على معاقبته ، فكل إنسان مسؤول عن نفسه وعن عمله ، كالخطّاب الذي كدّ واحتطّب فلم يجد من يعينه على حمله ، فحمله وحده ، فمن سمع النصيحة وعمل بها فلنفسه ، ومن عصى واتبع هواه فعليه إثمهُ ، فيقول :

(١) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠٢ .

فَاسْمَعْ وَدَعْ مَنْ عَصَاهُ نَاحِيَةً لَا يَحْمِلُ الْحِمْلَ غَيْرُ مُحْتَطَبَةٍ^(١)

القصيدة تقوم على النفي والإثبات والإقرار عن طريق تقديم الحقيقة ناصعة وواضحة مؤيدة بالبراهين ، حتى لا يدع للنفس مجالا للشك أو التكذيب .
وجاء بأسلوب النداء بـ " يا " في قوله :

يَا نَفْسُ جِدِّي وَشَرِّي وَدَعِي عَنْكَ اتِّبَاعَ الْهَوَى عَلَى لَعْبِهِ^(٢)

في نداء النفس ودعوها إلى الجد والتشمير ، وترك اتباع الهوى ولم يناد الإنسان ، لأن النفس هي المسيطرة عليه والتي تملي عليه أفعاله ، وبصلاحها يصلح حال الإنسان ، وبفسادها يفسد ، وهذه النفس وإن كانت قريبة منه إلا أنه نزلها منزلة البعيد ، لأنها بعدت بعصيانها وأفعالها السيئة ، وخاطبها خطاب الصديق للصديق مبالغة منه في ذم حالها ودعوها إلى الصلاح والمصارعة إلى الأوبة والرجوع عما هي عليه ، كما نادى اللاعب البعيد في لهوه وغيه وأنزله منزلة القريب منه ، حتى يقترب منه ويسدي له النصيحة علّه يرعوي ويتعظ ، حيث يقول :

يَا أَيُّهَا اللَّاعِبُ الْجَدُّ بِهِ الْدَّهْرُ أَمَا تَتَّقِي شَبَابًا تُكَبِّهُ ؟^(٣)

وجاء بالاستفهام بعد النداء إنكارا عليه ما هو عليه من اللعب والغفلة ، وتعجبا من حاله وعدم تقواه .

كما اهتم الشاعر بالموسيقى الداخلية للنص ، ورصعه ببعض الأساليب البلاغية ، مثل :
التصريع الذي استهل به القصيدة ودلّ على رويها .

وأتى بالتصريع^(٤) في المطلع " لهوه ، طربه ، حبه ، غربه " ، كما جاء أيضا في قوله :

كفأك من كل ما وعظت به ما قد أراك الزمان من عَجبه
فَاسْمَعْ وَدَعْ مَنْ عَصَاهُ نَاحِيَةً لَا يَحْمِلُ الْحِمْلَ غَيْرُ مُحْتَطَبَةٍ^(٥)

(١) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٤) هو : " أن يعتمد تصوير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم مسجوعة " ، الخفاجي ، ابن سنان : " سر الفصاحة " شرح وتصحيح : عبد المتعال الصعيدي ، (القاهرة : مكتبة محمد صبيح ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م) ، ص ١٨٢ .

(٥) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

وحسن وقوعه في النص لمحيته قليلا بعيدا عن التكلف والتنفور .

من الأساليب الظاهرة في القصيدة " الاشتقاق " قوله :

دَعُ عَنْكَ دَاراً تَفْنَى غَضَارُهَا وَمَكْسَباً لَاعِباً بِمُكْتَسِبِهِ .
لَمْ يَضْطَرْبْ فِي مَحَلِّهَا أَحَدٌ إِلَّا نَبَا حَادَّهَا بِمَضْطَرِبِهِ
فقد رأينا فعل الزمان بأهليهِ كفعل الشواظ في حَطْبِهِ^(١) .

ومنه الطباق حيث يقول :

رازق أهل الزمان أجمعهم مَنْ كَانَ مِنْ عَجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِهِ^(٢) .

" عجمه - عربه " فهم عباد الله أجمعهم وهو المتكفل برزقهم .

واستعمل المقابلة^(٣) في قوله :

مَا مُنْقَضِي الْمُلْكِ مِثْلُ خَالِدِهِ وَلَا صَحِيحُ التَّقَى كَمُؤْتَشِبِهِ
وَلَا تَقِيُّ الْوَرَى كَفَاسِقِهِمْ وَلَيْسَ صِدْقُ الْكَلَامِ مِنْ كَذِبِهِ^(٤)

فجمع بين عدة أمور متناقضة تصاحب الإنسان ، وهي " المنقضي - الخالد ، الصحيح - التقي - المؤتشب ، التقي - الفاسق ، الصدق - الكذب " .

وهي أساليب جاءت في القصيدة قليلة لا تكلف فيها ، تخدم المعنى ، وتناسب المقام الذي وضعت فيه ، ثم هي تبرز الصورة وتساعد على الوعي والاستيعاب وفهم المضمون والغرض .

أما القصيدة النقيضة أو "الممحّص عنها" فهي في المديح ، استهلها أبو تمام بمقدمة غزلية وأسلوب خبري كما فعل بن حزم ، ومحاولة في تلمس بعض نقاط التشابه والاختلاف بين القصيدتين بالوقوف على بعض الصور والقوافي المشتركة بينهما ، نلاحظ أن قول أبي تمام:

(١) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٣) هي : " مواجهة اللفظ بما يستحقه في الكلام ، و أصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أوله ، و آخره ما يليق به آخره ، و يأتي في الموافق بما يوافقه و في المخالف بما يخالفه " ، ابن رشيق : " العمدة في محاسن الشعر و نقده " ، ص ٢٥١ .

(٤) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

مَا سَجَسَجَ الشَّوْقُ مِثْلَ جَاحِمِهِ وَلَا صَرِيحُ الْهَوَى كَمُؤْتَشِبِهِ (١)

يقوم البيت على المقابلة بين أمرين " سَجَسَجَ ، وجاحم - وصريح ، ومؤتشب " والنفي في صدر البيت وعجزه ، يريد بذلك إظهار مدى معاناته ، وشدة تألمه من جرّاء حبه وشوقه ؛ لأنه صادق المشاعر لا يستطيع البوح بما يخفيه في كامن فؤاده ، بخلاف الذي يعلن عن شوقه دون خوف أو خشية من أحد ، فأمره ميسور ؛ لأن المحبوب على علم بما يمكنه له ويبدله الشعور ذاته ، يقابله قول ابن حزم :

مَا مُنْقَضِيَ الْمَلِكِ مِثْلَ خَالِدِهِ وَلَا صَحِيحُ الثَّقَى كَمُؤْتَشِبِهِ .

وهي صورة تقوم أيضا على المقابلة بين أمرين ، مع النفي الملازم لكل شطر من البيت ، منقضي ، وخالد - صحيح ، ومؤتشب " ، فليس من انقضي ملكه وزالت هيئته كالخالد المقيم فيه يرفل في نعيمه وعزّه ، ولا صحيح الثّقى الثابت على دينه وأوامر ربه ، كالمختلط في أهوائه وعقيدته ، المتذبذب المطيع لأمر ربه تارة والمخالف المتبع هواه تارة أخرى ، فهم ليسوا سواء ، فصحيح الثّقى الثابت على أمره كالخالد في نعيم من السعادة ؛ لأنه واثق الخطى متبع لأوامر الله محتنب لنواهيه ، أما المتذبذب الذي لا يستقر على حال ، فتارة يتمسك بحبال الثّقى ، وتارة يقرده هواه إلى طريق الضلال والغواية ، فتراه مضطربا قلقا لا يشعر باستقرار ولا تدوم له سعادة ، بل هي إلى انقضاء كمن ينقضي ويزول ملكه الذي كان ينعم فيه ظنا منه أنه النعيم الخالد الأبدي ، مغترا بملكه وقوته ، وآخر يزيده ملكه تقوى وصلاحا .

ومثال آخر لاتفاق القافية ، فيقول أبو تمام :

لَهُ جَلَالٌ إِذَا تَسَرَّبَلُهُ أَكْسَبَهُ الْبَاؤَ غَيْرَ مُكْتَسَبِهِ (٢)

يمتدحه بالرفعة و الجلال في أسلوب بياني يقوم على الاستعارة ، حيث شبه الجلال - عقلي - بالثوب الذي يرتديه الإنسان - حسي - فحذف المشبه به وهو الإنسان و أتى بلازم من لوازمه وهو الثوب على سبيل الاستعارة ، وهو ثوب جميل يكسبه شرفا

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٦٩ .

البأؤ : " الكبيرُ و الفخر " ، انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ١٤ ، ص ٦٣ ، مادة " بأي " .

وعظمة وإكبارا ، وإن كان في حقيقته لا كبر في خلقه مع وجود ما يمكنه من ذلك ،
دلالة على تواضعه وكرمه خلقه ورفعة قدره في الدنيا ، فهو يملك الكثير من متعها التي
أكتسبها ، والتي منحتها إياها الدنيا ، يقابله قول ابن حزم :

دَغْ عَنْكَ ذَاراً تَفْنَى غَضَارُهَا وَمَكْسَباً لَاعِباً بِمَكْتَسِبِهِ ^(١)

صيغة الأمر التي يقوم عليها البيت بأسلوب وعظي تغلفه النصيحة الصادقة من أخ يحذر
إخوانه من الاغترار بالدنيا ، فما تلبث غضارتها ومتعها و لذاتها أن تفنى وما يظن أنه
اكتسبه من متاعها ما هو إلا زيف وتلاعب منها ، فهو ليس بالمكسب الحقيقي الذي
سيدوم له ؛ لأنه فان ، فعجز البتين يدل على نفي الأمر الواقع ، في البيت الأول نفى عنه
الكبر مع أن هناك ما يدعو إليه ، وهو " تسربله للجلال " ، وفي البيت الثاني نفى عنه
الاستفادة مما اكتسبه ؛ لأنه في الحقيقة سيفنى ويزول ولن يدوم وكأن شيئا لم يكن .

وممدوح أبي تمام لا يبالي بتعب ولا نكد العيش ؛ لأنه يكسب من وراء ذلك المكرمات
وثناء الناس وفي هذا غاية سعادته وراحته ، وهي ما تصبو إليه نفسه ، حيث يقول :

وَهَلْ يُبَالِي إِقْضَاؤُ مَضْجَعِهِ مَنْ رَاحَةُ الْمَكْرَمَاتِ فِي تَعَبِهِ ^(٢)

أما ممدوح ابن حزم ، فلا يحفل بتعبه أو مشقته ، فهو يبذل روحه ونفسه وجُلَّ ما
يستطيع في طاعة الله ؛ لأنه يجد راحته وسعادته في العبادة ، فيقول :

كَمْ مُتْعَبٍ فِي الْإِلَهِ مُهْجَتُهُ رَاحَتُهُ فِي الْكَرِيمِ مِنْ تَعَبِهِ ^(٣)

فممدوح أبي تمام غايته كسب مكرمات البشر وامتداحهم وثناءهم عليه ، أما ممدوح ابن
حزم فغايته كسب رضا الله عنه وكرمه فضله .

الصور والقوافي المشتركة بين القصيدتين كثيرة ، ولكن اختصرت ذلك بدراسة بعضها
بعدا عن الإطالة ، لإعطاء القارئ فرصة للمقارنة بين القصيدتين وإعمال فكره ، محاولة
منه التلمس لبعض أوجه التشابه والاختلاف علة يوفق فيما لم أوفق فيه .

(١) " رسائل ابن حزم " ، حض ، ص ٣٠١ .

(٢) " ديوان أبي تمام " ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠٢ .

القصيدتان قائمتان على التناقض التام في الفكرة والموضوع والغرض ؛ لأن أبا تمام اهتم بتصوير الدنيا وتعلقه بها بما فيها من المتع الفانية ، فغاياته من موضوع المديح أن يغدق عليه الممدوح بالعطاء الجزيل الذي يضمن له السعادة والاستقرار وراحة البال في الدنيا .

وابن حزم يحقر من شأن الدنيا ويذم المحتفين بها ، ويحذر من الاغترار بمتاعها وبريقها اللامع ، فكل ما فيها مصيره إلى الزوال والفناء ، والخلود للدار الآخرة بما فيها من النعيم والسعادة للمتقين ، والويل والعذاب للضالين ، ويحث على الزهد والتمسك والاعتصام بحبل الله - سبحانه وتعالى - والتقوى والعمل للآخرة ، حتى يحظى ويفوز بعفو الله وينجو من عذابه .

المحصنة الثانية ، مطلعها :

أَعَارَتْكَ دُنْيَا مُسْتَرْدُّ مَعَارُهَا غَضَارَةُ عَيْشٍ سَوْفَ يَذْوِي اخْضِرَارُهَا ^(١)

أبو تمام في قصيدته يعاتب الممدوح ؛ لأنه وعده وأبطأ عليه في الإيفاء بوعده ومنحه عطاء دنيوياً ، وصوّره وهو يعمر هذه الدنيا بعطائه ، وقد بالغ في عتابه ، وكأن نيل المطالب الدنيوية أصبح همه وشغله الشاغل ، فممدوحه هو من يخلصه من نكبات الزمان بعطائه الغامر ، ويحثه على عدم الإطالة والتسويق ؛ لأنه إذا يئس من عطائه فلن ينتفع به بعد ذلك ، وكأنه أصيب بالقنوط منه ، فهو كالظمآن الذي يئس وقنط من نزول الغيث حتى مات عطشاً ، فاهتمار السماء بعد ذلك لا جدوى منه ، في صيغة استفهام إنكاري ، حيث يقول :

وما نفعُ مَنْ قد ماتَ بالأمسِ صَادِيًّا إذا ما سماءُ اليومِ طَالَ انْهِمَارُهَا ؟ ^(٢)

أما ابن حزم فيؤكّد على أنّ ما في هذه الدنيا متاع زائل ، وعارية أُعيرت لبني الإنسان ، وسوف تسترد منه ، كالنبته الخضراء ذات النضارة والرونق لا تلبث حتى تقضي نحبها وتحف وتساقط أوراقها ، وتفقد نضارتها ، ويستنكر على مَنْ يتمنى العيش والخلود في

(١) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ص ٣٠٢ ، و مطلع القصيدة المَحْصَن عنها :

رَأَيْتُ الْعُلَا مَعْمُورَةً بِكَ دَارُهَا إذا اجتمعت جَاشَأً وَقَرَّ قَرَارُهَا .

"ديوان أبي تمام" ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

دنيا هذه حالها ، وسوف تداهمه وحوش المنيا ، وسرعان ما تفنى ؛ وكأنها هجعة ساعة ،
حيث يقول :

وهل يتمنى المحكم الرأي عيشةً وقد حان من دهم المنيا مزارها
وكيف تلذ العين هجعة ساعة وقد طال فيما عايتته اعتبارها ؟ ^(١)

ويحثه على العودة إلى الله محذرا من عذابه وعقابه ، وكأنه يُنكرُ على أبي تمام تشبته بالدنيا
وركضه لنيل متاعها الزائل .

القصيدة كسابقتها تدور حول التزهيد في الدنيا ، وبيان حقارتها ، والتحذير من عقاب الله
— تعالى — والترغيب في طاعته ، وامتنال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والعمل للآخرة ؛
حتى يكون من زمرة الفائزين الناجين من عذاب الله .
من القوافي المشتركة بين النصين :

في قول أبي تمام :

رأيت العُلا معمورة بك دارها إذا اجتمعت جأشا وقرّ قرارها ^(٢)

يستهل القصيدة بمطلع حسن رائق ، تشويقا للممدوح ، واستمالة للإنصات إلى ما
سيقوله ، فصوره رجلا كريما يعمر الدنيا بعطائه سواء أكانت ساكنة مطمئنة أم ثائرة ،
فوجوده يبعث الأمن والاستقرار في الدنيا ، بأسلوب خبري .

ويقول ابن حزم على القافية نفسها :

وكيف تقرّ النفس في دار نقلة قد استيقنت أن ليس فيها قرارها ^(٣)

يستعمل الأسلوب الإنشائي عن طريق الاستفهام التعجبي ، متعجبا من استقرار الإنسان ،
وشعوره بالأمن والطمأنينة في الحياة ، وهو على يقين أن هذه الدار ، دار تنقل ليس فيها
قرار ولا طمأنينة ؛ وكأنه يتعجب من موقف أبي تمام ، وشعوره بالسكينة والطمأنينة
والاستقرار في دنيا هذه حالها لمجرد عطاء ممدوحه ، فهو ينفي أن يكون فيها ذلك ؛ إذ
مصيرها إلى فناء فلا استقرار فيها ولا أمن ولا طمأنينة مادامت ستزول وتفنى ، وينفي من

(١) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢) "ديوان أبي تمام" ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) "رسائل ابن حزم" ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

فيها ، وكيف يشعر المرء بذلك وهناك ما ينتظره بعد الموت من حساب وجزاء ؟ . وأي
أمان هذا في دار متقلبة ، لا يقرّ لها قرار ، ولا تهدأ نكباتها وأزماتها ؟
ويرى أبو تمام أنّ عطاء الممدوح الوفير يجلي نكبات الزمان ، ويمنح الأمان ، فجاره في
سعادة ؛ لوجود أمثاله قربه ، وعرضه مصون ؛ لأنّ عدوه لن يجد ما يذمه فيه أو يهجوّه
فيقول :

فلا جارك العافي تناول محلّها ولا عرضك الوافي تناول عارّها (١)

ويرد عليه بن حزم هذا الزعم ، بقوله :

وتفنى الليالي والمسرّات كلّها وتبقى تباعات الذنوب وعارّها (٢)

ينفي بقاء المسرات والليالي السعيدة فهي آيلة للزوال والفناء ؛ لأنّ الدنيا ستفنى بكلّ ما
فيها من متع شغل بها أبو تمام ولا يبقى في الآخرة سوى ما اكتسبه الإنسان من هذه الحياة
وهي الذنوب والمعاصي التي سيحاسب عليها ، وفي هذا حثّ على اقتناص الفرص
والاستفادة من الحياة بما يجلب له الخير والفلاح ، ويعقبه الفوز والسرور الدائم في الآخرة
في أسلوب قائم على الإثبات الكامن في " الطباقي " تفنى الحياة وما فيها من مسرات ،
وتبقى تباعات الذنوب تحاصر الإنسان يوم القيامة .

ويرى أبو تمام أن الأيادي الكثيرة العطاء تُرى كبيرة ذات شأن عظيم ، لكنها تستحيل
صغيرة إذا تمكن منها البخل والمماطلة ، وانقطعت عن العطاء ، فكثرة العطاء هي ما يميز
ممدوحه ، وهذا ما يهتم الشاعر ، ويستحوذ على تفكيره ، ويرتضيه ، أما القليل من العطاء
فلا يرضى به ، ولا يبالي بجمعه أو تحصيله ، وهذا شأن من في الدنيا لا ينظرون إلى العطاء
القليل بل يطمعون دائماً في الكثير ، معبرا عن ذلك ، في قوله :

فإنّ الأيادي الصّالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها (٣)

أما في الآخرة : فإنّ الصغير والكبير ، والحقير والعظيم من الذنوب والمعاصي مدار

(١) " ديوان أبي تمام " ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣) " ديوان أبي تمام " ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

اهتمام ، لأنها سوف تحصى وتجمع ليحاسب عليها بلا استثناء ، بخلاف رأي أبي تمام ، فيقول :

بَحْضَرَةٍ جَبَّارٍ رَفِيقٍ مُعَاقِبٍ فَتُخْصَى الْمَعَاصِي كُبْرُهَا وَصِغَارُهَا ^(١)

رَصَّعَ ابْنُ حَزْمٍ قَصِيدَتَهُ بِبَعْضِ الصُّوَرِ الْجَمِيلَةِ مِنْهَا ، قَوْلُهُ :

لَهَا سَائِقٌ حَادٍ حَثِيثٌ مُبَادِرٌ إِلَى غَيْرِ مَا أَضْحَى إِلَيْهِ مَدَارُهَا ^(٢)

يَصَوِّرُ خَازِنُ جَهَنَّمَ - أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ عَذَابِهَا - بِالسَّائِقِ الْجَادِ فِي عَمَلِهِ ، الْمُسْرِعِ الْمُبَادِرِ فِي

سُوقِ الظَّالِمِينَ إِلَى حَتْفِهِمْ ، مُتَأَثِّرًا بِصُورَةِ الْفَرَزْدَقِ ، الْمَقْتَبَسَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنيفٌ وَ سَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

ويقول في صورة أخرى :

وهي إحدى صور أهوال يوم القيامة حين يكون المرء مفرداً قد فرّ منه الأحبة والأقربون

كلّ منهم في شأن يغنيه عن الآخر ، في ذلك اليوم تنكشف حقيقة الحياة المزيفة ، كالفتاة

القييحة التي تتخفى وراء الخمار ، في محاولة منها لخداع الناس ، وإخفاء حقيقتها ، فما أن

تخط الخمار عن وجهها حتى يتضح أمرها .

تُنَادِي فَلَا تُدْرِي الْمُنَادِي مُفْرَدًا وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الْحَيَاةِ خِمَارُهَا

واهتم ابن حزم كذلك بالموسيقى الداخلية للقصيدة ، كالقصيدة السابقة ، فطرزها بأنواع

من البديع كالطباق الذي أتى في قوله :

وَيَنْدُمُ يَوْمَ الْبَعْثِ جَانِي صِغَارِهَا وَتُهْلِكُ أَهْلِيهَا هُنَاكَ كِبَارُهَا .

سَتْعَبُطُ أَجْسَادٌ وَتَحْيَا نُفُوسُهَا إِذَا مَا اسْتَوَى إِسْرَارُهَا وَجَهَارُهَا ^(٣)

أتى الطباق بين " صغارها ، وكبارها - إسرارها ، وجهارها "

كما جاء الجناس الناقص في قوله :

لَقَدْ جَلَّ أَمْرٌ كَانَ مِنْهُ انْتِظَامُهَا وَقَدْ حَلَّ أَمْرٌ كَانَ مِنْهُ انْتِشَارُهَا ^(٤)

(١) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٣٠٤ .

وكان الجنس بين " جَلَّ ، حَلَّ " بعد حرف التوكيد والتحقيق " قد " .

وكان الترصيع أحدها ، فيقول :

وتفنى الليالي والمسرّات كلّها وتبقى تباعاتُ الذُّنوبِ وعَارُها ^(١)

لكن الملاحظ في القصيدة أنّ الشاعر اعتمد فيها على التأثير بالقرآن الكريم تأثراً واضحاً يشمل معظم أبياتها سواء في الألفاظ أو في المعاني ، أو كليهما معا ، أو من ناحية قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومعجزاتهم التي أيدهم الله - سبحانه وتعالى - بها . قصيدتا أبي تمام تدوران حول الحديث عن الدنيا ومتاعها ، إلّا أنّ ابن حزم في ممحصّته كان على النقيض تماماً ، فهي تدور حول تقييح الدُّنيا ، وكشف الحجب عن مساوئها ، والدعوة إلى الزهد فيها ، والعمل للآخرة عن طريق الترهيب من أهوال يوم القيامة ، وعذاب الله ، الذي أعده للمذنبين المنغمسين في اللّهُو ، والمنشغلين عن الآخرة باقتناص الفرص للمتعة في الدُّنيا .

وشعر ابن حزم يخاطب العقل والوجدان ، عميق الأثر في النّفس ، " متينٌ جزلٌ يغلبُ فيه المعنى على اللفظ ، ولكنه يبقى شعراً وجدانياً بعيد الأثر في النّفس والفكر معاً " ^(٢) . فكرة " الممحصّات " إذن لم تكن وليدة ابتكار الشاعر الأندلسي أحمد بن عبد ربه " ت ٣٢٨هـ " ، ولا وليدة بيئته ، بل كان أول مَنْ نصّ على فكرة التكفير قبل ابن عبد ربه ، هو أبو عقّال غلبون بن الحسن " ت ٢٩١هـ " أحد شعراء أفريقية - تونس - بعدما تاب ورجع إلى حياض التدين والزهد .

ولعل بعض الشعراء - ممن لم تتسن لي الفرصة في الوقوف على شعرهم - اعتنقوا هذه الفكرة وتمثلوا بها حتى وصلت إلى ابن عبد ربه ، في حين أنّها كانت عند أبي عقّال تحوُّلاً عن مذهب قديم وهو القول في الغزل والمجون ، ثم ترك هذه الطريق وسلك طريق النظم في الزهد ، ولعل شعراء الممحصّات التي جرت مجرى النقائص سلكوا الطريق نفسه ، وساروا في الوجهة ذاتها ، وإن لم يشيروا إلى ذلك ، بل غيروا مسلك حياتهم في المرحلة

(١) انظر الشاهد ، ص ١٥٧ .

(٢) د . فروخ ، عمر : " تاريخ الأدب العربي " ، ط (١) ، (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٩٢ م) ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ .

الأخيرة من حياتهم ، فنظموا في الزهد والمواعظ ، وهجروا شعر المجون وضربوا صفحا عنه، وأتت بعضها موافقة لبعض شعر المرحلة الأولى في الوزن والقافية ، وربما وجد بين المحصّنة ونقيضتها شيئا من التوافق ، ثم كانت عند ابن عبد ربه تتخذ من التضمين إضافة إلى اتفاق الوزن و القافية شكلا آخر .

أما الشريف العقيلي " ت ٤٥٠هـ " فمُحصّاته كانت عبارة عن مقطوعات زهدية ، يختم بها قوافيه ؛ وكأنه أراد بذلك التكفير عن جميع ما في هذه القافية من الشعر، وكانت بعضها تتفق مع بعض شعره الماخن في الوزن والقافية ، إضافة إلى مقطوعة له في الهجاء - وإن كان عنده قليل - اتفقت مع أخرى في الزهد .

على أن ، شعراء " المُحصّات " الذين نصّوا أو اعترفوا بذلك ، لهم أيضا ممحّصات على شكل نقائض ، كما عند ابن عبد ربه ، والشريف العقيلي ؛ لذلك تعددت أشكالها وتنوعت ، وهذه الأنواع هي :

- ١- شكل يعتمد على اتفاق القافية والوزن بين النقيضتين دون أن يشار إليه .
 - ٢- نوع آخر نصّوا على ذلك أو اعترفوا به ، دون أن يلتزم فيه اتفاق بين الوزن والقافية ، بل كانت فكرة التكفير هي الطاغية عليه ؛ ولذا لم يهتم فيها بالناحية الفنية ، مثل مكفرة أبو عقال ، كما تضمنت القصيدتان أو القطعتان تشابها وتوافقا في بعض الأنماط والأساليب ، والألفاظ .
- فهل يمكن إعتبار التحوّل من القول في الغزل والمجون ، إلى القول في الزهد والمواعظ عند شعراء الأمة العربية والإسلامية نوعا من التكفير والتمحيص عن شعر المرحلة الأولى من حياتهم ؟ .

- ٣- نوع آخر من المحصّات اعتمد على أسلوب التضمين ، كما عند ابن عبد ربه
- ٤- اعتمد الشريف العقيلي على جعل محصّاته في خاتمة قوافيه ، هادفا من وراء ذلك إلى التكفير عن جميع ما ورد فيها .
- ٥- ونوع جديد قوامه التمهّص عن شعر شاعر آخر ، ظهر عند ابن حزم الأندلسي .

جدول بحور شعر الممحصّات

البحر	الشاعر	ممحصّات الشعر المقصّد	
		عدد القصائد	عدد الأبيات
١- الطويل	أبو العتاهية	١	١٠
	ابن المعتز	٢	٧
	ابن عبد ربه	١	٩
	ابن حزم	١	٨٦
	البهاء زهير	١	١٧
٢- المديد	الشريف العقيلي	١	٣
٣- البسيط	ابن المعتز	١	٣٣
	ابن عبد ربه	٢	١٠
	الشريف العقيلي	١	٢
	البهاء زهير	١	٤
٤- الوافر	ابن عبد ربه	١	٦
٥- الكامل	أبو عقّال	١	١٠
	البهاء زهير	١	١٠
٦- الرمل	الشريف العقيلي	١	٤
	ابن حمديس	١	٦
٧- المنسرح	أبو نواس	١	٦
	ابن حزم	١	٣٧
٨- الخفيف	أبو العتاهية	١	٤
	ابن الرومي	٢	٢١٢
	الشريف العقيلي	١	٣
٩- مجزوء الكامل	الشريف العقيلي	١	٣
	البهاء زهير	١	٩

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لشعر التوبة الاستغفار وشعر المُمحّصات

المبحث الأول : أثر القرآن الكريم
المبحث الثاني : أثر الحديث الشريف
المبحث الثالث : الصّورة الفنية
المبحث الرابع : ظاهرة التكرار
المبحث الخامس : التجربة الشعرية

اثر القرآن الكريم

تأثر الشعراء كثيرا بموضوعات القرآن الكريم وألفاظه ، وأساليبه ، ولا غرابة في ذلك فهم الذين أشربوا هواه ، وتعلقت به نفوسهم ، وما هذا التأثير إلا ثمرة من ثمار ثقافتهم الإسلامية التي ساعدتهم في نقل معانيه ، وصياغتها بهذا الأسلوب الجميل ، فالكثير منهم كان على نصيب وافر من حفظ القرآن الكريم ، وكان منهم الحفظة .. ومنهم من يلزم نفسه حفظه كالفرزدق .

وهذا التأثير بدوره كان يُتيح لهم الأخذ من آياته وألفاظه على سبيل الاقتباس المباشر ، وغير المباشر ، وهذا يدل على الصلة الوثيقة بكتاب الله الكريم الذي كان الصورة المثالية التي اقتدى بها الشعراء ، والذي تأثروا بمعانيه وألفاظه وأفكاره من جهة ، وأسلوبه وصوره البليغة من جهة أخرى ، فلا نكاد نتأمل نصا من النصوص التي بين أيدينا إلا سلبت أبصارنا تلك الشذرات المبتوثة في ثنايا الأبيات دالة على هذا التأثير .

الاقتباس في اللغة: "مصدر اِقْتَبَسَ، إذا أخذ من معظم النار شيئا، وذلك المأخوذ قَبَسٌ" (١) وفي الاصطلاح : " هو تضمين الكلام نظما كان أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث ، لا على أنه منه ، بحيث يكون داخلا في الكلام دخولا تاما " (٢) وهو إما أن يلتزم فيه الناقل لفظ القرآن الكريم وتراكيبه نصيا كما هو ، أو يكتفي بالإشارة إلى الآية فقط .

تحدث الشعراء عن يوم القيامة ، وما فيه من أهوال عظام تشخص فيه الأبصار .. ولا ينفع المرء فيه مال ولا بنون ، يقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - :

إلهي أذقني طعمَ عَفْوِكَ يومَ لا
بنونَ ولا مالُ هُنالكَ يَنفَعُ (٣)
أخذ الشطر الثاني من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٤)

(١) انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٦ ، ص ١٦٧ ، مادة " قبس "

(٢) انظر ، القزويني : " الإيضاح " ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ .

(٣) انظر الشاهد : ص ١٦ .

(٤) سورة الشعراء : آية " ٨٨ "

وذكر الحصين السعدي من أهوال ذلك اليوم حقيقة تقلب القلوب ، واضطرابها من الهول والفرع ، وتفقه حقيقة الأمر ، فيقول :

ولكنني أحدثُ لله توبة نقلتُ إليها والقلوبُ تقلبُ ^(١)

ووردت هذه الحقيقة في الكتاب العزيز ، فقال تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ ^(٢)

وفي هذا اليوم العظيم ، يساق كل إنسان و معه سائق يسوقه إلى حتفه ، وشهيد يشهد عليه ، يقول النعمان بن بشير - رضي الله عنه - :

يَوْمَ تُدْعَى إِلَى الْحِسَابِ وَمَعَنَا يَوْمَ يَأْتِيكَ سَائِقٌ وَشَهِيد ^(٣)

مستعيرا هذا الوصف من قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ ^(٤) وكانت الصورة أبلغ عند الفرزدق ، فصور الموقف تبعا لما يقتضيه المقام في الشعر ، حيث يقول :

إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ عنيفٌ وسواقٌ يسوقُ الفرزدقا ^(٥)

ولكنه هنا جعل الشهيد قائدا ، وألبسه صفة العنف ، و جعل السائق سواقا يسوقه إلى محشره .

وابن حزم الأندلسي يصف سائق النفوس يوم القيامة بالجد و المبادرة وسرعة أداء ما أوكل إليه من الأعمال ، فيقول :

فخابتُ نفوسٌ قادها هُوَ ساعةً إلى حرٍّ نارٍ ليس يُطْفِئُ أوارها .
لها سائقٌ حادٌ حثيثٌ مُبادرٌ إلى غير ما أضحي إليه مدارها ^(٦)

(١) انظر الشاهد ، ص ٢٣ .

(٢) سورة النور : آية (٣٧)

(٣) انظر الشاهد ، ص ٢١ .

(٤) سورة ق : آية (٢١)

(٥) انظر الشاهد ، ص ٢٦ .

(٦) " رسائل ابن حزم " ، ج ١ ، ص ٣٠٣

يشير ابن حزم إلى قائد الدنيا و هو اللهو ، و قائد الآخرة و هو المملك الموكل إليه
سوق المذنبين إلى النار .

و طاعة الإنسان لهواه و عصيانه لأوامر ربّه ، كان سبب هلاكه و سوق قائد النار له
في الآخرة ؛ ليعاقب ، فظهور القائد الأول إدى إلى ظهور القائد الثاني .
ونجد الإشارة ذاتها في قول ، محمد البلوي :

وقد وُضع الميزان بالقسط حاكما وجاء شهيدٌ عند ذاك و كاتِبٌ ^(١)
أخذ الشطر الأول من قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ^(٢) ، وفي الشطر الثاني حذف السائق ، وأضاف الكاتب .

تناول الشعراء أيضا وصف نار جهنم متأثرين بما ذكر في القرآن الكريم ، محذرين من
عذابها ، مستنكرين على اللاهين الغافلين انشغالهم بالترهات ، وكأهم في أمان منها ،
واستعاروا اسما من أسمائها، و تناقلوه في أشعارهم ، من هؤلاء ، أبو نواس في قوله :
مَالِكٌ بِالْتَرَهَاتِ مُشْتَغَلًا أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرٍ ^(٣) .

كما ورد هذا الاسم عند ابن عبد ربه في قوله :

عَايِنُ بِقَلْبِكَ إِنَّ الْعَيْنَ غَافِلَةٌ عَنْ الْحَقِيقَةِ وَاعْلَمْ أَنَّهَا سَقَرٌ ^(٤) .
أخذا هذا الاسم من قوله تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴾ ^(٥)
و قوله : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ ^(٦) و ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴾ ^(٧) .

وهي سوداء تزفر من غيظ إذا سمرت ، وأشعلت للظالمين فتهلكهم ولا تبقي منهم شيئا ،
ولا تذرهم حتى يعادوا إلى العذاب ، يقول :

(١) انظر الشاهد ، ص ٨٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، آية : (٤٧)

(٣) انظر الشاهد ، ص ٩٥ .

(٤) انظر الشاهد ، ص ١٤٦ .

(٥) سورة المدثر ، الآيتان (٢٦ - ٢٧) .

(٦) سورة المدثر ، آية : (٤٢)

(٧) سورة القمر ، آية (٤٨)

سوداء تَزْفِرُ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سَعَرَتْ لِلظَّالِمِينَ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ^(١)

اشتمل البيت على اقتباس من أكثر من آية قرآنية ، فأخذ الشطر الأول من قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾^(٢) و ﴿ إِذَا الْجَحِيْمُ سُعِرَتْ ﴾^(٣) ، وأخذ الشطر الثاني من قوله تعالى : ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾^(٤) .
ومن شدة هول ذلك اليوم ، ترى آثاره بادية على العباد فيما يصيبهم من شدة الهلع ، فكل منهم في شغل شاغل عن غيره ، يقول محمد البلوي :

و طَاشَتْ عُقُولُ الْخَلْقِ وَاشْتَدَّ خَوْفُهُمْ وَفَرَّ مِنَ الْإِنْسَانِ خِلٌّ وَصَاحِبٌ^(٥)

استعار الشطر الثاني من قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴾^(٦)

من عظمة الله — سبحانه و تعالى — و قدرته أنه أبدع في الكون و المخلوقات ، فمن بين ما أبدع في خلقه : السماوات السبع ، التي رفعها بغير عمد ، و زينها بالكواكب ، و أنارها بالنيرين — الشمس و القمر — ، و دحا الأرض و فجر فيها البحار و الأنهار ، و أنبت فيها الكلاً و الأشجار ، و أرساها بالجبال الرواسخ ، و أحيأها بعد موتها ، — فتبارك الله أحسن الخالقين — ، وهذا الخلق المعجز الكائن في خلق الله للإنسان من تراب ، نقله أبو العتاهية في قوله :

مِنْ تُرَابٍ خُلِقْتَ لَا شَكَّ فِيهِ وَغَدَا أَنْتَ صَائِرٌ لِلتُّرَابِ^(٧)

استعار المعنى من آيات عدة في كتاب الله العزيز ، منها قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾^(٨)

وهو — سبحانه و تعالى — ربّ السماوات وخالقهن سبع متطابقات محكمات ورافعهن بلا عمد ، فيقول الفارابي :

(١) انظر الشاهد ، ص ١٤٦ .

(٢) سورة الفرقان ، آية : (١٢)

(٣) سورة التكويد ، آية : (١٢)

(٤) سورة المدثر ، آية (٢٨)

(٥) انظر الشاهد ، ص ٨٠ .

(٦) سورة عبس ، الآيات : (٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦) .

(٧) انظر الشاهد ، ص ٩٦ .

(٨) سورة الكهف ، آية (٣٧) .

رَبُّ السَّمَاوَاتِ الطَّبَاقِ وَمُرَكَّزٌ فِي وَسْطِهِنَّ مِنَ الثَّرَى وَالْأَجْرِ (١)
أخذ الشطر الأول من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ (٢)

ووصف الله - تعالى - نفسه بأنه علام الغيوب ، في موضعين من كتابه الكريم ، في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (٣)

ضمن صفي الدين الحلبي آخر قصيدته آية كريمة ، وهي قوله :

نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤)

قال تعالى : ﴿ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥)

جاء تأثر الشعراء بقصص الأنبياء - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - والاستشهاد بما أيدهم الله به من آيات باهرات ، منها قصة نبي الله يوسف - عليه السلام - ، في قول إبراهيم بن المهدي :

فَقُلْ قَوْلَ يُوسُفَ لَا تَتْرُبُ ————— نَفَقَدْ يَغْفِرُ الْغَافِرُ الرَّاحِمُ (٦)

من باب التخفيف عليه مما يشعر به من يأس ، وفتح باب المغفرة والرحمة و قبول التوبة وقد أخذ المعنى مع تصرف في الألفاظ من قوله تعالى على لسان نبيه - الكريم - :

﴿ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٧)

(١) انظر الشاهد ، ص ٣٨ .

(٢) سورة نوح ، آية : (١٥) .

(٣) سورة المائدة ، آية : (١١٦) .

(٤) انظر الشاهد ، ص ٤٢ .

(٥) سورة الحجر ، آية : " ٤٩ " .

(٦) انظر الشاهد ، ص ٣٦ .

(٧) سورة يوسف ، آية : (٩٢) ، و انظر العديد من صور التأثر بالقصص القرآني في محصة ابن حزم ، " رسائله "

ج ١ ، ص ٣٠٦ .

اندر الحديث الشريف

استفاد الشعراء من الحديث الشريف و تأثروا به من ناحية ألفاظه ومعانيه ، وضمنوها أشعارهم ، من بينهم معاوية بن أبي سفيان الذي استعار حديث { مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ }^(١)، وتصرف في ألفاظه ، في قوله :

إِنْ تُنَاقِشْ يَكُنْ نِقَاشُكَ يَارَ بَّ عَذَابًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ^(٢)

وجاء وصف نار جهنم ، في الحديث الشريف بالسَّوَاد ، وهذا الوصف نقله ابن عبد ربّه في قوله :

سَوْدَاءَ تَرْفَرُّ مِنْ غَيْظٍ إِذَا سُعِرَتْ لِلظَّالِمِينَ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ^(٣)

نقلا عن الحديث الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - " ت ٥٩ هـ - " ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : { أوقد على النار ألف سنة حتى احمرّت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضّت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت ، فهي سوداء كاللّيل المظلم }^(٤)

أيضا تأثر سلام الباهلي بحديث آخر من أحاديث رسولنا الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ، في قوله :

فَرُبَّ دَاعٍ بظَهْرِ غَيْبٍ قَابِلٍ مِنْ رَبِّهِ الْقَبُولَا^(٥)

نقل المعنى من حديث : { ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب ، إلّا قال الملك : ولك مثل ذلك } ، وأخرج الطبري عن طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي

(١) العسقلاني : " فتح الباري " ، كتاب الرقاق ، باب { من نوقش الحساب عذب } ، ج ١١ ، ص ٤٨٧ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ١٨ .

(٣) انظر الشاهد ، ص ١٤٦ .

(٤) الترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة : " الجامع الصحيح " ، تحقيق و تعليق : إبراهيم عطوه عوض ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د . ت) ، ج ٤ ، ص ٧١٠ ، رقم ٢٥٩١ .

و " سنن ابن ماجه " ، حققه : محمد فؤاد عبد الباقي ، (القاهرة : عيسى الباي الحلبي ، د . ت) ، ج ٢ ، ص ١٤٤٥ ، رقم ٤٣٢٠ .

(٥) انظر الشاهد ، ص ٧٩ .

الله عنه - مرفوعا { خمس دعوات مستجابات } وذكر منها : " دعوة الأخ لأخيه " {^(١)

ووردت قصة انشقاق القمر في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - في الصحيحين ، فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنها - قال : انشقَّ القمر ونحن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بمعى، فقال : { اشهدوا ، وذهبت فرقة نحو الجبل } ، وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - (أن أهل مكة سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقَّتَيْن حتى رأوا هرا بينهما)^(٢) ، وقد أشار إليها ابن حزم الأندلسي في قوله :

وشقَّ له بدر السماء وخصَّه
بآيات حق لا يحلُّ مُغارها^(٣)

(١) العسقلاني : " فتح الباري " ، كتاب " الدعوات " ، ج ١١ ، ص ١٦٤ .

(٢) العسقلاني : " فتح الباري " ، باب : " انشقاق القمر " ، ج ٧ ، ص ١٨٣ .

(٣) " رسائل ابن حزم " ح ١ ، ص ٣٠٦ .

الصُّورة الفنية

الصُّورة : هي القالب الذي يشكل فيه الأديب فكرته ، وما يجول في نفسه من المعاني والأحاسيس ، فيربط بين التشابه الحسيّ للأشياء ، والشعور المسيطر عليه ، مما يزيد لها صدقا وسموا فنيا .

ولا يزال مصطلح " الصُّورة " من المصطلحات النقدية العائمة ، التي اختلف النقاد في تحديد مفهوم لها بشكل مكتمل دقيق ، يشمل جميع جوانبها ، وهذا المصطلح وثيق الصّلة بالأدب ، إذ تكمن مهمة الشاعر في صوره " أن يربط بين الأشياء والفكر ، وبين المحسوس و العاطفة ، وعمله خلق هذه الصُّور من مواد الحسّ الغفل ، ولا قيمة شعرية أبدا للصورة إذا كانت الحواس وحدها هي التي تجيزها وتستحسنها " .^(١)

وله أهميته أيضا عند الناقد ، " فهي وسيلته التي يستكشف بها القصيدة ، وموقف الشاعر من الواقع " .^(٢)

الصُّورة في اللغة : " يُقال : تصوَّرتُ الشيء : تَوَهَّمتُ صُورته فَتَصَوَّر لي ، قال ابن الأثير : الصُّورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته " .^(٣)

وقد ورد ذكر الصُّورة في النقد القديم ، ووقف عنده بعض النقاد القدامى ، فنجد الجاحظ " ت ٢٥٥ هـ " في حديثه عن جودة الشَّعر ، و التفاضل فيه ، القائم على طريقة صياغته ، والترابط بين أجزائه ، يقول : " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، و إنما الشأن في إقامة الوزن ، و تخير اللفظ وسهولة المخرج ، و كثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، و جودة السبّك ، فإنما الشَّعر صناعة ، وضرب من النسج ، و جنس من التصوير " .^(٤)

(١) د . هلال ، محمد غنيمي : " النقد الأدبي الحديث " ، ط (١) ، (بيروت : دار العودة ، ١٩٨٢ م) ، ص ٤٢٤ .

(٢) د . عصفور ، جابر : " الصُّورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي " ، (القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٤ م) ، ص ٧ .

(٣) انظر ، ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٤ ، ص ٤٧٣ ، مادة " صور " .

(٤) الجاحظ : " الحيوان " ، ج ٣ ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

الجاحظ من خلال هذا النص نظر إلى الصورة الكلية للعمل الأدبي ، و عناصرها المكونة لها ، و التي يمكن تقييم أي عمل فني من خلالها ، بالربط بين الكلمات وتشكيل الجمل ، و ما تدل عليه من معانٍ تداعب عواطفنا وتثير فينا إحساسا معينا .
الصورة الكلية عنده ، لا بُد أن تشتمل على الخيال الذي يجسد المعنى الحسّي في صورة المعنوي ، و العاطفة التي تثير المشاعر .

و استفاد من أتى بعده من النقاد من فكرته ، أمثال : الرماني " ت ٣٨٦هـ " ، وأبي هلال العسكري " ت ٣٩٥هـ " ^(١) ، وعبد القاهر الجرجاني " ت ٤٧١هـ " ، و جارا الله الزمخشري " ت ٥٣٨هـ " ، و توقفوا عند تفسير الآيات القرآنية ، و النصوص الشعرية ، في محاولة للكشف عن إعجاز القرآن و بلاغته ، من خلال طُرُق تصوير المعنى و تقديمه في قالب حسّي ، أو تقديم المعنى الحسّي في صورة حسية أخرى أشد قوة في تأكيد المعنى وتأثيره في النفوس ، و اقتصرت دراستهم على مباحث البيان و المعاني ، و كانوا يلحقون البديع بهما .

و تطورت الفكرة في القرن الخامس تطورا ملحوظا ؛ نتيجة لربطها بعالم الخيال ، و تطبيقها على الشعر .

مصطلح " التصوير " عند عبد القاهر الجرجاني ، يتغير من موقف لآخر ، فتارة يستخدمه للدلالة على طرق الصياغة و التشكيل ، متأثرا بالجاحظ ، نستشف ذلك من قوله : " فكما أن تلك تُعجب و تخب ، و تروق و تؤنق ، و تدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها ، و يغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه و لا يخفى شأنه ، كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور ، و يشكله من البدع ، و يوقعه في النفوس من المعاني التي يتوهم بها الجماد الصّامت في صورة الحيّ الناطق ... " ^(٢) ، وهو بهذا يصف موقع التصوير في الشعر ، و وقعه على النفس ، و أهميته في النص الأدبي .

(١) انظر : " الصناعتين " ، تحقيق : علي البجاوي ، و محمد أبو الفضل ، (القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧١م) ، ص ٢٥٤ .

(٢) انظر : " دلائل الإعجاز " ، تحقيق : د . محمود شاكر ، ط (٣) ، . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ، ص ٣١٧ .

و في موقع آخر يحدد فيه أبعاد الصورة ، و ما يميزها عن صورة أخرى في الشكل و المضمون ، حين يقدم المعنى في صورة حسية ، فيقول : " واعلم أن قولنا : الصورة ، إنما هو تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان ، و فرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان بين خاتم من خاتم ، و سوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا وفرقا ، وعبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا : للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك " . (١)

فالمعنى موجود في ذهن الأديب قبل التعبير عنه ، والفارق يكمن في طريقة التصوير التي استخدمها الأديب ، ونقل بواسطتها ذلك المعنى إلى ذهن المتلقي و أثر فيه ، و كأن عبد القاهر يرى في الصورة علاقة امتزجت بين دلالة الألفاظ و إيحاءية المعنى ، علاقة لا تنفصل عراها ، فالمعنى لا يتضح بدون رصف الألفاظ ، و التنسيق بينها في صورة مؤثرة تنقل إلى المتلقي إحساس الأديب ، و تخاطب عقله ، و تثير وجدانه ، وتحرك حواسه .

وأشار إلى أن استعماله لمصطلح " الصورة " لم يكن مبتدعا منه ، بل هو مستعمل عند من سبقوه ، من أمثال : الجاحظ " ت ٢٥٥ هـ " ، يقول : " وليس العبارة في ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكره منكر " ، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء ، ويكفيك قول الجاحظ : وإثما الشعر صناعة و جنس من التصوير " . (٢)

و نظر الزمخشري " ت ٥٣٨ هـ " إلى المسألة نظرة شاملة ، عن طريق تصوير الحقائق المعنوية في صورة حسية ؛ لإثباتها في الذهن ، (٣) ويجعل من التمثيل طريقة لتصوير المعاني و توضيحها ، و إخراجها من خفي إلى جلي ، فيحصل بذلك أنس للنفوس ، يقول : " إن للتمثيل شأنا ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني ، ورفع الستار عن الحقائق حتى يُريك المتخيل في صورة المتحقق ، و المتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه

(١) " دلائل الإعجاز " ، ص ٥٠٨

(٢) المصدر السابق : ص ٣١٧

(٣) انظر : " الكشف عن حقائق غوامض التزويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " ، رتيه وضبطه و صححه :

مصطفى حسين أحمد ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٤٧١ .

مشاهد " (١) ، و يقول في موضع آخر : " التمثيل مما يكشف المعاني ، و يوضحها ؛ لأنه بمنزلة التصوير و التشكيل لها " (٢) وهو مما يكشف عن قيمة التمثيل القائم على تصوير المعاني للمتلقى ، و تمثيلها لمخيلته عن طريق ربطها بصورة حسية ، و كأنها أشياء واقعية . و تناقل بعض النقاد المعاصرين دراسة الصورة ، و تعريفها ، فهي : " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته و عاطفته معا إلى قرائه و سامعيه " (٣) الصورة من خلال هذا التعريف انعكاس لخلجات الأديب من فكر و عاطفة ، أو بعبارة أخرى ، صورة خارجية للملامح الحالة الداخلية التي يشعر بها من خلال التأليف و التناسب في الأسلوب الذي ينقل إلينا الأديب من خلاله ما يشعر به ، و يجعلنا نتفاعل معه و نتأثر بما يقول ، أو هي : " طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجه الدلالة ، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية و تأثير " (٤)

و هذا التعريف ناقص ؛ لأنه يرى بأن الصورة لا تضيف إلى المعنى سوى التزيين و التحسين ، و التأثير ، الذي يكمن في طريقة عرض المعنى ، و كيفية تقديمه ، فهو يهتم بالمعنى دون اللفظ .

و ينحصر مفهومها عند الدكتور : عبد القادر الرباعي ، بأنها : " عبارة عن الهيئة التي أثارها الكلمات بالذهن " (٥) ؛ أي : الصورة التي نتجت من خلال ترابط الكلمات و التأثير الذي تركته هذه الصورة على المتلقي ، وفي هذا التعريف نلمح إشارة إلى تعريف الدكتور جابر عصفور السابق ، أما المفهوم الذي يكاد يكون أشمل للصورة الأدبية فهو الذي يعرفها : " بأنها تلك الظلال والألوان التي تخلقها الصياغة على الأفكار

(١) الزمخشري : " الكشاف " ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٤٩ .

(٣) انظر ، أ. الشايب ، أحمد : " أصول النقد الأدبي " ، (القاهرة : مطبعة السعادة ، ١٩٦٤ م) ، ص ٢٤٢ .

(٤) د. عصفور : " الصورة الفنية " ، ص ٣٩٢ .

(٥) " الصورة الفنية في النقد الشعري " ، ط (١) ، (الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٤ م) ، ص

والمشاعر ، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر و الأديب لعرض أفكاره و أغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً ، فيه طرافة و متعة و إثارة " (١)

الصُّورة إذن عبارة عن العلاقة و الخصائص المشتركة ، و الحصلة الناتجة من اقتران اللفظ و المعنى و تناسبهما ، و ما تحتويه من أحاسيس الأديب و انفعالاته التي ينقلها إلى المتلقي و يؤثر فيه ، " و يكون طريق كشف هذه العلاقات هو التنقل في استنباط المعاني من سُبُل صياغتها في التشبيه و الاستعارة و التمثيل و المجاز - و الكناية - ؛ لتقييم الدليل على الذهني بالحسّي ، و تخلص إلى القيمة من خلال الظاهر إلى الواقع ، و من مجاز القول إلى الحقيقة ، و من التعبير الاستعاري إلى الأصل الإستعمالي ، و من النظر في المشبه به ؛ لإدراك شأن المشبه ، و من التمثيل إلى كُنْه الشيء ، و هذه هي مجموعة العلاقات في التناسب ، و اللَّبَنَة التي تبنى عليها أصول الصُّورة الفنية " . (٢)

وسأقف في هذا المبحث - بإذن الله تعالى - على بعض الشواهد القائمة على أركان البيان ؛ لمعرفة ما فيها من روعة في دقة اختيار الألفاظ ، و ترتيب المعاني وفقاً للموقف ، و الحالة النفسية للشعراء في محاولة مني للغوص في أعماقها ؛ لمعرفة دقائق مكنوناتها ، و أسرارها البلاغية ، و مدى ملائمة الصُّورة للموقف الذي أراد الشاعر التعبير عنه .

فمن الصُّور القائمة على التشبيه ، قول عبيد العنبري :

يا رب عفوك عن ذي توبة وجل كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ .
قد كان قَدَمٌ أَعْمَالاً مُقَارِبَةً أَيَّامٌ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ . (٣)

التشبيه مكون من صورتين متباعدتين ، صُورة التائب الفرع الخائف من عذاب الله ، و صُورة المجنون الذي يحذر الناس ويهابونه بسبب ما يأتي من آثام تدلّ على جنونه .

(١) د . عبد التواب ، صلاح الدين : " الصورة الأدبية في القرآن الكريم " ، ط (١) ، (القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر ، ١٩٩٥ م) ، ص ٩-١٠ .

(٢) د . الصغير ، محمد حسين : " الصورة الفنية في المثل القرآني " ، (الجمهورية العراقية ، دار الرشيد ، ١٩٨١) ، ص ١١-١٢ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٢ .

فالصُّورة الأولى : الخوف فيها من عقاب الله في الآخرة ، والصُّورة الثانية : الخوف والحذر فيها من النَّاس في الحياة الدنيا ، توحى الصُّورتان بالخوف الكامن في نفس الشاعر المسيطرة عليه حتى غدا كالمجنون الهائم على وجهه خوفاً من أعين الرقباء من الناس وبعداً عن بطشهم وأذيتهم .

ثم انظر إلى جمال الصورة وروعها في البيت الثاني ، في قوله : " أيام ليس له عقل ولا دين " مثبتاً ذلك عن غيره ، وهو يريد إثباتها عن نفسه ، قصداً للمبالغة .

الصُّورة هذه أتت مدعمة في البيت الأول ، الذي عني فيه بوصف شدة الخوف الكامنة في نفس الشاعر ، فهو بين خوف من عقاب الله وعذابه جرّاء ما ارتكب من معاصٍ وذنوب ، يتربص مصيره ، وبين رجاء في عفو الله وصفحه عنه .

هذا الضرب من التشبيه الغريب المأخذ ، والذي يجمع بين طرفين متباعدين ، يحتاج إلى إعمال فكر ، وكثرة تأمل ؛ لإدراك العلاقة فيه بين المشبه والمشبّه به ، من قبيل " التشبيه البليغ " الذي يربط بين المعاني المتباعدة ، ويجعلها تتعاقب ؛ لتعطينا معنىً لطيفاً أفعّل في النفس ، وأدعى إلى تأثرها واهتزازها ، وطربها .

من صُور التشبيه أيضاً ، قول قطري بن الفجاءة :

فإن الذي قد نلتَ يَفْنَى وإِنَّمَا حَيَاتُكَ فِي الدُّنْيَا كَوَقْعَةِ طَائِرٍ .^(١)

صوّر الشاعر سرعة فناء ما يناله الإنسان في الدُّنيا من المكانة والغنى والخيرات ، وسرعة فناء الإنسان وقصر أجله ، وليس هذا ادعاء باطلاً منه ؛ لأن حياة الإنسان مهما طالست فستظل قصيرة ، وستمر سريعة ، كسرعة وقعة الطائر على الأرض ليلتقط شيئاً ثم يحلق مسرعاً ، خوفاً من انقضاء عدوّ عليه ، وكذلك فإن ما يحرص الإنسان على جمعه والحفاظ عليه ، مصيره للزوال تبعاً للزوال جامعته ، فكل من الإنسان والطائر في حالة من الخوف والحذر المسيطرة عليهما ، خشية أن يفقدا حياتهما أو ما يجمعانه ، فكلاهما حريص على حياته ، وما يكثره .

في البيت ومضات فنية تولدت من دقة اختيار الألفاظ ، وترتيب المعاني ، مؤكداً على فناء ما يناله الإنسان ، ثم تلا ذلك بفنائه ، وبالتالي فناء هذه الحياة تبعاً لفناء المخلوقات ،

(١) انظر الشاهد : ص ٢٨ .

ولتأكيد هذه الحقيقة استعمل الشاعر عدة وسائل ، منها : التوكيد " بَانَ " مصدرا بها البيت ، وتلاها " بقَد " التحقيقية ، وجاء بالفعل المضارع " يَفْنَى " المفيد للتجدد والاستمرار بتجدد واستمرار حياة الإنسان ، وكأنه ظلّه الملازم له ، واستفاد من أسلوب القصر " بَانَمَا " للتأكيد على هذا المعنى نفسه ، فقدم حياة الإنسان في الدنيا على وقعة الطائر لغرض هو : بيان سرعة انقضاء حياته وفنائها ، ولو أنه أخر حياته وقدم وقعة الطائر ، لصار المعنى على ضد ما أراده .

ومن صُوره أيضا ، قول يحيى الهذلي :

أَذُوبُ حَيَاءٍ إِنْ تَذَكَّرْتُ زَلَّتِي وَحِلْمَكَ حَتَّى مَا أَقَلَّ نَوَاطِرِي .
وَأَسَكْتُ مَغْلُوبًا وَأُطْرُقُ خَجَلَةً عَلَى مِثْلِ إِطْرَاقِ الْقَنَا وَالتَّوَاتُرِ^(١)

الصُّورة العامة للبيت توحى بالضعف والانكسار أمام الله - سبحانه وتعالى - فحياء الشاعر من الله كلما تذكر ذنوبه وعصيانته ، وهو يقابله بالحلم والصّفح ، حتى لم يعد يستطيع أن يرفع بصره وينظر إليه ، قاده ذلك إلى الصمت والتفكير في مصيره ، وأفعاله أشعره بقبح ما فعل ، فأطرق بعينه إلى الأرض ، حياءً وخجلاً من الله من جرّاء كثرة ذنوبه وإصراره على العصيان ، شاعرا بالضعف والانكسار بعد ما كبر وضعفت قواه .. وهذا اللين والضعف الذي يصيب القنا حين تَقْدُمُ ، فتصبح سهلة الكسر .

وهذه الصُّورة تدل دلالة قوية على قدرة الشاعر على رؤية الأشياء ، والربط بين حركة الإنسان ، والجمادات وتجسيدها ، وصولاً بالتشبيه الخفي إلى الجلي الواضح ، فيحصل به أنس للنفوس .

وكقول محمد بن زُهر :

أَرَى دَيْمَةً فِي جَمْرَةِ الْغَيْظِ أَغْدَقْتُ كَمَا يَغْدُقُ الْمَحْمُومُ مِنْ صَالِبِ الْحُمَى .^(٢)

في البيت مكونة من جزئين : صورة شدة الحرارة المخيمة على الجو ، حتى غدا المكان كالجمرة الملتهبة ، إذ في هذا الوقت تكون البلاد ، والعباد في حاجة ماسة لتزول الغيث ، المنقطع عنهم بسبب ذنوبهم ، ليعم الخير في البلاد ، وينتفع العباد ، وتخف الحرارة ، فرؤية

(١) انظر الشاهد ، ص ٦٩ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٧٧ .

الديمة كان بمثابة بريق أمل تعلق به الناس ، متوسلين إلى الله - القدير - أن يغيثهم ويسقيهم ، فاستجاب لهم ، وجاد عليهم بالمطر الغزير ، فأحيا به الأرض ، وسقى به العباد ، مشبها الشاعر هذه الحالة ، بحال المحموم الذي جفَّ جلده من شدة حرارة جسده ثم كثر عرقه من شدة الحمى التي أملت به .

من صور التشبيه القرية المأخذ ، والمألوفة التي توحى بتأثر الشاعر بتراته ، وانطباعه بطابع من سبقه من الشعراء ، قول ابن حمديس :

فَعَوَّضْتُ شَيْباً مِنْ شَبَابِي كَأَنِّي تَوَلَّيْتُ مِنْ ظِلِّ بَرِّغَمِي إِلَى الشَّمْسِ ^(١)

الصُّورة في البيت لشيئين متناقضين " الشباب ، والشيب " و " الظل ، و الشمس " ، يبرز كل منهما ما في الآخر من محاسن ، ومساوئ ، ولكننا نلمس في هذه الصُّورة أصابع الفنان التي رسمت خطوط هذه الصُّورة ، ولونتها بما يلائمها ، ويوضحها ، وإن كانت مألوفة ، إلا أنه طبعها بطابع جديد .. فقال : " فَعَوَّضْتُ " ولم يقل : " تحولت " وكأنَّ شبابه قد سلب منه ، وأخذ على كُره منه ، أي أنه غير راضٍ عن هذا العوض و متبرم منه ، لقوله : " على رغمي " ، فهو لا يراه خيرا مما ذهب أبدا ، فالشمس ليست بأحسن من الظل ، حيث جعل الشيب عوضا له عما سلب منه ، أما ذهاب الشيء ، فلا عوض له ، " وتَوَلَّيْتُ " أبلغ من " تحولت " ؛ لأنَّ التولَّى يكون برضا منه بما آل إليه حاله ، بعدما ظهر شيبه ، وكبر عمره ، لما تتميز به هذه المرحلة من الرشد ، والعقلانية ، والحكمة ، و التحول يكون مجبرا عليه و لا بديل له عنه .

من هذه الصُّور ، قول البهاء زهير :

فَقَدْ انْجَلَى لَيْلُ الشَّبَابِ وَقَدْ بَدَأَ صُبْحُ الْمَشَيْبِ ^(٢)

يصور الشاعر أفول شبابه ، وتحوله إلى مرحلة جديدة ، هي مرحلة ظهور الشيب ، دلالة على كبره ورشده ، مستعملا " قد " التحقيقية تأكيدا على ذهاب أيام شبابه ، وتمكن الشيب منه ، ولو أنه اكتفى في البيت بالمشبه لأفاد المعنى ، لكنه أضاف إليه المشبه به ليزيد في توضيح الصُّورة ، وإبرازها .

(١) انظر الشاهد : ص ٧٢ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٧٤ .

أيضا أضاف إلى السياق الاستعارة ، " ليل الشباب ، و صبح المشيب " ، فالمعنى الأول القريب : الليل - حقيقة - حين يخيم على المكان ، وما فيه من السكينة والهدوء ، والصبح حين يسفر ، ويشع في الكون نوره ، وما يتطلبه من العمل والسعي في طلب الرزق، وكأنه يدعو الشباب للعمل في الصبح بعد ما هنتوا بالنوم في الليل .

والمعنى الآخر البعيد : " ليل الشباب " سواد شعره - أي شبابه - وما يتبع هذه المرحلة من اللهو والمجون ، و " صبح المشيب " انتشار الشيب ، وتمكنه منه ، مضيقاً رأسه ، دلالة على كبره ، وما يتبع ذلك من الهداية و الرشاد ، والعمل للآخرة مستفيداً من أيامه الأخيرة بما ينفعه في آخرته .

وهذه " المقابلة " الرائعة من ضمن الوسائل التي استعان الشاعر بها ، لإبراز المعنى ، و إيضاحه .

فالغاية التي أراد الشاعر توضيحها من خلال البيت ، لفت الانتباه إلى نهاية المطاف بنهاية الشباب ، وظهور الشيب ، وبداية لمرحلة جديدة ينذر فيها الشيب صاحبه بقرب أجله ليرعوي ، ويحثه على الجد ، والاستفادة من بقية عُمره بالعمل الصالح الذي يعود عليه بالنفع في آخرته ، فما ينجلي لا يعود أو يرجع ولو بعد حين ، أما ما يظهر فسيغيب ، ويختفي سريعاً ، وهذا ما أوماً إليه بقوله : " انجلي ، بدا " وكأن التحول ، والتبدل مصاحب لكل ما في الكون .

فهذه التشبيهات وإن بدت مألوفاً إلا أنّ الشعراء قد استوحوا صورهم من الطبيعة " التراب ، الظل ، الشمس ، الليل ، الصبح " وغيرها من الصور الحسية التي يراها الإنسان من حوله ، ونلمس منها معنى الكثرة ، والتمكن في ذهن الإنسان ، وتأثيرها في نفسه ، فالتراب : كثير مترام في كل الأرجاء ، والظل : ملازم لكل شيء موجود ، والشمس : تشرق فتكسو الكون حلة من الثور ، والدفء ، والليل : يخيم ليسدل ستارا من الهدوء ، والسكينة على المكان ، والصبح : حين يسفر فيغطي الأرض بضوئه .

هذه الصور تتكرر وتعزف على قيثارة الكون ، والحياة على الدوام - فسبحان الخالق المبدع للكون - .

والصور المنبعثة من التشبيه كثيره مبثوه في شعر التوبه ، والاستغفار ، وهي اماط الفها
العرب ، وفطروا عليها .^(١)

(١) انظر بعض أمثلة التشبيه في شعر معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - ، و أعشى همدان ، و قطري بن
الفجاءة ..

الاستعارة :

قمة من قمم البيان العربي، التي بها يخلق الشعراء إلى سماء الإبداع ، والدوق الرفيع ، وإخراج المكنون من المعاني الخفية في صدف النفس ، فيصورها ، ويجلوها ، ويزيل الغشاوة عنها ، حتى ترى الأحجار تتنفس ، وتسري الحياة في الطبيعة الصامته ، والجمادات تتكلم و تتراقص كالأزهار الطربة فوق الأغصان ، فتكاد تلمس المعقول ، وتبصره العين ، وتنفض فيه الروح ، وتهتز له القلوب ، والمشاعر ، والأحاسيس ، وما هي إلا تلك المعاني الدقيقة الخفية التي يتصرف الشاعر في لغتها ، مضيفا إليها مضامين جديدة مغيرا دلالتها المألوفة بتسمية الأشياء بمسميات غيرها ، لغرض يهدف إليه الشاعر ، وهذا المعنى نلمحه في تعريفات العلماء للاستعارة منذ القدم^(١) .

من ذلك ما عرفها به أبو هلال العسكري " ت ٣٩٥ هـ " ، بقوله : " الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض " ^(٢) ، وبها " ينتزع الشاعر اللفظة من مجالها المعلوم إلى مجال آخر غير معلوم ، وبهذا يزيد في المعجم اللغوي دلالات جديدة للألفاظ .. ويشكل الأشياء تشكيلا آخر " ^(٣) ، وهي فن دقيق المسلك يحتاج من الأديب تمكنا من اللغة ، ومعرفة بأسرارها ، وإدراكا لحقائق الأشياء ، والعلاقة الدقيقة بينها ، ورهافة إحساس تمكنه من رؤية الأشياء بمنظار جديد يرى من ورائه انفعالاته ، وانعكاس أحاسيسه على هذه الأشياء .

اعتمد بعض شعراء التوبة و الاستغفار على الاستعارة في بعض شعرهم في نقل معانيهم ، مما يدعوننا إلى دراسة بعض الأمثلة لنقف على مدى قدرتهم في نقل صورهم إلى حيز آخر وإدراكهم لحقائق الأشياء ، والعلاقة بينها .

و التشبيه المأخوذ من الصور العقلية ، هو الصميم الخالص ، والجوهر الأصيل من الاستعارة ، يقول الإمام عبد القاهر : " واعلم أن هذا الضرب هو المترلة التي تبلغ عندها

(١) انظر تعريفاتها عند الجاحظ : " البيان و التبیین " ، ج ١ ، ص ١٥٣ ، و ابن المعتز : " البديع " ، ص ٢٠ ، و عبد

القاهر : " الدلائل " ، ص ٦٧ ، و الخطيب : " الإيضاح " ، ج ٢ ، ص ٤٠٩ .

(٢) " الصناعتين " ، ص ٣٩٥ .

(٣) د . أبو موسى : " التصوير البياني " ، ص ١٨٣ .

الاستعارة غايةً شرفها ، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفنُّنها ، وتصرفُها ، وهاهنا تَخْلُص لطيفةً روحانيةً ، فلا يبصرها إلا ذوو الأذهان الصافية ، والعقول النافذة ، والطباع السليمة ، والنفوس المستعدة لأن تعي الحكمة ، وتعرف فصل الخطاب " (١) .

من الصّور القائمة على الاستعارة ، قول أبي العتاهية :

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنَّ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ . (٢)

يثني الشّاعر على ربّه بإحسانه على بني البشر بإخفاء أخطائهم و ستر عيوبهم رحمة بهم ؛ لأنّ الإنسان الخاطئ في نظر أبي العتاهية حسن الحظ ؛ لأنّ الخطايا ليست لها رائحة تفوح منها ، و إلاّ لدلت على صاحبها حين تشتم النفوس فساد رائحتها ، هذه الصُّورة التي تنبثق من تشبيه الخطايا بالرائحة النتنة فحذف المشبه به و هو الرائحة و أتى بلازم من لوازمه على سبيل الاستعارة .

وكانّ الشّاعر تحول إلى واعظ ، يعظ الناس ، ويحثهم على البعد عن المعاصي ، وإصلاح النفس ، بكبح جماح هواها ، والمصارعة إلى التوبة إلى الله مما اقترفه من الذنوب ، وفي " ستر الخطايا " بعث للهمم لأداء حق هذه النعمة ، بشكر الله - سبحانه وتعالى - على إحسانه ، وفضله .

صورة ثانية للاستعارة ، في قول الشريف العقيلي :

كَمْ إِلَى كَمْ تَكُونُ أَيْدِي الْمَعَاصِي عَاقِدَاتِ أَطْرَافِهَا بِالنَّوَاصِي (٣)

في الشاهد صورة لنفسية الشاعر المتألّمة من أثر المعاصي والذنوب ، وهي تبرز كثرتها ، وتراكمها على العباد ، في صور مشرقة ، جاءت عن طريق الاستعارة ، إذ جعل المعاصي إنسانا له يد تمكنت من النّواصي ، وعقدت أطرافها بنواصي المذنبين ، تجسيدا لها في صورة الإنسان الجبّار الذي يملك يدا قوية يبطش بها ، توحى بالشعور بالندم لدى الشاعر الذي يرغب في الخلاص من أسر هذه المعاصي ، التي تؤرقه ، وتقلقه .

(١) انظر : " أسرار البلاغة " ، ص ٦٦ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٥٥ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٧٥ .

وتصرف الشاعر في الأسلوب ، واختار ألفاظه بدقة ؛ ليبرهن على كثرتها ، مستعملا " كم الخبرية " ، وصيغ الجمع " أيد ، معاص ، النواصي " ، وفي صيغة المضارعة " تكون ، عاقدات " ما يدل على تعجبه لاستمرار وإصرار العباد على المعاصي ، ثم إن في صياغة العبارات نلمح الكثير من التأكيد ، وهذا ما زاد المعنى قوة ، وإثباتا ، وعكس عمق شعور الشاعر بالأسى ، والحزن على ما فات من عمره ، والندم على ما ضيع من وقته ، وارتكاب المعاصي ، بحيث يراها في هذه الرؤية التي ابتكرها خياله .

وفي البيت مزية بلاغية نلمحها في دعوة الشاعر الخفية في السياق بالإسراع إلى التوبة ، والكف عن ارتكاب المعاصي ، والإصرار عليها ، تحذيرا من مغبتها ، وهذه النبرة الحزينة من الشاعر تدل على ندمه ، وعدوله عن الطريق الذي كان يسلكه سابقا ، إلى طريق آخر فيه صلاحه ، ونجاته .

من الصُّور المنبعثة أيضا من الاستعارة ، قول ابن خفاجة " ت ٥٣٣هـ " :

سَحَبَ الشَّيْبَةَ فِي الْغَوَايَةِ ضِلَّةً حَتَّى تَسْرِبَ ثَوْبَهَا أَخْلَاقًا^(١)

شبه الشيبية بحسناء فاتنة ذات ثوب جميل ، ثم حذف المشبه به وهو المرأة و رمز له بشيء من لوازمه وهو الثوب .

و في البيت إخبار عن حال العبد التائب في شبابه ، عندما كان يرفل في ثوب الغواية والضلال ، وقد صوّر الشاعر طول فترة ضلاله صورة جميلة ، فجعل " الغواية ، والضلال " كالثوب الذي يرتديه ، ولا يخلعه ، بل هو ملازم له ، وهو ثوب مُسْبِل حتى بلغ المدى في إسباله ، وتجاوز الحد في ضلاله ، وفي هذا ما يعكس صورة العبد المطيع لهواه ، غير عابئ بآخرته في مرحلة شبابه حتى بلغ الكبر ، وتغير مجرى حياته ، وقد قيل : " الشيء إذا تجاوز الحد انقلب إلى الضد " - وندم على تفريطه في شبابه ، وأصبح يشفق على نفسه . وهذه المزية التي نلمسها ، ونحسها لا تستطيع اللغة التقريرية الكشف عن جوانبها ، في تعبير موجز قليل الألفاظ ، ومن هنا كان دور التصوير في هذا المقام بالغ الأهمية في فسح المجال أمام القارئ لإعمال الفكر ، وكشف النقاب عن المعنى المحجوب وراء الصياغة ، والألفاظ ، وهذه إحدى مزايا التصوير .

(١) انظر الشاهد ، ص ٦٦ .

الكناية :

الكناية أحد فنون البلاغة العربية ، وأسلوبٌ من أساليب البيان ، لا يقوى عليها ولا يجيد التصرف بها إلاّ كلّ بليغ متمرس ، سلم طبعه ، وصفت قريحته ، وهي أبلغ من الإفصاح ، وأوقع في النفس بما تضيفه على المعنى من حسن وجمال ، وعلى الصّورة من وضوح وجلاء ، في محاولة لإثبات ذلك المعنى للذي ثبت له ، وتأکید الحقيقة بدليلها وبرهانها بأوجز أسلوب ، وأقل الألفاظ ، وتزيين ضروب الكلام ، وأنواع التعبير كالرسم الذي يبهرك بفته ولوحاته التي تلاعب فيها بألوانه ، وخطوطه في محاولة منه لتوضيح المعنى الكامن في نفسه في صورة جلية واضحة ، وهو ما أوماً إليه عبد القاهر الجرجاني ، بقوله : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه و ردفه في الوجود فيومي إليه ، ويجعله دليلاً عليه ... " (١) ، ثم هي تنير الطريق إلى معنى آخر هو ما يقصد إليه الكلام " . (٢)

من الصور القائمة على الكناية ، قول الإمام الشافعي :

فَلَلَّه دَرُّ الْعَارِفِ النَّدْبِ إِنَّهُ تَفِيضٌ لِقَرَطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَأْتَمًا . (٣)

امتدح الشاعر العبد المؤمن ، الدائم البكاء من خشية الله ، حين تدعوه عيناه إلى البكاء فيجيبها مسرعاً ، إقراراً منه بظلمه لنفسه ، وخوفاً من عذاب الله وعقابه ، حتى إذا ما جنّ عليه الليل ومد ظلامه في الأفق ، و طغى على المكان وجد لذة المناجاة والبكاء المرير حزناً وحسرة على أيام شبابه التي مضت ، وما كان فيها من الجهل ، وظلم النفس .
ودلّ على كثرة بكائه صيغة الفعل " تفيض " التي تفيد الاستمرار والتجدد ، والمداومة على البكاء ، وصفة " أجفانه دما " و " مأتما " كناية عن احمرار مقلتيه الناتج عن كثرة البكاء .

(١) " دلائل الإعجاز " ، ص ٦٦ .

(٢) د . أبو موسى : " التصوير البياني " ، ص ٣٦٦ .

(٣) نظر الشاهد ، ص ٥٦ .

فشدة الحزن المسيطرة على الشاعر ، وما يحيط بنفسه من الهمّ والسّهد طوال ليله ، يكشف عن حالة دائمة ، ومستمرة من الندم ، وصدق التوبة ، في محاولة جادة منه لإصلاح النفس ، والتعويض عما فرّطه في شبابه ، ولذلك أثنى الشاعر عليه ومدحه في مطلع البيت ، فاجتمعت في المثال كنايتين عن صفة " كثرة البكاء " وهي : تفيض لفرط الوجد أجفانه دما ، والثانية : يقيم على نفسه من شدة الخوف مأتما .

وهذه لوحة رائعة ، ذات وقع مؤثر في النفس ، فالشاعر يقيم على نفسه مأتما عندما يسدل الليل ستاره ، ويخيم ظلامه ليحيط بكلّ شيء من كثرة البكاء ، وكأنه يصوّر لنا أو يعكس الهيئة التي تخيلها في دور العزاء من كثرة بكاء الأهل حزنا على فراق قريب عزيز .. بل إنّه يختار الوقت المناسب ليقوم هذا المأتم على نفسه ، وقت يخلد بنو البشر إلى النوم ، وينعمون بالطمأنينة والسكينة ، فينفرد بنفسه هاربا من أسر الذنوب ، منفلتا من أغلالها ، ييكى ذنوبه التي أقلقّت مضجعه ، متحسرا على ما مضى من عمره وشبابه وهو لاه ، لكنه في ظلمة الليل الخالك لا يهدأ له بال ، ولا تقرّ له نفس ، ولا يغمض له جفن ، يظل يرجو رحمة ربه وعفوه آملا في مغفرته .

من هذا القبيل ، قول ابن خفاجة :

قَلِقَ الْمُضَاجِعُ بَاتَ يَقْرَعُ سِنَهُ نَدَمًا وَيُرْسِلُ دَمْعُهُ إِشْفَاقًا^(١)

أراد وصفه بقلّة النوم ؛ لانشغاله بالتفكير في ذنوبه التي أقضت مضجعه ، ومصيره الذي سيؤول إليه بعد مماته ، فأصبح لا يهنأ بنوم ، قد كحل مآقيه بكاء النادم المشفق على نفسه وفي عجز البيت كناية أخرى " يرسل دمعته إشفاقا " ، يثبت فيها شدة الحزن المتملكة ، والمسيطرة على المذنب العائد إلى ربه ، فأثبتها لغيره وهو يريد إثباتها عن ذاته ، قصدا للمبالغة .

ومن أمثلة كناية الصفة وصورها ، قول محمد البلوي :

وَطَاشَتْ عُقُولُ الْخَلْقِ وَاشْتَدَّ خَوْ فَهُمْ وَفَرَّ مِنَ الْإِنْسَانِ خِلٌّ وَصَاحِبُ^(٢)

(١) انظر الشاهد ، ص ٦٦ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٨٠ .

يخبر الشاعر عن شدة الهلع والفرع المسيطرة على الخلق يوم القيامة من شدة ما يرون من أهوال ذلك اليوم ، وشدائده حتى أذهبت عقولهم ، وفرّ الأحباب المقربون من الإنسان كلّ مشغول بشأنه ، مهتم بأمره ، فلهول شديد ، والخطب جليل .
ومما جاء من الأمثلة على كناية الموصوف ، قول علي بن أبي طالب _ رضي الله عنه _
"ت. ٤٠هـ" :

إلهي أَذْقِنِي طَعْمَ عَقْوِكَ يَوْمَ لَا بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ ^(١)

أتت الكناية عن يوم القيامة ، باليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون ، وخصّهما بالذكر ؛ لأنّهما الأقرب والأحب إلى الإنسان ، ومدار اهتمامه ، وتكاثره ، وتفآخره في الحياة الدّنيا أما في الآخرة فهو في حاجة ماسة إلى عفو الله ، فأبلغ أمانيه : أن يتشّح بوشاح العفو والمغفرة من الله في ذلك اليوم العظيم الذي ينتظر فيه العباد رحمة الله ، والأمن من عذابه ، فالنفع العائد إلى الإنسان في الدنيا من المال والبنين ، قد لا يعود إليه في الآخرة إلّا إذا أنفق ماله في طاعة الله ، وأرشد أبنائه إلى الدين ، وقومهم على التقوى ، والصّلاح ، نلمح هذا المعنى في بيت الشاعر ، متأثرا فيه بالقرآن الكريم .
من صورها أيضا ، قول الفرزدق "ت ١١٤هـ" :

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهَابِ وَأَضْيَقًا. ^(٢)

كناية عن " نار جهنم " وهي نار شديدة الاشتعال ، قد أوقدت ، وسُعّرت بغضب الله ، وخطايا بني آدم ، خلقت لعقاب المجرمين الكفار العاصين لربهم ، زيادة في إذلالهم ومهانتهم ، وتعذيبهم ، وتعظيما لهول هذه النّار التي لا تبقى ولا تذر ، وشعوره بما اقترف من الخطايا جعله يخاف من عاقبة ذلك ، ويرجو عفو الله ، ويطلب منه أن يقيه من عذابه ، يترجم صدق توبته ، وخوفه من عقاب الله وعذابه ، وناره التي أعدها للمذنبين العاصين .
أبرزت هذه الكناية في " نار جهنم " - أعادنا الله منها - أحوالا معينة ، فالصفات التي التقطت لتتخذ صفة لها ، ذات دلالة مهمة في السياق ، فقد أشارت إلى شدة الاشتعال ،

(١) انظر الشاهد ، ص ١٦ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٢٦ .

والضيق الملازم للمذنب بها ، ومنها رمز إلى أن في القبر أيضا من صنوف التعذيب والمعاقبة بالنار ، و التضييق على المجرمين بأن يكون القبر حفرة من حفر جهنم .

وفي صيغة المصدر " التهابا " دلالة على الشدة المتمكنة والملازمة لهذه النار التي لا يبرد لهيها ، ولا يخف استعارها ، قال تعالى : ﴿ كَلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ ^(١) إمعانا في تعذيب أهلها .

في كناية الفرزدق إشارة إلى غاية بلاغية ، هي : التعظيم لنار جهنم ، والترهيب من عقاب الله - سبحانه و تعالى - للمذنبين و المجرمين المستحقين للعذاب ؛ بسبب طغيانهم ومداومتهم على المعاصي ، والترغيب بحث العباد على التمسك بزمام النجاة والالتحاق بركب التائبين .

وقال أيضا :

إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنِيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا . ^(٢)

يصف خازن جهنم بالعنف والغلظة ، فلم يعبر عنه باسمه الموضوع له ، بل كنى عنه بما يشير إلى قوته وعنفه ، وشدة بطشه بالمذنبين المجرمين ، فهو القائد الذي يقود جماعة العصاة إلى حتفهم ، ويواجههم بالتقريع ، والتوبيخ والتنكيل .
وفي قوله : " وسَوَاقٌ يسوق " كناية أخرى فهذا الملك الموكل إليه أمر جهنم يقوم بعمله وهو : سوق هؤلاء المجرمين الأشقياء إلى جهنم رغما عنهم دون هوادة ، أو عطف وشفقة عليهم ، ولا رحمة بهم ، وهي صورة تلمح إلى هيئتهم وهم يساقون ويسحبون على وجوههم سوقا عنيفا ، بزجر وتهديد ، ووعد ، فيدفع بهم إلى نار جهنم على وجوههم أمام العباد ، وهي صورة تومئ إلى شدة هول ذلك اليوم ، وشدة العذاب الذي أعده الله للعاصين إذا لم يتوبوا .

هذه الهيئة التي اتصف بها خازن جهنم دلت على شدة بطشه ، وهيئته المخيفة التي خلقه الله عليها ، وميزه بها عن غيره من الملائكة ، وهي هيئة تناسب جنس العمل المنوط به من قبل الله - عز وجل - ، وهي من الصور القائمة على التأثر بالقرآن الكريم .

(١) سورة الإسراء ، آية : (٩٧)

(٢) انظر الشاهد ، ص ٢٦ .

هذه الأجناس البيانية التي أكسبت المعاني تأكيداً وإثباتاً بما أضافته لها من النبل والشرف ،
والتأثير في نفوس السامعين ، ورفع أقدار المعاني عند المخاطبين ظهرت في " شعر التوبة
والاستغفار " مبنوثة بين الأبيات ، والقصائد كان لها وقعها وتأثيرها في المعنى إذ لم تكن
كثيرة مفرطة ، ولم تكن شحيحة تضعيع معها المعاني الرائقة الرائعة ، بل أتت معتدلة
متوسطة ليس فيها غموض أو تعقيد ، فالموضوع فرض ذلك على لغة الشعراء التقريرية ؛
لأنّ الشاعر يخوض غمار انفعالاته في حالة طارئة ، لا يشغل باله فيها بالاهتمام بزخرف
قصيدته ، وتلوين أبياته بضروب البيان ، والتفنن المفرط ، فليس غرضه سوى التعبير عن
حالته وما ينتابه من شعور ، بين خوف من عقاب الله ، ورجاء وأمل في رحمته وعفوه
ومغفرته ، فهذا شغله الشاغل في لحظة البوح عن خلجاته هذه .

ظاهرة التكرار في شعر التوبة و الاستغفار

أهمية التكرار

التكرار من الظواهر التي نلمحها بجلاء في شعر التوبة والاستغفار، وهو من الأساليب البلاغية الرفيعة المستوى التي ترقى بالكلام الى درجة عالية من البلاغة إذا أحسن الأديب أو الشاعر استعماله وجعله جزءاً لا يتجزأ من أجزاء الكلام بحيث يستدعيه المقام و يطلبه وهذه القيمة البلاغية لمحا العلماء القدماء منهم: العلوي صاحب الطراز، يقول: "وليس يخفى موقعه البليغ وعُلُوُّ مكانه الرفيع، وكم من كلام هو عن التحقيق طريد، حتى يخالطه صفو التأكيد، فعند ذاك يصير قلادة في الجيد، وقاعدة للتجويد" ^(١) وقد ورد التكرار كثيراً في القرآن الكريم والحديث الشريف سواء ما كان خاصاً بالمفردات أو المعاني وجاء آية في البلاغة ^(٢) وهدف من وراء ذلك الى تأكيد المعاني في النفوس، وترسيخها في القلوب مما جعل المرء لا يملئه ولا يصد عنه لتعدد أساليبه وتنوعها تبعاً لمقتضى المقام وذلك بحسب حالة السامع أو القارئ وليس بغريب أن يسلك الشعراء هذا الجانب، وهم من أشرب هدى القرآن ونشأ عليه. بل إن الموضوع الذي يدور حديثهم عنه مما تأثروا فيه بالقرآن الكريم وأحاديثه - عليه الصلاة والسلام - .

تعريفه

يقال: " كَرَّرْتُ الحديث وكركرته إذا رَدَدْتَهُ عليه، ومنه التَّكْرَارُ " ^(٣)، وهو عبارة عن " تكرير كلمة فأكثر باللفظ و المعنى لنكتة " ^(٤). وسأتبع في هذا المبحث دراسة هذه الظاهرة من خلال تكرار المعاني، وتكرار المفردات، ثم أعرج على بعض أغراض التكرار في شعر التوبة و الاستغفار.

(١) " الطراز "، أشرف على مراجعته وضبطه وتدقيقه: جماعة من العلماء، (بيروت: دار الكتب العلمية،

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧

(٢) انظر، الكرمانى، محمود بن حمزة: " أسرار التكرار في القرآن "، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط (٢)،

(القاهرة، جدة: دار الاعتصام، دار العلوم، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

(٣) انظر، ابن منظور: " لسان العرب "، ج ٥، ص ١٣٥

(٤) انظر، ابن معصوم، صدر الدين: " أنوار الربيع في أنواع البديع "، حققه و ترجم لشعرائه: شاكر هادي

شكر، ط (١)، (كربلاء: مكتبة العرفان، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، ج ٥، ص ٤٣٥ وابن منظور: " لسان

العرب "، ج ٥، ص ١٣٥، مادة " كرر " .

تكرار المعاني :

من المعلوم أن شعراء التوبة تناولوا هذا الموضوع ، فكل منهم يعبر عن انفعالاته ويعطي خلاصة تجربته ومشاعره الفياضة وتتداعى كلها لتصل إلى هدف أسمى . . وهو التأكيد على المبادرة إلى التوبة وطلب العفو والمغفرة من الخالق -جلّ وعلا- وكأنهم وعاظ يهدفون إلى ترسيخ هذا المعنى في القلوب عن طريق التكرار الذي يهدف بدوره إلى هذا التأكيد . . لذلك لم ير الشعراء حرجاً من ذلك وهم من المسلمين المتعلقين بكتاب الله الكريم المتأثرين بمعانيه وصياغته المعجزة .

ومن المعاني المتكررة في شعر التوبة والاستغفار- وإن اختلف الأسلوب، وطريقة تناول، والتعبير وصياغة الكلام- الحديث عن كثرة الذنوب ، ومخاطبة النفس ودعوتها إلى التوبة ، والحياة الدنيا ، والشيب والشباب ، والموت والفناء ، وتوبة المذنبين ، والدعوة إلى التوبة والاستغفار .

وكل هذه المعاني التي تحدث عنها الشعراء وترددت في أشعارهم استحققت أن تعلق في ذهن السامع ، ويلتزمها في أفعاله .

ونضرب لذلك مثلاً بالحديث عن الذنوب وكثرتها والتي تعد أكثر المعاني تكراراً بصياغات مختلفة ، وأوزان وقوافٍ متنوعة مع اختلاف بيئات الشعراء .

فكل شاعر يلجأ إلى تصويرها ، تصويراً مختلفاً ، عن الشاعر الآخر فهي عظيمة ، وجمة ، وثقيلة ، وهي بحر ذو لجة ، وأوزار وكبائر وهي خطايا لا تحصى ولا تعد . يقول منصور بن المعتمر :

رَبِّ خَلَصْنِي فَقَدْ لَجَجْتُ فِي بَحْرِ الذُّنُوبِ (١)

و يصفها أبو العتاهية ، بالرائحة النتنة ، يقول :

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ . (٢)

و يراها أبو إسحاق الألبيري ثقيلة ، فيقول :

(١) انظر الشاهد ، ص ٥٥ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٥٥ .

و إنَّ تَعْفُو فَعْفُوكَ قَدْ أَرَانِي لَأَفْعَالِي وَ أَوْزَارِي الثَّقَالِ ^(١)

أما سليمان الموحدي ، فإراها ثقيلة ، قد غرق في بحرها :

قَصْدُكَ لَمَّا أَثْقَلَ الذَّنْبُ كَاهِلِي فَلَا تُرْجِعْنِي مَخْفَرِ السَّعْيِ خَايَا
أَجْرِي أَوْزَارَا غَرَقْتُ بِبَحْرِهَا وَ خُذْ بِيَدِي إِنِّي أَتَيْتُكَ تَايَا ^(٢)

فهذا التنوع من اختيار الأساليب والألفاظ الذي سلكه بعض الشعراء حتى لا تمل النفس البشرية إذ أنها ميالة بفطرتها إلى النفور وكره التكرار والرغبة في التجديد وهي تنفر أيضا من الوعظ والتذكير، والنصح، وهذا الأمر فطن له الشعراء وتجنبوه حتى لا يقعوا في مغبة ذلك.

و الغالب على الأمثلة التي تقدمت من شعر التوبة والاستغفار المباشرة ، و الطريقة التعليمية في الشعر والوعظ .

تكرار المفردات :

وهو النوع الثاني الذي برز في شعر التوبة والاستغفار بوضوح ، إذ نجد اللفظة الواحدة تتكرر مرتين وثلاث مرات منوعاً في ترتيبها ووضعها في البيت أو منوعاً في اشتقاقها . وقد عدّ بعض العلماء هذا النوع من التكرار للألفاظ من العي . إلا أنه ورد في حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فقد قال : {الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم} ^(٣) . وهذا النمط من التركيب الذي لا يسلم من الوقوع في خطره الكثير ، ينبغي أن يتصرف فيه الشاعر بحذر وحذق وقدرة فنية يثبت فيها براعته وصدق موهبته ؛ لأنه ، أسلوب حذر يعتمد على براعة الشاعر . وتكرار بعض أجزاء الكلام الذي ورد لا تشعر فيه النفس بالملل أو الرتابة ، ولا تصد عنه الآذان ؛ لأنه اعتمد على أسرار وفوائد وأغراض بلاغية متنوعة

(١) انظر الشاهد ، ص ٦٤ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٧٨ .

(٣) انظر العلوي : " الطراز " ، ج ٢ ، ص ١٨١ ، و ابن معصوم : " أنوار الربيع " ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، وانظر ، " ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن " حققها وعلق عليها : د. محمد خلف الله ، د. محمد زغللول سلام ، ط (٤) ، (القاهرة: دار المعارف ، د. ت) ، و الخطابي " بيان إعجاز القرآن " ص ٥٢ - ٥٣ .

جعلت كل مكرّر جديد أو مناسب لموضعه الذي وضع فيه ، يقول ابن رشيق : "

و للتكرار مواضع يحسن فيها

و مواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ " (١)

أولاً - تكرار المفردات بالاشتقاق نفسه :

و تعود أهمية تكرار اللفظة نفسها إلى الاهتمام بمعناها ، و التأكيد عليه في ذهن المتلقي ، و ترك أثرها عليه ، و اختلف النقاد في تحديد المواطن التي يستحسن فيها ، يقول عبد القاهر : " و إنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد حتى تراها مكرّرة في مواضع ، و لها في كل واحد من تلك المواضع شأن منفرد ، و شرف متفرد و فضيلة مرموقة " (٢) ، و من تحسين الكلام تناسب بعض صفاتها " مثل أن تكون إحداها مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات " (٣)

وقد تعددت أمثله وتنوعت مفرداته نذكر منها على سبيل المثال: قول ابن الرومي :

وَيْحَ عَيْنِي سَاءَ مَا نَظَرْتُ وَيْحَ قَلْبِي سَاءَ مَا اعْتَقَدْتُ (٤)

كرر الشاعر لفظة " ويح " ، " ساء " ، على سبيل التهديد و الوعيد لزجر النفس عن ما كانت تقوم به و حثها على تبديل هذا الطريق .

ومن الشعراء أيضاً الإمام الشافعي ، يقول:

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي جَعَلْتُ الرَّجَا مَنِّي لَعْفُوكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنبِي فَلَمَّا قَرِنَتْهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا (٥)

فلاحظ تكراره لكلمة " عفوك " ثلاث مرات تعظيماً لقدرة الله تعالى وبياناً لسعة رحمته وعفوه ، و استخدام الشاعر الضمير في " قلبي ، مذاهبي ، رجائي ، تعاطمني ، ذنبي ، ربي "

(١) " العمدة " ، ج ٢ ، ص ٧٣

(٢) " أسرار البلاغة " ، ص ٤١

(٣) القرطاجي ، " منهاج البلغاء و سراج الأدباء " ، ص ٢٢٣

(٤) انظر الشاهد ، ص ٣٧ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٣٣ .

تزيد من جمال وروعة الأسلوب ، فالشاعر يعبر بهذا الأسلوب عما يختلج في كوامن نفسه مستنبطاً حديثها الداخلي وأملها في عفو الله .

ثانيا - تكرار المفردات مع التنويع في اشتقاقها و موضعها من سياق البيت :

و نثّل له بقول هُدْبة بن الحشرم :

لَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرَكَ إِنْ تُدِنَ قَرَبٌ وَإِنْ تَغْفِرَ فَأَنْتَ غَفُورٌ ^(١)

فكرّر لفظة " تغفر، غفور " ، لكنه جعلها في عجز البيت ، و جعل الضمير " أنت " مسبوقةا بالفاء بينهما وهي الدالة على التعقيب ، و السبب فوجود الغفران مقرون بسبب اتصاف الله - سبحانه و تعالى - بأنه غفور ، وجاء الضمير المنفصل " أنت " بعدها لتوكيد الصفة و تأكيدها فالمقام ، مقام توكيد كما هو في صدر البيت حين استخدم أداة التوكيد " أن " في قوله : " أن الأمر أمرك " ، وكرّر اللفظة للغاية نفسها .

و يقول أبو تمام :

أَلَيْسَ اللَّيَالِي غَاصِبَاتِي بِمُهْجَتِي كَمَا غَصَبَتْ قَبْلِي الْقُرُونُ الْخَوَالِيَا ^(٢)

فتكرّره لللفظة " غاصباتي ، غصبت " مع التنويع في الاشتقاق ، و موقعها في البيت أيضا ، فالأولى جاءت في صدر البيت ، والثانية أتت في عجزه ، وسبقت الأولى بلفظتين هما : " أليس ، الليالي " ، لكن الثانية أتت مسبقة فقط بأداة التشبيه " الكاف " المتصلة بما الكافة ، أيضا نجد الاختلاف في صيغة كلتا اللفظتين ، فالأولى " غاصباتي " على وزن " فاعلات " فما تزال الليالي تقوم بغصبه ، و الثانية " غصب " فعل ماضي ثلاثي مجرد على وزن " فَعَلَ " ، فاستخدامه لاسم الفاعل " غصب " في مقام الحديث عن ذاته واستمرار هذا الفعل من الليالي باقٍ بمدة بقائه و حياته ، أما في مقام حديثه عن القرون الخوالي التي بادت استخدم صيغة الماضي " غصبت " ؛ لأنه مما يناسب المقام .

(١) انظر الشاهد ، ص ١٨ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٤٥ .

و منه قول محمد بن زهر :

رَجُونَاكَ لَا تَرْجُو سِوَاكَ وَ حَسْبُنَا رَجَاءٌ وَ اخْلَاصًا نَفَرُ بِهِمَا قَسَمًا ^(١)

وهذا نموذج آخر من التكرار ، حيث كرّر لفظة " الرجاء " ثلاث مرات مع اختلاف في الصيغة " رجونا ، نرجو ، رجاء " ، فصدر البيت بالأولى على صيغة الماضي ، و عقب بالثانية بصيغة المضارع في صدر البيت ، ثم صدر عجز البيت بالاسمية منها " رجاء " على صيغة المصدر ، وهذا التنويع في صيغة الكلمة يضيف عليها روحا جديدة من التنويع ، ويذهب الملل و رتابة التكرار ، و يعطي جرسا و موسيقى داخلية للبيت .

لجيء التكرار في الحديث أغراض عديدة تملئها ظروف الأديب و حالته النفسية ، وموضوع الفن الذي يعالجه معبرا عما يجيش في نفسه ، و ما يختلج في كوامن فؤاده ، و مراعاة لحالة السامعين ، وصولا بالمعنى إلى الغرض المقصود ، من تعظيم ، أو توكيد ، أو وعظ ، أو تحذير ، أو توجع و تحسر ، أو توبيخ وتعجب ، أو بيان وتوضيح ، أو تهديد و وعيد ، أو تذكّر لما بعد بسبب طول الكلام ، أو تلذذ وتعليل ، أو تنويه ، أو قسم .. كل ذلك يأتي في عفوية و تلقائية لا قصد فيه أو تعمد ، ولا يُعد عيبا أو نقصا في شاعريته، بل استدعاه الموقف وطلبته الفطرة السليمة ، كلّ بحسب الغرض الذي يناسبه ، وهو ما أشار إليه ابن رشيق " ت ٤٤٠ هـ " ، بقوله : " و للتكرار مواضع يحسن فيها ، و مواضع يقبح فيها ، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دون الألفاظ أقلّ ، فإذا تكرر اللفظ و المعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسما إلاّ على جهة التشوق و الاستعذاب ، إذا كان في تغزل أو نسيب .. أو على سبيل التنويه به ، والإشارة إليه بذكر أو على سبيل التقريع و التوبيخ .. أو على سبيل التعظيم للمحكي عنه .. أو على جهة الوعيد و التهديد إن كان عتابا موجعا .. أو على جهة التوجع إن كان رثاء و تأنيا .. أو على سبيل الاستغاثه وهي في باب المديح .. ويقع التكرار في الهجاء على سبيل الشهرة و شدة التواضع بالمهجو ويقع أيضا على سبيل الازدراء و التهكم ، والتنقيص " ^(٢)

(١) انظر الشاهد ، ص ٦٦ .

(٢) " العمدة " ، ج ٢ ، ص ٧٣ - ٧٦

أغراض التكرار في شعر التوبة و لاستغفار :

من أغراض التكرار التي وردت في الشعر المقصد:

١ - التعظيم ، كما في قول الإمام الشافعي :

تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتَهُ بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا ^(١)
تعظيم لسعة عفو الله - تعالى - عن عباده المذنبين في تكراره للفظ " عفوك " .

٢ - تأكيد القسم ، و جاء في قول بشار بن برد :

و وَاللّٰهُ وَاللّٰهُ مَا جِئْتَهُ لَعَمْدٍ وَمَا كَانَ مِنْ هِمِّي ^(٢)
تكرار لفظ الجلالة في مقام قسم الشاعر على أمر لم يرتكبه عمداً منه، و استخفافاً بجرمات الله.

٣ - التوكيد ، كقول أعشى همدان :

ثَمَّتْ أَضْحَى ضُحًى مِّنْ غِبِّ ثَالِثَةٍ مَقْنَعًا غَيْرَ ذِي رُوحٍ وَلَا رَمَقٍ ^(٣)

٤ - الوعظ و النصيح ، ومنه قول القاسم بن يوسف واعظاً للمذنبين داعياً لهم بتعجيل التوبة وعدم التسويف :

أَيُّهَا الْمَذْنِبُ عَاجِلْ تَوْبَةً لَا تُسَوِّفْ بَعْدَ أَوْ بَعْدَ غَدٍ ^(٤)

٥ - توكيد التحذير ، ومنه قول ابن المعتز :

إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْ سَوْفٍ فَكَمْ خَدَعْتُ وَأَهْلَكْتُ أُمَّمٍ مِنْ قَبْلِنَا وَأُمَّمٍ ^(٥)
كرّر لفظتين وهما : " إياك ، و أُمم " محذراً من مغبة التسويف و مخبراً أنّه سبب هلاك الأُمم .

(١) انظر الشاهد ، ص ٣٣ .

(٢) انظر الشاهد ، ص ٣١ .

(٣) انظر الشاهد ، ص ١٩ .

(٤) انظر الشاهد ، ص ٥٠ .

(٥) انظر الشاهد ، ص ٤٦ .

٦ - التوجع و التحسُّر ، يقول أبو نواس متحسراً على لعبه ولهوه في أيامه و لياليه

الماضية :

و تذكرتُ طاعةَ الله نضوا	ذهبتُ جِدِّي بِحاجةِ نفسي
مِ تَجَاوَزْتَنِّ لَعْباً و هُـوَا ^(١)	لهفَ نفسي على لِيَالٍ و أَيَا

(١) انظر الشاهد ، ص ٥٧ .

التجربة الشعرية

موضوع التوبة والاستغفار من الأشعار التي تنضح بالتجارب الصادقة ، والمعاني الرقيقة السامية ، إذ لم يكن نظم الشعراء لها بدافع اقتصادي أو سياسي ، بل كانت انعكاسا لخواطرهم و مشاعرهم الداخلية ، فهم يرون إسرافهم في الفترة الأولى من حياتهم على أنفسهم بين هو و مجون ، ذنبا عظيما تروعههم آثامه ؛ لثقلها ، فحين يصبح بهم نذير الشيب بالكبر أو يسيطر عليهم الفالج... إلخ يشتد حزنهم و ندمهم على تفريطهم في الأيام السالفة ، وتُجري أعينهم سيلاً من الدموع حزنا و حسرة وندما .

وقد بالغ شعراء التوبة والاستغفار في الشعور بالاثم و الندم على ما مضى من سني عمرهم ، وضربوا صفحا عن تلك الحياة اللاهية ، فهم يرون كثرة الزلل و فاحش القول تؤدي بالمؤمن إلى العقاب من الله - سبحانه وتعالى - ، فالرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - قد حذر من عاقبة اللسان في حديثه لمعاذ بن جبل (ت ١٨ هـ) - رضي الله عنه - ^(١) فقال له : { كُفَّ عَلَيَّكَ هَذَا } ^(٢) - إشارة إلى لسانه - محذرا من آفاته و ما يجره من وبال على صاحبه ، كل ذلك جعل الشاعر المسلم يتصور ما قاله ذنبا يُثقل ظهره ؛ لذا يسارع إلى التوبة و التكفير عنه ليزيل ذنبه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَا يَمْلِكُ الذَّنْبُ عَلَيْهِمْ شَيْئاً سِوَا مَا فَعَلُوا ﴾ ^(٣) ، ^(١) ^(٢) ^(٣)

(١) صحابي جليل ، من السابقين إلى الإسلام ، أسلم يوم العقبة الثانية ، وشارك في جميع الغزوات ، بعثه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن يعلم المسلمين و يفقههم في الدين ، رحل إلى ربّه في خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ولم يجاوز من العمر ثلاثا و ثلاثين سنة .

ترجمته في : ابن سعد : " الطبقات " ، ٣-٢-١٢٠ ، و ابن أبي حاتم : " المرح و التعديل " ، ج ٨ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ، الأصبهاني : " حلية الأولياء " ، ج ١ ، ص ٢٢٨ - ٢٤٤

(٢) " مسند الإمام أحمد ابن حنبل " ، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي ، ط (١) ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) ، ج ٥ ، ص ٢٧٤ ، رقم ٢٢٠٧٧

(٣) سورة آل عمران ، " الآيتان : ١٣٥ - ١٣٦ .

و في هذا الميدان الرَّحْب صوّر لنا الشعر العربي صورة الإنسان المسلم الذي تأبى نفسه الظلم - ظلم النفس - في قرارة نفسه ، والذي لا يَسْلَمُ من التقصير في جنب الله والغفلة عن الآخرة في لحظة من اللحظات ، والاغترار بالدنيا الفانية ، ومع انحطاط العمر سرعان ما يفيق من غفلته و يعود إلى رشده وصوابه تائباً من ذنوبه مُخلّصاً نفسه من أدران الماضي فجاءت أشعارهم مجسدة لصورة هذه النفس الثائرة بما فيها من مشاعر هائجة ، وأحاسيس فياضة .

وأشعار كهذه ذات وقع مؤثر في النفس لا بُدَّ أن تحفل بتجارب شعرية صادقة على الرغم من مجيء أكثرها مقطوعات قصيرة ، فصدق التجربة وقيمتها الفنية ليست مقترنة بطول القصيدة أو قصرها ، فكم رأينا من قصائد تفتقر إلى تجربة صادقة ، فالتجربة الشعرية ما هي إلا صورة حيّة لنفس صاحبها ، بل هي معاشة كاملة لإحساس معين من بدء توهجه إلى أن يخرج عملاً فنيا متكاملًا له القدرة على التأثير فيمن يطلع عليه ، والتفاعل معه ، وإثارة إحساس معين لديه .. فعناصرها تتلاحم فيما بينها حتى لتشكل جسداً واحداً كلّ عنصر منها يقوم مقام العضو من الجسد .

فالمبالغة في الشُّعور بالإثم والخوف من عقاب الله على ما قاله الشاعر في شبابه كانت وراء ظهور هذه الظاهرة .

ويتركز ظهور هذه الظاهرة عند طائفة من الشعراء على عدة عوامل :

إذ كان لانقضاء الفالج على عافيتهم ، و ظهور الشيب على مفارقهم منذراً لهم باقتراب الأجل ، أو اليأس من الحصول على مبتغاه ، أو تقرب إلى المحبوب أو ضيق ذات اليد ، وأحياناً تكون ساعات أو وقفات مع النفس وتفكر في المصير الحتمي لكلّ حيٍّ ونهاية المطاف بالحياة الفانية إثر موت قريب أو صديق ، أو اقتراف ذنب .

تعددت عوامل هذا النوع من الفن ، ومنها :

ظهور الشيب وانقضاء الفالج ، فعندما تسكن نفس الشاعر وتتكسر حدته في كبره يلقي نظرة على نفسه ، فيجد الشيب قد ظهر في ظلمة رأسه فينفث نفثة المكلوم الحزين ، ويترحم على أيام الشباب ، يقول ، النابغة الشيباني :

و يزجرني الإسلام والشيبُ والتقى وفي الشيب والإسلام للمرء زاجرٌ^(١)

و قال غسان خال الغدار (ت ٢١٦ هـ) : (٢)

أبيضُ منِّي الرأسُ بعدَ سوادٍ و دَعَا المشيبُ حَلِيلَتِي لِبَعَادٍ
و استحصدَ القرنَ الذي أنا منهمُ و كَفَى بِذَاكَ علامةً لِحِصَادِي^(٣)

التجربة الشعرية تكاد تتحقق بصدق فني في جميع النصوص على اختلاف جوانب شعرهم و بيئاتهم ، وهذا الشعر أكثر حفاوة بالمشاعر والأحاسيس المفعمة بالعاطفة الصادقة ، حين يتذكر الشاعر ذنوبه الثقيلة ، ويبكيها خوفا من سوء العاقبة ، فتفيض مناجاته دموعا وحزنا وحسرة على ما اقترف من الذنوب ، وما مضى من سني عُمره ممزوجا بالثقة في سعة رحمة الله عليه يحظى بعفوه عنه و مغفرته عما سلف رحمة بعبده الضعيف الذي لا يقوى على تحمل عذابه .

ومن التجارب الحافلة بهذه العاطفة الفياضة ، تجربة الفرزدق ، الذي كان ضحية للصراع القبلي بين قومه - بني دارم - و قوم جرير - بني عطية الخطفي - و هم جميعا من تميم ؛ لأنّ الدِّفاع عن قومه واجب يمليه عليه الانتماء إلى هذه القبيلة ، لكنه حاول مرارا ترك حلبة الصراع و الانفلات من أخطبوط هذا الصراع ، إلّا أنّ إلحاح قومه كان يعود به مرة أخرى و يثنيه عما يبتغيه ، فقد تردد عدة مرات في التوبة منذ أن كان في الثلاثين من العمر ، حتى أعلنها في آخر حياته .

وذلك عندما قيد نفسه وعزم أن لا يفك قيده حتى يحفظ القرآن الكريم ، إلّا أنه حلّ هذا القيد حين دعتة نساء القبيلة للدفاع عنهن والتصدي لجرير ، ففي ديوان الفرزدق رواية تقول : " بلغ نساء بني محاشع فحش جرير بمنّ فأتين الفرزدق مقيدا ، فقلن : قبح الله قيدك ، فقد هتك جرير عورات نسائك فلحيت شاعر قوم ! فاحفظه ، ففض قيده ، وقد

(١) انظر الشاهد : ص ٢١ .

(٢) هو غسان بن عباد بن أبي الفرج ، و آل من رجال المأمون العباسي وهو ابن عم الفضل بن سهل ، ولي السند في عهد المأمون و أقام فيها ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الإمارة ، و عاد إلى بغداد سنة (٢١٦ هـ) .
يرجمته في : الطبري : " التاريخ الكبير " حوادث سنة ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠١٣ ، ٢٠٦ .

(٣) الجاحظ : " البيان و التبیین " ، ج ٣ ، ص ١٦٣ .

كان قيد نفسه قبل ذلك وحلف أن لا يطلق قيده حتى يجمع القرآن ^(١).
ويتوق للعودة إلى حياض التوبة مرة أخرى حين تذكر ذنوبه فأفلقتة ، و أقضت عليه
مضجعة ، ففرّ إلى ربّه هاربا من ذنوبه إلى المسجد يبكيها علّه يجد راحة نفسه ، ويحطّ ثقل
ذنوبه عن ظهره .
ثم رجع مرة أخرى إلى ربة الدين في جنازة " النوار " ، وكانت التوبة النصوح ، التي
أعلنها و قضى ما تبقى من عمره عليها .

(١) " ديوان الفرزدق " ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ، و انظر شعره ضمن فئات الشعراء المترددين في العصر الأموي ص ٢٥
وما بعدها .

عبيد بن أيوب العنبري

يبدو من سيرة هذا الشاعر أنه كان ينعم بحياة هادئة هانئة بين أفراد قبيلته - بني تميم - وفيها لها ، ثم تحولت هذه الحياة الهادئة إلى عيشة متشردة و تحول في مجاهل الأرض متخذا من السباع و الحيوانات البرية أصدقاء و أصفياء يأنس بينهم ؛ بسبب جناية ارتكبتها ربما كانت قتلا غير متعمد أو سرقة ، فأباح السلطان دمه ، يقول ابن قتيبة : " و كان جنى جناية فطلبه السلطان ، وأباح دمه ، فهرب في مجاهل الأرض و أبعد لشدة الخوف ، و كان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، و يبايت الذئاب و الأفاعي " (١) ، يقول عبيد يصف حياته المتشردة مع الوحوش :

و حَالَفْتُ الْوَحُوشَ وَ حَالَفْتَنِي بِقُرْبِ عُهودِهِنَّ وَ بِالْبَعَادِ. (٢)

و يقول أيضا :

أَرَانِي وَذِئْبَ الْقَفْرِ خَدَيْنِ بَعْدَمَا	تَدَانِي كَلَانَا يَشْمَتُ وَيُدْعُرُ
فَلِلَّهِ دَرُّ الْغُولِ أَيَّ رَفِيقَةٍ	لِصَاحِبِ قَفْرِ خَائِفٍ يَتَسْتَرُ
أَنْسَتْ بِهَا لَمَّا بَدَتْ وَ أَلْفَتْهَا	و حَتَّى دَنْتُ ، وَ اللَّهُ بِالْغَيْبِ أَبْصُرُ
أَلَمْ تَرْنِي حَالَفْتُ صَفْرَاءَ نَبْعَةٍ	تَرْنُ إِذَا مَا رُعْتُهَا وَ تُزْمَجِرُ (٣)

و مثله قوله :

و أَضْحَى صَدِيقَ الذِّئْبِ بَعْدَ عَدَاوَةٍ وَ بُغْضٍ وَرَبَّتُهُ الْقِفَارُ الْبَسَابِسُ (٤)

فألهروب من حكم السلطان جعله لصا ، و كان الدافع وراء حياة اللصوصية التي سلك سبيلها ، هو خوفه من السلطان و من الناس أن يحظوا به فيقتلوه ، فكان من الطبيعي أن يبحث عن طريقة يقتات منها بعدما أصبح مطلوبا لا يأمن أحدا فأصبح لصا منفردا بذاته يبحث عما يسد جوعه ، و يروي ظمأه .. و يفسر ذلك شعره في تصوير خوفه من النار ، يقول :

(١) " الشعر و الشعراء " ، ص ٧٨٤

(٢) د . ملوحي : " أشعار اللصوص " ، ص ١٣٤

(٣) المصدر السابق : ص ١٣٧ - ١٣٨

(٤) المصدر السابق : ص ١٤٣

لَقَدْ خَفْتُ حَتَّى خَلْتُ أَنَّ لَيْسَ نَاطِرٌ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِي فَكَدْتُ أَطِيرُ
وَلَيْسَ فَمٌ إِلَّا بِسِرِّي مُحَدِّثٌ وَلَيْسَ يَدٌ إِلَّا إِلَيَّ تَشِيرُ^(١)
وليه أيضاً :

لَقَدْ خَفْتُ حَتَّى لَوْ تَمَرُّ حَمَامَةٌ لَقُلْتُ : عَدُوٌّ أَوْ طَلِيعَةٌ مَعْشَرٍ
وَخَفْتُ خَلِيلِي الصَّفَاءِ وَرَابِنِي وَقِيلَ : فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ فَاحْذَرِ
فَأَصْبَحْتُ كَالْوَحْشِيِّ يَتَّبَعُ مَا خَلَا وَيَتْرَكُ مَا نَوَسَ الْبِلَادِ الْمُدْعَرِ
إِذَا قِيلَ : خَيْرٌ قُلْتُ هَذَا خَدِيعَةٌ وَإِنْ قِيلَ : شَرٌّ قُلْتُ : حَقٌّ فَشَمَّرُ^(٢)

ويظل الشاعر يطالب بالتحقق من الأمر فيعاقب على ذنبه إن كان مذنباً ، وإما أن يُعفى عنه ، فيذوق طعم الأمن بعدما يئس من بلوغه في مجاهر الأرض ، يقول :

أَذْقِنِي طَعْمَ الْأَمْنِ أَوْ سَلْ حَقِيقَةً عَلَيَّ ، فَإِنْ قَامَتْ فَفَصِّلْ بَنَانِيَا^(٣)

ويبدو أن الجناية كانت سرقة ؛ لأن حد السارق قطع يده من مفصل الكف إذا ثبت ذلك عليه ، أما عبيد فلم يكن لصاً سارقاً ؛ ولذلك يطالب السلطان و يخيره في أمره بين أن يتركه آمناً بين قومه ، أو يسأل و يتحقق فيما نسب إليه فيعاقبه إن كان مذنباً بما يستحقه الشعور بالخوف يسيطر على نفس الشاعر ، إلا أنه في بادئ الأمر كان خوفاً من الناس ، ثم تحول ذلك مع تعاقب الأيام ومرور الدهر ، ويأس من بلوغ حياة آمنة مطمئنة أو نجاة إلى خوف من عذاب الله ، حين أدرك أن مصيره إلى الموت إما مقتولاً على يد أحد من بني البشر ، وإما بفتك وحش المنية به ؛ لذا توجه إلى ربه تائباً مقراً بذنبه راجياً لعفوه عنه ، يقول :

أَنَا الْعُلَامُ عَتِيقُ اللَّهِ مُبْتَهَلٌ بِتَوْبَةٍ بَعْدَ إِحْلَاءٍ وَإِمْرَارٍ
خَلَّيْتُ بَابَاتِ جَهْلٍ كُنْتُ أَتْبَعُهَا كَمَا يُودَّعُ سَفَرٌ عَرِصَةَ الدَّارِ^(٤)

و يقول ، مستسلماً لمشئته الله - سبحانه وتعالى - مقراً بجثمية الموت :

(١) د . ملوحي : " أشعار اللصوص " ، ص ١٣٦

(٢) المصدر السابق : ص ١٤٢

(٣) المصدر السابق : ص ١٦٤

(٤) المصدر السابق : ص ١٤١

إِنَّ يَقْتُلُونِي فَأَجَالَ الْكَمَاءَ - كما
وَأَنْ نَجُوتُ لَوْ قَتِ غَيْرَهُ فَعَسَى
خُبِرْتُ - قَتْلٌ ، وما بالقتل من عَارِ
وَكُلُّ نَفْسٍ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارٍ (١)
فإيمان عبيد بالله وثقته في عفوه هو ما يسيطر عليه في أيامه الأخيرة ، وهو إيمان قوي يربط
على قلبه رغم حلف الأعداء فلن يتأثر بما يقولون .

(١) انظر : أبياته في مبحث شعر التوبة والاستغفار في العصر الأموي ، ص ٢٢ و ما بعدها .

أبو نواس "ت ١٩٩ هـ" :

تجربة أبي نواس من أصدق التجارب ، وأحفلها بروح الصدق بعدما ودّع حياة اللهو والمجون التي كان فيها ضحية لنشأته وظروف بيئته ، إذ كان مجونه هروبا من واقعه المؤلم وحياته القاسية في صغره ، فنشأته الوضيعة دون أب يرعاه و في كنف أمٍ مستهترة تؤوي إليها عصابة من أصحاب المتع والمجون ، ظلت وطأة يعاني منها و يشقى بها تبلورت من خلال شعره الماجن واستهتاره بالدين في بداية حياته ، يقول :

غَدَوْتُ عَلَى اللَّذَّاتِ مُنْتَهَكَ السِّرِّ وَ أَفْضَتْ بَنَاتُ السَّرِّ مَنِّي إِلَى الْجَهْرِ
وَهَانَ عَلَيَّ النَّاسُ فِيمَا أُرِيدُهُ بِمَا جِئْتُ فَاسْتَغْنَيْتُ عَنْ طَلَبِ الْعَذْرِ
رَأَيْتُ اللَّيَالِي مُرْصِدَاتٍ لِمُدَّتِي فَبَادَرْتُ لَذَائِي مُبَادِرَةَ الدَّهْرِ
رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِكَأْسٍ وَ شَادَنِ تَحْيَّرَ فِي تَفْصِيلِهِ فِطْنُ الْفِكْرِ^(١)

لكنه يظل إنسانا مسلما - على فطرته التي خلقه الله عليها- ليس معصوما من الخطأ ، فقد روي أنه كان يستغفر الله و يحسن الصلاة حين يفيق من سكره ، ويعلم بأثر الخمر السيئ في العقول ، يقول :

أَرَى الْخَمْرَ تُرْبِي فِي الْعُقُولِ فَتَنْتَصِي كَوَامِنَ أَخْلَاقٍ تُثِيرُ الدَّوَاهِيَا
تَزِيدُ سَفِيهَ الْقَوْمِ فَضْلَ سَفَاهَةٍ وَ تَتْرُكُ أَخْلَاقَ الْكَرِيمِ كَمَا هِيَ
وَ جَدْتُ أَقْلَ النَّاسِ عَقْلًا إِذَا انْتَشَى أَقْلَهُمْ عَقْلًا إِذَا كَانَ صَاحِيَا^(٢)

كان أبو نواس يثوق إلى ترك هذه الحياة اللاهية ، لكنه كان في حاجة إلى مَنْ يأخذ بيده يروى عن أبي العتاهية ، قوله : " لقيت أبا نواس في المسجد الجامع فعذلته و قلت له :
أما آن لك أن ترعوي ؟ أما حان لك أن تزدجر ؟ فرفع رأسه إلي و قال :

أَتُرَانِي يَا عَتَاهِي تَارَكَكَ الْمَلَاهِي
أَتُرَانِي مَفْسِدًا بِالتُّسْكِ عِنْدَ الْقَوْمِ جَاهِي ؟^(٣)

(١) "ديوان أبي نواس" ، ص ١٣٩

(٢) المصدر السابق : ص ٢١٣

(٣) ابن خلكان : "وفيات الأعيان" ، ج ٢ ، ص ١٠٢

ويقول :

ألم تَرِنِي أُمِجْتُ اللَّهُوَ نَفْسِي وديني ، واعتكفتُ على المعاصي
كَأَنِّي لَا أَعُودُ إِلَى مَعَادٍ وَلَا أَخْشَى هُنَالِكَ مِنْ قِصَاصٍ^(١)
ثم زهد و تاب من المعاصي بعدما كبر ونخر المرض عظامه ، وجاهد نفسه علّه يحظى بعفو
الله عنه ، فتوبته كانت بدافع الخوف من عقاب الله ، يقول :

رَحِمَ اللَّهُ مُسْلِمًا ذَكَرَ اللَّهُ فَازْدَجَرَ
غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَ مَنْ خَافَ فَاسْتَشْعَرَ الْحَذَرَ^(٢)

و هو على ثقة من سعة رحمة الله وعفوه ، يقول :

تَكْثُرُ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْخَطَايَا فَإِنَّكَ قَاصِدٌ رَبًّا غَفُورًا
سَيَفْضِي ذَاكَ مِنْكَ إِلَى نَعِيمٍ وَتَلْقَى مَا جِدًّا صَمَدًا شُكُورًا^(٣)

وشعره في هذه المرحلة يتدفق منه سلسبيل الصدق ، " بجانب لغته و أسلوبه ، ودقة معانيه
وجودتها يتميز بميزة كبيرة ، وهي صدق تجربته الشعرية " .^(٤)

و أشعاره في هذا الجانب كثيرة تنم عن تجربة صادقة ، ومعاناة نفسية ، وقلق ناتج عن
إحساسه بالخوف و الرجاء ، " وقد قال أبو نواس في هذه الحال أبياتا في الزهد هي من
أجود شعره ، تتسم بالجدّ و الصراحة و بالسلاسة " .^(٥)

شعر أبو نواس في هذا الجانب - بالرغم من قلته - مقارنة بموضوعات اللّهُو في ديوانه
تعتبر أجود و أحفل بروح الصّدق ، و نستشف منه خاطرة الأسف و الحزن الخاشع
و الندم ، من زهديات معاصره أبي العتاهية التي لا نكاد نلمس فيها أثر للانفعالات
و الأحاسيس الصّادقة ، و هذا يرجع إلى ردة الفعل التي كانت السبب وراء زهد كلّ
منهما ، فأبو العتاهية زهد في سن مبكرة مما يعني أنّه قضى جُلّ عُمره و هو زاهد ،

(١) " ديوان أبي نواس " ص ٦٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٦١٢ .

(٣) المصدر السابق " ص ٧٣٠ .

(٤) د . مجت : " التيار الإسلامي " ، ص ٧٨٢ .

(٥) د . فروخ : " العصر العباسي " ، ج ٢ ، ص ١٦٤ .

انظر شعره في جانب الرجاء ، و الندم ، و النفس الإنسانية .

سريعة في حياته ، بينما لم يعتنق أبو نواس الزهد فجأة بين عشية وضحاها ، بل صاحب تلك الأزمات الروحية التي تعرض لها ، أن دبّ السقم في جسده ، و بدت عليه علامات الكبر و شعر بديب الموت ينخر عظامه فرغب في التوبة و إسدال الستار على أيامه الخوالي ، و عُمره الذي قضاه في اللهو و العصيان .

و شعره في هذه المرحلة ، موجه إلى نفسه قبل أن يوجهه إلى الآخرين ، بعكس أبي العتاهية ، و هذا ما جعل شعره في هذا الجانب يفوح منه عبير العاطفة الصادقة ، و يسمو به ليترك باب كلّ قلب مقفل ، فيثير الوجدان ، و تلمس انفعالاته إحساس كلّ تائب نادم عبّر عن خلجاته المتألّمة و قلبه الشجي ؛ ليعكس شعوره على المتلقي ، قارئاً كان أو مستمعا .

هذا التفاعل مع شعره هو ما يؤكّد صدق التجربة الشعرية عند أبي نواس .

ابن عبد ربه " ت ٣٢٨ هـ " :

من أشهر الشعراء في هذا الجانب ، فمع كثرة ما نظم من شعر على اختلاف أغراضه ، نجده قد خضع لشخصيته التي تنطوي تحتها روح إسلامية تتغلغل في أعماقه ، وهذه الروح كانت سببا في إبعاد أشعاره من المطاعن الخلقية ، وهذبت بها من الشوائب ، إذ كانت حياته على شيء من الالتزام و الوقوف عند حدود الشريعة الإسلامية ، فقد كان متصاونا متدينا آخذا بحظه من المتع المباحة .

على أنه قد يستشف من ندمه عندما كبر أنه كان مقبلا على اللذات ، " فتوبته كانت توبة الفقيه المتحرج لا توبة اللاهي العابث " ^(١) ، فقد أدركه الخوف من صفائر الذنوب عند كبر عُمره بعد أن راج شعر المجون و الغزل في مرحلة حياته الأولى ، إذ أقلع عن صبوته ، وارتجع عن غفلته ، و انثنى عن المجون إلى صفاء التوبة ، ونقاء الروح ، منكرا حياة اللهو والعبث ، معترفا بما اقترفه من ذنوب ، و ما ضيعه من عُمر ، مقرا بأولوية الرشد له و أحقيته به ، يقول :

أَلَا يَا وَيْحَ قَلْبِي لِلشَّبَابِ الْغَضُّ إِذْ وَلَّى

جَعَلْتُ الْعَيَّ سِرْبَالِي وَ كَانَ الرُّشْدُ بِي أَوْلَى ^(٢)

و يدعو إلى ترك اللهو و التصابي ، حاثا على الأعمال الصالحة ؛ ليختم الإنسان أعماله بها ، فيقول :

خَلَّ الصَّبَا عَنْكَ وَ اخْتَمَ بِالنُّهَى عَمَلَا فَإِنَّ خَاتَمَةَ الْأَعْمَالِ تَكْفِيرٌ ^(٣)

و يُقَرُّ بذنوبه راجيا رحمة ربّه ، خائفا أن يحاسبه على عصيانه يوم الحساب ، نادما على تفريطه ، حيث يقول :

يَا وَيْلَنَا مِنْ مَوْقِفٍ مَابِهِ أَخَوْفُ مَنْ أَنْ يَعْدِلَ الْحَاكِمُ

أُبَارِزُ اللَّهَ بِعَصِيَانِهِ وَ لَيْسَ لِي مِنْ دُونِهِ رَاحِمٌ

(١) د . عباس ، إحسان : " تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة " ، ط (٧) ، (بيروت : دار الثقافة ،

١٩٨٥ م) ، ص ١٨٤

(٢) " ديوان ابن عبد ربه " ، ص ١٦٢

(٣) المصدر السابق : ص ٨٨

يَا رَبِّ غَفِّرْ لَكَ عَنْ مُذْنِبٍ أَسْرَفَ إِلَّا أَنَّهُ نَادِمٌ ^(١)

فكيف يعصي الله مسلم عاقل يخافه و يخشاه ، ويحذر يوم الحساب ؟
فالخوف من العقاب و الوعيد يدفع المؤمن إلى البكاء من خشية الله ، و يلجأ إليه بالصلاة
و الدعاء ؛ علّه يحظى بعفوه و غفرانه ، يقول :

مَدَامُ قَدْ حَدَدْتَ فِي الْخُدُودِ وَأَعَيْنَ مَكْحُولَةً بِالْهَجُودِ
و مَعَشَرَ أَوْ عَدَهُمُ رَبُّهُمْ فَبَادِرُوا خَشْيَةَ ذَاكَ الْوَعِيدِ
فَهُمْ عُكُوفٌ فِي مَحَارِبِهِمْ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ عِقَابِ الْمَجِيدِ
قَدْ كَادَ أَنْ يُعْشِبَ مِنْ دَمْعِهِمْ مَا قَابَلَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي السُّجُودِ ^(٢)

و يتجلى صدق التوبة و إخلاص النية لله - تعالى - عند ابن عبد ربّه في تلك القصائد
الجديدة ، و الفريدة من نوعها و التي نظمها في أخريات حياته و سمّاها " الممحّصات "
و أصيب في أخريات حياته بمرض الفالج الذي أقعده في بيته ، و كان خاتمة لتوبته ، إذ كان
حامدا لله شاكرا له على نعمائه ، راجيا لفضله ، يقول :

كَأَنِّي لِمَا بِي عَازِلٌ كَفَانِي طَوَيْتُ زَمَانِي بُرْهَةً وَ طَوَانِي
بَلَيْتٌ وَ أَبْلَتَنِي اللَّيَالِي وَ كَرُّهَا وَ صَرَفَانِ لِلْأَيَّامِ مُعْتَوِرَانِ
وَ مَا لِي لَا أَبْلَى لِسْعِينَ حُجَّةً وَ عَشْرٍ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا سِتَانِ
فَلَا تَسْأَلَانِي عَنْ تَبَارِيحِ عَلَيَّ وَ دُونِكَمَا مِنِّي الَّذِي تَرِيَانِ
وَ إِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ رَاجٍ لِفَضْلِهِ وَلِي مِنْ ضَمَانِ اللَّهِ خَيْرُ ضَمَانٍ ^(٣)

فهذا الشاعر الأندلسي الذي جرفه تيار النعيم و المرتبة في بداية حياته ، ما لبث أن استقام
و تاب و رجع إلى الله حين تقدّم به العمر ، و أقعده المرض ، كان من أبرز شعراء الأندلس
الذين برز عندهم هذا الجانب .

(١) " ديوان ابن عبد ربّه " ، ص ١٨٠

(٢) المصدر السابق : ص ٧٤

(٣) المصدر السابق : ص ١٨٦

الفصل الرابع

ظاهرة المحصّات في المقطّعات " الموشحات "

المبحث الأول : مَقَرّ ليس له نقيض
المبحث الثاني : المَقَرّ ونقيضه
المبحث الثالث : الدراسة الفنية لشعر المقطّعات

الموشح المكفر

تعريفه :

عرّفه ابن سناء الملك " ت ٦٠٨ هـ " بقوله : " والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر ، من الغزل ، والمدح ، والرثاء ، والهجو ، والمجون ، والزهد ، وما كان منها في الزهد يُقال له " المكفر " والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف ، وقوافي أقفاله ، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على أنه مكفره ومستقيل ربه عن شاعره ومستغفره " (١) . و يبدو أن ابن سناء الملك قد اطلع على موشح مكفر سابق و طريقة نظمه - من خلال تعريفه - و لكن الذي وصل إلينا هو موشح ابن سناء الملك نفسه .

غير أن اطلاعي على بعض نماذج لهذا النوع من الموشح دلّ على نظرة محدودة في تعريف ابن سناء الملك ، أو أنّها أشكال وأساليب جديدة أُستحدثت في نظم هذا الموشح لم يكن ابن سناء الملك قد اطلع أو تعرف عليها .
نظم ابن سناء الملك مكفراً له متأثراً بشعر " المحصّات " خاصة وأنّه نظمه على طريقة محصّة ابن عبد ربّه (٢) التي ضمنها بشرط من قصيدة المجون ، وهي طريقة لم أقف عليها عند غيره من أصحاب " المكفر " - الذين سمحت لي الفرصة الاطلاع على مكفّراتهم - ، ونظم ابن سناء الملك مكفّره الثاني على طريقة الوشاحين ، واكتفى باقتباس الخرجة من موشح المجون ولم يضمّنه وهي الطريقة التي نظم عليها من أتى بعده .

ونُظِمَ " المكفر " في ثلاثة موضوعات ، وهي الزهد ، والتصوف ، والمديح النبوي .
غير أنه ربما كشف البحث المتواصل عن أنواع جديدة لم يخالفني التوفيق في الوصول إليها .

(١) " دار الطراز في عمل الموشحات " ، تحقيق : د . جودت الركابي ، ط (٣) ، (دمشق : دار الفكر ،

١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) ، ص ٥١ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٧

أولا - مكفر ليس له نقيض :

مكفرات ابن الصباغ الجذامي " ت ٦٦٥ هـ " (١)

المكفر الأول ، ومطلعه :

نَفْسَكَ إِنِ ارَدْتَ تَنْفَعُ تُبُّ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعُ (٢)

وهو موشح على نمط مختلف وفريد ، حيث كرّر فيه الناظم عجز المطلع في جميع الأقفال ، كما جعله خرجة للمكفر .

وموضوعه الوعظ والحث على الرجوع إلى طريق الصواب والتوبة من الذنوب ، وإصلاح النفس بعد ما دعاه نذير الأجل المحتوم ، حيث يقول :

جُمِعَتْ فِيكَ الْعُيُوبُ

كَثُرَتْ مِنْكَ الذُّنُوبُ

قَدْ دَعَا بِكَ الْمَشِيبُ

وَأَرَاكَ لَيْسَ تَسْمَعُ تُبُّ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعُ (٣)

لكنه على الرغم من ذلك يُصرّ على اللّهُو ولا يسمع قول الواعظ ، فصلاحه بيده إن أراد أن يصلحها أو يتركها على غيّها ؛ لذا استعمل " إن " الشرطية للشرط غير المقطوع

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الصبّاغ الجذامي ، من أهل الأندلس النازحين إلى بلاد المغرب ، كان هادئ الطبع شديد الورع قليل الطمع ، زهد و تصوف في أواخر حياته ، كان صوفيا سالكا سنيا و شيخا مرييا توفي بعد ما طعن في السن ، له ديوان ضم إلى جانب الموشحات عددا جما من القصائد و الخمسات في المدّح النبوية ، و الزهد و التصوف ، المدح . ترجمته في : المقرئ : " أزهار الرياض " ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ وما بعدها ، و مقدمة " ديوانه " ، تحقيق : نور الهدى الشريف الكتاني ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي ، (المملكة المغربية - الرباط - : جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م) ، ج ١ ، ص ١٦ وما بعدها .

(٢) انظر : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، و د . عناني ، محمد زكريا : " ديوان الموشحات الأندلسية - المستدرک - " ، (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٦٠ م) ، ص ١٨٨ .

(٣) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

بوقوعه والذالة على التردد والشك في أمره ، حين قال : " نفسك إن أردت تنفع " .
ولا يزال يُصرّ على اللّهُو ، يرفل في النعماء ، غافلاً عمّ ينتظره وعن حقيقة أمره في الآخرة
طامعاً في دوام عيشه في الدّنيا وطول بقائه ، مستنكراً ما يرى من حاله ، فيقول :

أَنْتَ فِي النَّعْمَاءِ تَرْفُلُ

وَالْمَنَايَا لَيْسَ تَغْفُلُ

بِكَ هَذَا لَيْسَ يَجْمُلُ

فِي دَوَامِ الْعُمُرِ تَطْمَعُ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ (١)

هذه الحياة الدّنيا التي يرجو فيها دوام المقام قد أغرته بزينتها وخدعته ببريقها الأخاذ
ونضارتها الزائفة التي لا تدوم ، فهي كالغيمة التي يظن من يراها أنها مَحْمَلَةٌ بالخير والرزق
لكنها لا تلبث أن تنكشف وتتلاشى بعد وقت قصير كاشفة عن حقيقتها ، حيث يقول :

زُخْرُفُ الدُّنْيَا غُرُورُ

وَعَدَا عَنْهُ الْمَسِيرُ (٢)

لَيْسَ يَنْفَعُ السَّرُورُ

مَنْ غَدَا فِيهَا مَرْفَعُ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ

لَيْسَ لِلدُّنْيَا دَوَامُ

لَا وَلَا فِيهَا مُقَامُ

عَزُّ أَهْلِهَا غَمَامُ (٣)

عَنْ قَرِيبٍ يَتَشَعُّعُ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ

فالملاحظ تكرار أسلوب النفي في ثلاثة أدوار متتابعة ، فنفي الانتفاع في الآخرة عن
المسرورين في حياتهم الفرحين بلهوهم وغيهم إذ إنّ الله — تعالى — لا يحب الفرحين

(١) هكذا وردت في ديوان " ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ، وفي " المستدرک " : " يا هذا ليس يجمّل " ،
ص ١٨٨ .

(٢) هكذا وردت في ديوان " ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، وفي " المستدرک " : " وعداً عند المسير " ،
ص ١٨٨ . ولعلها : " ليس ينفعك السرور " .

(٣) هكذا وردت في ديوان " ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، وفي " المستدرک " : " غرّ " ،
ص ١٨٨ . ولعلها : " أهلها " .

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(١)

وبما أن الحياة قصيرة أخذ الوشاح يحث على تقلص الإحسان فيها لينتفع به الإنسان في دار البقاء ، والتتره عن غرورها والقناعة باليسير من متاعها ، وهي دعوة منه للزهد في الدنيا والندم على التفريط فيها بسكب الدمع الممول ، واتخاذ سبيل النجاة من عذاب الآخرة بالعمل لها وتسليم الأمر لله وحده والاتكال عليه ، وابتغاء فضله ، فيقول :

قَدِّمِ الْإِحْسَانَ فِيهَا
وَلِتَكُنْ عَنْهَا نَزِيرُهَا
فِي غَدٍ تَكُنْ وَجِيْهَا
بِالْيَسِيرِ مِنْهَا فَاقْنَعْ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ
يَا غَفُولًا يَا جَهُولًا
لِلنَّجَا اتَّخِذْ سَبِيلًا
وَاسْكِبِ الدَّمَعَ الْمُمُولًا
فَهَمُّوْلُ الدَّمَعِ يَنْفَعْ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ
سَلِّمِ الْأَمْرَ إِلَيْهِ
وَاجْعَلِ التُّكْلَا عَلَيْهِ
وَابْتَغِ الْفَضْلَ لَدَيْهِ
وَالِيهِ الْأَمْرَ فَارْفَعْ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ^(٢)

كما يدعوهُ إلى التوسل بالرسول - صلى الله عليه و سلم - حين ينوي أن يسأل الله - تعالى - فهو خير من يؤمل ، حيث يقول :

(١) سورة القصص ، آية : (٧٦) .

(٢) " دوان ابن اصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، و " المستدرك " ، ص ١٨٩ .

بِمُحَمَّدٍ تَوَسَّلْ

فِي الَّذِي نَوَيْتَ تَسْأَلُ

فَهُوَ خَيْرٌ مَنْ يُؤَمَّلُ

وهو في الذُّنُوبِ يَنْفَعُ تُبَّ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجَعْ (١)

والتوسل بمحمد - صلى الله عليه و سلم - مما لا يجوز وهو شرك بالله لحديثه - صلى الله عليه و سلم - حين أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢) فقال : { يا معشر قريش ! اشترُوا أنفسكم ؛ .. لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب ! .. لا أغني عنك من الله شيئاً . يا صفية عمة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد ! سليلي من مالي ما شئت ؛ لا أغني عنك من الله شيئاً } (٣)

فالني - عليه الصلاة و السلام - لا ينفع بشيء دون الله ولا يمنع شيئاً مما أَرَادَهُ اللهُ - تعالى - .

و علق فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين على ذلك بقوله : " فهؤلاء الذين يتعلقون بالرسول - عليه الصلاة و السلام - و يلوذون به و يستجرون به الموجودون في هذا الزمن و قبله غرهم الشيطان و اجتاهم عن الطريق ؛ لأنهم تعلقوا بما ليس بمتعلق ؛ إذ الذي ينفع بالنسبة للرسول - صلى الله عليه و سلم - هو الإيمان به و أتباعه ، أما دعاؤه و التعلق به و رجأؤه فيما يُؤَمَّلُ ، و خشيته فيما يخاف منه ؛ فهذا شرك بالله ... " (٤)

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، و " المستدرک " ، ص ١٨٩ .

(٢) سورة الشعراء ، آية : (٢١٤) .

(٣) العقلائي : " فتح الباري " ، كتاب التفسير ، ﴿ و أنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ، و الإمام النووي : " صحيح مسلم " ، تحقيق : د. محمد فؤاد عبد الباقي ، ط (١) ،

(بيروت : دار الكتب العربية ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) ، كتاب الإيمان ، باب قوله تعالى :

﴿ و أنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

(٤) انظر : " القول المفيد على كتاب التوحيد " ، ط (٣) ، (الدمام : دار ابن الجوزي ،

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م) ، ج ١ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .

وربما أراد ابن الصباغ أن يشير إلى الثناء على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
والصلاة عليه بعد الثناء على الله - تعالى - ، فهو من آداب الدعاء .

تكرار جزء بعينه في المكفر (تب إلى مولاك وارجع) تأكيد على أهمية الإنابة والتوبة إلى
الله - تعالى - والرجوع إلى الطريق المستقيم .

كما استعان الوشاح في وصف زيف الحياة الدنيا وغرورها وزخرفها ، وما فيها من بريق
أخاذ ، بما جاء في صفتها في القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا
مَتَاعٌ عُثْرُورٌ ﴾^(١) ، وفيها تحذير خفي للإنسان من الركون إليها والانخداع بمظهرها البراق
، والترفع عن قذاها ، وهي وسيلة لزجره عن التمسك بها وتمني طول الدوام فيها ،
وخاطبه بهذا ؛ ليوطئ نفسه على احتمال ما سيلقى فيها من الأذى والشدائد والصبر عليها
وهو قوله : " زخرف الدنيا غرور " .

والصورة الثانية : هي صورة الإنسان اللاهي بمتع الحياة ، الغافل عن حقيقتها الجاهل بما
ينتظره في الآخرة من الأمور العظام ، وقد ناداه ب " يا " مع قرب مبالغة منه في ذم ما
هو عليه من اللهو والانشغال بالدنيا ، واحتقاراً لحاله لبعده عن استماع النصيح واتباع
الحق ، وتوبيخه حيث قال " يا غفولاً يا جهولاً " ، وكرر أداة النداء مبالغة في وصفه
بالبعد ، وزم ما هو عليه من اللهو .

كما نوع ابن الصباغ في أسلوب المكفر فتارة يكون محذراً وموبخاً لائماً ؛ ليوظ
القلوب النائمة ، وتارة يكون واعظاً حاثاً على العمل للآخرة والزهد في الدنيا عن طريق
رسم صورتها الزائفة وبيان حقيقتها ؛ ليحبب النفوس ويشد انتباهها حتى تصغي إليه
وتأنس بحديثه فتستجيب لندائه .

أما بالنسبة لموسيقى المكفر ، فيلفت الانتباه أسلوب الترصيع في الأدوار الثلاثة الأولى :
" فيك ، منك ، بك " وهي حروف جر اتصل بها كاف الخطاب .

ونظم ابن الصباغ هذا المكفر على بحر " الرمل " وهو من البحور الصافية التي تقوم على

(١) سورة آل عمران ، آية : (١٨٥) ، وانظر سورة الأنعام ، آية : (٧٠) ، و سورة الأعراف ، آية : (٥١)

تفعيلة واحدة ، وهي " فاعلاتن " ، واتفقت أوزان أفعاله مع أوزان أبياته ، وهو بحر سريع الإيقاع ، وهذه السرعة دلت على انفعال الوشاح المصاحب لحالته القلقة. ولموضوع المكفر الذي يقوم على الوعظ ، والذي يهدف بدوره إلى تقرير الغرض ببساطة ألفاظه ؛ ليرسخ في الأذهان ويسهل حفظه ، صاحبه ذلك التكرار الملحوظ في المكفر .

أما حرف الروي الذي اختاره وهو حرف " العين " (١) فهو من الحروف التي تتسم بالتوسط في الشدة ، منخفض النبرة مناسب لمقام الوعظ الذي سلكه الناظم ؛ نظراً لقيامه على بيان فساد المسلك وتوضيح الطريق بالبراهين والحجج التي يهدف من ورائها إلى الإقناع والتأثير .

وأنت اللفظة الأخيرة من الخرجة " ارجع " في صيغة الأمر التي تدل على الحث على الرجوع إلى الطريق المستقيم بالتوبة والإنابة لتستقيم مع المعنى العمام للمكفر ، وهذا النوع من المكفر فريد من نوعه ، يعد نوعاً جديداً في أسلوب الموشح وطريقته .

المكفر الثاني :

ومطلعه :

يَا نَفْسُ تُوبِي وَأَقْصِرِي وَاسْتَبْصِرِي (٢)

يبدأ المكفر بنداء النفس وتوبيخها على الإدبار ، وحثها على التوبة والامتناع عن المعاصي والكف عنها ، وإيقاظ البصيرة من سبات الغفلة ؛ لترى ما ينتظرها من المصير ؛ لأنها المأمورة بذلك ، فصلاح أمر الإنسان مرهون بصلاح نفسه أولاً ؛ لذا وجه إليها الخطاب بصيغة الأمر المبدوء بالهمزة بعدما أمرها بالتوبة " توبي " وأمرها بالتقصير دون تردد ، ثم أعقبها بصيغة أخرى مماثلة لكنه أضاف إليها " السين والتاء " ليدل على أن الاستبصار مطلوب منها لا حقاً فيما سيحل بمصيرها مستقبلاً ، مستعملاً " قد "

(١) انظر ، سيويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ، وابن جني : " سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، و " المستدرک " ، ص ٢٠٣ .

التحقيقية تأكيداً عليها بأفول الشباب ، وظهور الشيب ، فآن لها الأوان للإياب والعودة إلى حياض التوبة واتخاذها سُبُل الحق والهدى ، ومن ثم الرحيل إلى طيبة " دار الحبيب " ؛ ففيها ينعم العيش ويطيب حيث يقول :

قَدْ بَانَ رِيْعَانُ الشَّبَابِ (١)
وَأَنَ أَيْبَانَ الْإِيَابِ
فَارْحَلْ إِلَى تِلْكَ الْقَبَابِ
فَيَا لَهُ مِنْ مَنَظَرٍ وَمَخْرَبٍ
فِي طَيْبَةِ دَارِ الْحَبِيبِ
الْعَيْشُ لِلْمُضْنِيِّ يَطِيبُ
يَا نَسْمَةَ الرِّيحِ الْجَنُوبِ
لَهَا غَرَامِي فَاذْكُرِي (٢) وَخَبْرِي (٣)

فنار الشوق تضطرم في فؤاده كلما تذكرها ، ويزداد لهفة وحنيناً لزيارتها ، لكن بعده عن ديارها حال دون تحقيق الأماني ، فيقول :

شَوْقِي لِهَاتِيكَ الدِّيَارِ
يُذَكِّي بِأَكْبَادِي أَوَارِ (٣)
لَهْفِي لَقَدْ شَطَّ الْمَزَارِ
مَنْ لِي بِرَبْعِ تَيْبَرٍ مُعْطَرٍ (٤)

ويبحث على زيارة مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — والاستعداد لها والجد في تجهيز الركاب ؛ ليشفى بزيارتها بَرَحُ الصدى الذي ألم به من شدة شوقه ولهفته، حيث يقول :

(١) هكذا وردت في الديوان ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، وفي " المستدرك " : " فمذ بان " ، ص ٢٠٣ .

(٢) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٩٧ ، و " المستدرك " ، ص ٢٠٣ .

(٣) هكذا وردت في الديوان ، وفي " المستدرك " : " أذكى " ، ص ٢٠٣ .

(٤) " ديوان ابن الصباغ " ج ٢ ، ص ١٩٨ ن و " المستدرك " ، ص ٢٠٣ .

حُثِّي لَقَبْرِ أَحْمَدِ
السَّيِّدِ الْمَجَّـدِ
سَيِّرِ الرِّكَابِ وَاجْهَدِي
يَا نَفْسُ لَا تُقْصِرِي وَشَمَّـرِي
زُرِّي يَا خَلِيلِي أَحْمَدَا
تَشَفِّ بِه بَرَحَ الصَّـدَا^(١)

كما بحث على تجاوز مرحلة الشباب وما نظم فيها من غزل وموضوعات اللهو والتصابي بتجاوز الناظمين في هذا الغرض مشيراً على أخذه لخرجة المكفر من خرجة آخر وهو زجل مُد غليس^(٢)، حيث يقول :

وَعَدَّ عَمَّنْ أَنْشَدَا :
اللهُ يَثْبُتُ مَنْ يَفْتَرِي على بَرِي .^(٣)

(١) "ديوان ابن الصباغ"، ج ٢، ص ١٩٧، و "المستدرک"، ص ٢٠٣ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الحجاج، عاش في دولة الموحدين وعُدَّ شيخ الرجالين بعد ابن قرمان، إليه يرجع الفضل في تأليف القصيدة الزجلية، كان مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، ويعد بمثله أبي تمام، كان أديباً معرباً لكلامه واقتصر على الزجل، وله شعر قليل ترجمته في : ابن سعيد "المُعَرَّب في حُلَى المَغْرِب" ط (١)، (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م)، ج ٢، ص ٢١٤، و المقرئ : "نفع الطيب" ج ٣، ص ٣٨٥ رقم ١٧١، و د . الأهواني : عبد العزيز : "الزجل في الأندلس"، (القاهرة : جامعة الدول العربية، ١٩٥٧ م)، ص ١٠٦ - ١١١ .

(٣) انظر : "الديوان"، ج ٢، ص ١٩٨، و "المستدرک"، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

كما وردت الخرجة عند ابن زمرك "ت ٧٩٦هـ" في "ديوانه" جمعه وقَدَّم له وفهرسه : د . أحمد سليم الحمصي، ط (١)، (بيروت : المكتبة العصرية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م)، ص ١٦٨، وفيه "و الصِّرُّ لي خَوَّان .. و النَّوم من عيني بري"، كما وردت عند ابن سهل الإشبيلي، د . غازي، سيد : "ديوان الموشحات الأندلسية"، (الإسكندرية : منشأة المعارف، ١٩٧٩ م)، ج ٢، ص ٥١٤، وعند ابن أبي جمعة "المتوفي في أواخر القرن الثامن الهجري"، المقرئ : "أزهار الرياض"، ج ١، ص ٢٤٩ .
المكفر من بحر الرجز اتفقت أوزان أفضاله مع أوزان أبياته .

مكفر آخر مصلي :

حلّ المشيب وولّى العُمُر^(١)

يستهل المكفر بمقدمة في الشيب مبيناً توجعه وتحسره العميق على فناء شبابه معاً تباً من يحرص على اللهو في الحياة مع إطلالة الشيب ، فماذا ينتظر بعد بزوغ الشيب وكبر سنه حتى يرعوي ويرشد ؟ ، فيقول :

واهاً وواهاً أودى بك الكبرُ

ولّى الشبابُ وجاءَ الشيبُ

ونارُ حرصك ما إنْ تخبُ

عتبتُ لو كان يُجدي العتبُ

ماذا على ما ترى تتنظرُ

وقد تنأها لو كنتَ تعتبرُ^(٢)

ثم يحثه على البكاء في الأسحار حين يخلد العباد إلى النوم ويعم السكون حتى يشعر بلذة المناجاة والتقرب إلى الله - تعالى - بكثرة الذكر ، ويشد الرحال إلى زيارة أرض المدينة المنورة ، التي يفوح شذاها عطرًا ، حيث يقول :

أسكب دُموعك في الأسحارِ

واقطع زمانك بالأذكارِ

ولذبحير الورى المختارِ

واقصد لأرض شذاها عطر

يزكو ثراها بمن له الأثرُ

(١) "ديوان ابن الصباغ" ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، و "المستدرک" ، ص ١٨٣ ، وفيه : "أطل" .

(٢) نفسه .

ويطلب ممن زارها على الأجمال أن يصف حاله وما يختلج في أعماقه من وجل وأشجان
تملاً قلبه ، وأدمع منهمة تحاكي انهمار المطر ، قد براه السقم والسهد والسهير ،
ملتمساً له الأعذار ، فيقول :

بِاللهِ يَا حَادِيَ الْأَجْمَالِ ^(١)
إِنْ جِئْتَهَا زَائِراً صِفْ حَالِي
وَقُلْ فَتَى بَاتَ فِي أَوْجَالِ
بِخَدِهِ أَذْمَعُ تَنَهُمَرُ

وقد حكاها في سحها المطرُ

يَا شَادِيَا فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ
فُنُونُ شَجْوِكَ قَدْ أَفْنَانِي
مَاذَا بِقَلْبِي مِنْ أَشْجَانِ
يَا شَادِيَا وَالْجَوَى يَسْتَعْرِ

نَفْسِي بِرَاهَا السِقَامُ وَالسَّهَرُ ^(٢)

ويبحث من أشجاء بعد ديار الحبيب أن يجتهد لزيارتها ويترك اللهو والتصابي وما فيهما
من غزل وتشبيب ، مشيراً إلى الطبيب ابن زهر الحفيد " ت ٥٩٥ هـ " ، الذي
اقتبس خرجته ، وكفر عنه ما قاله في لهوه وصباه ، حيث قال :

يَا مَنْ شَجَاهُ نَوَى الْأَحْبَابِ
حُتَّ الرِّكَابِ إِلَى الْقَبَابِ

(١) هكذا وردت في " الديوان " ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، وفي " المستدرك " : " لله " ، ص ١٨٣ .

(٢) الخرجة مطلع موشحة لإبي بكر محمد بن زهر " ت ٥٩٥ هـ " :

مد الخليج ورف الشجر

لقد تباهى منظر ومختبر

قال ابن سعيد : بأنها من أحسن موشحاته ، انظر : " المغرب " ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، و د . غازي : " ديوان
الموشحات الأندلسية " ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

وَدَعُ مَقَالَةَ ذِي أَوْصَابٍ

مَدَّ الْخَلِيجُ وَرَفَّ الشَّجَرُ

لَقَدْ تَنَاهَا مَنَظَرٌ وَمُخْتَبِرٌ^(١)

أوزان بحر " البسيط " الذي صب فيه الوشاح أفكاره ومعانيه في الأبيات وبحر " الرجز " في الأقفال وهما بحران يتمتعان بجرس أنحاذ ووقع شديد أسر مكن ابن الصباغ التأثير فيمن يستمع أو يقرأ مُكفّر ليُجعل من ذلك رادعاً لكل غافل شغف قلبه باللهو ، فنهض البحران بموضوع الموشح خير نموذ .
وقد يسيطر على نقمة المكفر حرف " كالأراء " وهو حرف معتدل القوة ، فيه صيغة التكرار ، وكأن ابن الصباغ يعيد ويكرر على الأسماع المعاني الرئيسية في المكفر وهي :

الدعوة إلى الإنابة والرجوع وجعل الشيب خير واعظ للمرء .
ومعاني المكفر تدور حول كبر الإنسان وظهور الشيب عليه ، وحالته المسيطر عليها الندم والحزن والأسى على إضاعة مرحلة الشباب ، والرغبة في التوبة من ضلال الماضي .
والمكفر بعد ذلك يفيض بالمشاعر والأحاسيس الصادقة التي خلعتها عليه الوشاح من عاطفته المشبوبة وجدانه ، وهي عاطفة معتدلة نلمسها طوال المكفر لم تحب جذوتها ؛ لأنها جياشة صادقة ، لا تُصنع فيها ولا تكلف ؛ ولهذا يظهر صداها في نفس المتلقي ، فتجعله يعيش تجربته بكل أبعادها ، وهذا دليل على الصدق في المكفر .
و عاطفة ابن الصباغ على اعتدالها وصدقها وتأججها تعكس سماحة نفسه وكرم خُلُقهِ وهما خلاصة تجربته التي ظهرت على شكل نصائح يوجهها إلى إخوانه .

(١) انظر صفات حرف " الأراء " ، في : سيبويه : " الكتاب " ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ - ٤٣٥ ، و ابن جني :

" سر صناعة الإعراب " ، ج ١ ، ص ١٩١

مكفرا شمس الدين الواسطي " ت ٧٤٤ هـ " (١)

المكفر الأول : ومطلعه :

فَصَبَا الْمَشْتَاقُ

نَشَرَتْ رِيحُ الصَّبَا رُوحَ الصَّبَاحِ

مِنْ جَوَى الْإِشْفَاقِ (٢)

وَبَكَى عَصَرَ الصَّبَا الْمَاضِي وَنَاحَ

يقول : كلما هب نسيم الصباح أعاد إليه ذكرى صباه ولهوه وأشواقه فزاد حزنه وأساه وبكى عليه بصوت مرتفع من شدة ما يجد وما يشعر به ، فجمع بين فعلين ماضيين بينهما تقارب في المعنى وهما :

" بكى وناح " كما جانس بين " ريح وروح " مما أضفى إلى البيت إيقاعاً ونغمة جديدة . ثم تحول إلى وصف جمال الطبيعة في فصل الربيع ، وكيف أعاد إليها الحياة فتفتحت أزهارها وارتفعت على الأغصان وكأنها - عَلم على رأسه نار - وصفت السماء ، وجرت الأنهار الصافية بين الأشجار تزين أطرافها الأزهار قد انعكست عليها ألوان الطبيعة المحيطة بها ، فتحوّلت الطبيعة إلى نسيج من ثوب مذهب مرصع بأنواع الجواهر وألوانها المختلفة ، لكن هذا الثوب الطبيعي من صنع الإله الذي أبدع في خلقه وصنعه فلا يضاهيه ثوب - فتبارك الله أحسن الخالقين - ، فيقول :

هَبَ الْأَزْهَارُ

قَدَحَتْ فِي الْعُودِ نَسَمَاتُ الرَّيِّعِ

جَارِي الْأَنْهَارِ

وَانْثَنَتْ تَرْقُمُ بِالْوَشِيِّ الْبَدِيعِ

حُلُو النَّوَارِ

فَكَسَتْ عَنْ بُرْدِهِ الْبُرْدِ الْخَلِيعِ

صُقْرَةُ الْأَوْرَاقِ

وَبَدَتْ فِي خُضْرَةِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ

صَنَعَةُ الْخَلَاقِ (٣)

كَطَرَاظٍ مُذْهَبٍ فَوْقَ وَشَاحِ

(١) هو محمد بن القاسم بن أبي البدر الواعظ ، له شعر في الزهد والوعظ والتشوق إلى الأحبة والديار يتقطر حزناً وأسى ، كما نظم في الدوبيت والكان كان في الزهد والوعظ أيضاً ، مات بواسط وقد ناهز السبعين من العمر . ترجمته في : العسقلاني : " الدرر الكامنة " ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ، والكنتي ، محمد بن شاكر : " فوات الوفيات " ، حققه محمد محي الدين عبد الحميد ، (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥١ م) ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ - ٥٩١ ،

و النواجي : " عقود اللآل " ، ص ٢٢

(٢) الكنتي ، " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٣

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

وهي صورة الحياة التي وضعها الله — سبحانه وتعالى — في الأرض بكل ما فيها من مغريات ومفاتن وطبيعة خلابة تسحر الأنظار وتأخذ بالألباب ، وبما أن الورد والأزهار من معطيات الطبيعة ترمز إلى الحياة والجمال لكنها قصيرة الأجل ما تلبث بعد ما تُورق وتفتح أن تذبل وتتساقط أوراقها وتموت ، وخاصة حين تكون على ضفاف الأنهار فتفيض وتأتي المياه عليها فتعجل بموتها ، مثلها مثل الإنسان في مراحل عُمره وشبابه ونضارته عُمره قصير ما يلبث أن يكبر ويموت وربما وافاه الأجل وهو في قمة زهرة شبابه في الأربعين في قمة فتوته وقوته ، كما قد يموت الزهر وهو في قمة نضارته حين تأتي عليه عوامل الطبيعة فتكسر أغصانه وتتساقط أوراقه ، وبما أن حياة الإنسان قصيرة فينبغي عليه أن يفيق ويفتح عينه للحقيقة ويصلح من حاله قبل أن يفوته الوقت ويدركه الموت ؛ لأن الحياة فانية وزينتها واهية لا قرار لها ، لا تلبث أن تكشف النقاب عن حقيقتها ويبدو زيفها كبيت العنكبوت الضعيف الرقيق أحقر شيء هدمه ، فالخسران والخسارة لمن أضاع عُمره سهوا وغفلة وانغماسا في شهواته و في متاع الدنيا الزائل ، والسعيد من استغله في العمل للآخرة وإصلاح النفس وحرص على الاستفادة من عُمره بالعمل الصالح ، وما يرفع درجته عند ربه ، وخفف من ثقل ذنوبه ليدرك ما فاتته ، والتحق بركب الصالحين ، فهو كالطير الذي خف ثقل جناحه فأسرع وأدرك السرب الذي سبقه ، حيث قال :

مثلُ الوردِ على الماءِ المعين	مثلُ الإنسانِ
زهرةُ العُمرِ له في الأربعين	وبداَ النقصان
ولقد تُعجلُهُ بعضُ السنين	تكسرُ الأغصان
أقمِ الحدَّ فما المعنى مُزاح	وافتحِ الآفاق
وادخِرْ من فعلِ الصَّلاح	قبلَ أنْ تُغتاق
مثلُ الدُّنيا كبيتِ العنكبوتِ	أمرُهُ موهون
منَ بها أيامُهُ سهواً تفوت	فهو المـحزون
فسعيدٌ منَ عنِ الهمِّ استراح	وابتغى ما راق
وإذا خَفَّ منِ الطيرِ الجناح	أدركَ السَّباق (١)

(١) الكتي: " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

ويحثه على ترك النوم وإيقاظ ليله بالذكر والتدبر والعبادة ليكون قريباً من ربه ويدرك مراده وينعم في الآخرة برؤية وجه الله — سبحانه وتعالى — وهو من الفوز والفلاح ، بخلاف من يقضي أيامه سهواً وغفلة ونوماً بعيداً عن ربه قد خاب وخسر فهو المكروب في الآخرة المحزون على نفسه الذي لا ينعم برؤية وجه ربه ، فيقول :

مَا لِأَهْلِ النَّوْمِ فِي اللَّيْلِ نَصِيبٍ	مَنْ لَقِيَ الْمُحِبُّوبَ
لَا وَلَا تَلْقَى بَعِيداً كَالْقَرِيبِ	يُذْرِكُ الْمَطْلُوبَ
وَكُذّاً مَنْ لَا يَرَى وَجْهَ الْحَبِيبِ	إِنَّهُ مَكْرُوبٌ (١)

عقد مقارنة بين نموذجين مختلفين من الناس ، نموذج للعبد المنيب الخاشع ذي العقل والبصيرة ، قد قضى عمره في ذكر ربه والتزود من العمل الصالح ليلحق بركب عباد الله الصالحين ، ونموذج آخر لعبد غوى وغفل في الحياة لا يدرك قيمة ما يمضي من عمره ، ولا يفكر في مصيره حتى بلغ من الكبر عتياً وشاب رأسه . فهذا الذي يحثه على اليقظة من غفلته وإدراك ما بقي من عمره فيضيئ عقله وبصيرته بهدى الله ، بعد ما انقضى ليل الصبا المظلم بما اقترف من المعاصي والذنوب ، فيقول :

فَدَعَ النَّوْمَ فَصَبَحَ الشَّيْبَ لَاحَ	مُسْفِرَ الْإِشْرَاقِ
وَانْقَضَى لَيْلُ الصَّبَا الدَّاجِي وَرَاحَ	مِثْلَ رَكْبٍ سَاقٍ (٢)

فجانس بين " لاح " بمعنى ظهر و " راح " بمعنى ذهب ومضى وهما فعلان ماضيان يدلان على التمكن والثبوت والزوال المفني ليل الصبا ، كما قيل بين (صبح الشيب وليل الصبا) فالصبح واضح الإشراف مبين لما يقع عليه كما أن الشيب مبين لكبر الإنسان فيكون معه التعقل والرشاد ، يقابله " ليل الصبا " مضيفاً على الليل صفة الظلمة الحالكة والعتمة الشديدة التي تغطي العقل وتجعل الإنسان مسترسلاً في الغواية فمع إسدال الليل ستاره يستيقظ اللهاته المتغافلون ليمضوا ليلهم سهراً ومجونا ، أيضاً كان بينهما تورية لطيفة .

(١) الكتيبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

وبدأ بإثبات الحقائق ومخاطبة العقول بالبراهين والحجج حتى لا يدع أمامه مجالاً للشك والريبة لمن يظن أنه مخلص في الحياة ؛ ليأخذ العظة والعبرة من أحوال الأمم السابقة التي سكنت هذه الأرض من قبلهم وأفناهم الله _ سبحانه وتعالى _ بعد ما عمروا الأرض ، لكنهم سيعودون إلى الحياة يوم يُبعثُ العباد للحساب والجزاء ويعرضون على ربهم ، ويتحقق وعد الله _ تعالى _ فلم يخلقوا لجرد العبث واللّهو ، حيث يقول :

أَيْنَ أَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ أَيَّامِ عَادٍ أَيْنَ أَهْلُ الْأَرْضِ ؟
وَقُرُونٌ مَلَأُوا هَذِي الْبِلَادَ طُولُهَا وَالْعَرْضُ
سَيَعُودُ الْكُلُّ فِي يَوْمِ الْمَعَادِ إِذْ يَقُومُ الْعَرْضُ . (١)

مستفيد من تكرار الاستفهام التعجبي في إبراز ما هم عليه من التعلق بالحياة وهم على ثقة أن مصيرهم إلى الفناء والموت كمن سبقهم من الأمم ، وكان لأسلوب " رد العجز على الصدر " في البيت الأول إيقاعه وفائدته في تقريع النفوس والتأثير عليها وإرهاقها بما بثته في النص من أوصاف ذلك اليوم العظيم _ يوم القيامة _ وأحواله حتى تستقيم الأنفس خوفاً من عقاب الله ، متأثراً بما جاء في القرآن الكريم ، فوصف العباد وقد نُفِخَ فيهم الصُّور يسعون إلى محشرهم شاخصة أبصارهم مرتفعة لا تطرف مما ترى من الهول العظيم ، فكمن من وجوه اسودّت بعد ابيضاض وإشراق في الدنيا قد اسودّت في الآخرة من سوء ما أسلفت من سيئ الأعمال ، و ما يصيب السماء من الاضطراب ، و تتساقط الأفلاك و النجوم ، و تضيق الأرض على البشر مع كبرها وسعتها ، ويفر عنه كلّ نخلٍ وخليط فكلٌّ في شغله الشاغل ، فيرسل دمه خوفاً من رهبة ذلك اليوم ، فأتت الصيغ دالة على الكثرة منها " دَفَاق " صيغة مبالغة والأعين ، و " زائدات ، قد بلغت الأعناق " ، فيقول :

كُلُّهُمْ يَسْعَى إِذَا مَا الصُّورُ صَاحَ شَاخَصَ الْأَحْدَاقَ
فَلَكَمِ مِنْ أَوْجِهِ ثُمَّ صَبَاحَ حَظَّهَا الْإِخْرَاقَ
سَيَمُورُ الْفَلَكَ الْأَعْلَى الْحِيطَ مِنْ عَلا الْأَفْلَاقَ
وَيَضِيقُ الْخَرَقُ مِنْ هَذَا الْبَسِيطِ وَتَرَى الْأَمْلَاقَ

(١) الكتيبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

عِنْدَهَا كُلَّ خَلِيلٍ وَخَلِيطٍ قَلْبُهُ يَنَسَاكَ
وَتَرَى الْأَعْيُنَ يَجْرِي بِالسَّقَاحِ دَمْعُهَا الدَّفَاقُ
زَائِدَاتٍ فَوْقَ أَمْوَاهِ الْبَطَاحِ تَبْلُغُ الْأَعْنَاقُ (١)

ويختتم الموشح بالرجاء واللجوء إلى الله - تعالى - أن يغفر له ذنوبه فهو الغفار .. - صيغة مبالغة - . الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم ، ثم يعرج إلى مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - ومقامه السامي ، فهو المصطفى المختار من بين الخلق أجمعين ، بدر الدجا ، فمن سار على سنته واتبع أوامره واجتنب نواهيه نجا من عذاب النار ، الطاهر النسب ، ذا الندا ، الكثير العطاء ، الطيب الأخلاق ، فيقول :

أَرْتَجِي رَبِّي وَيَكْفِينِي الرَّجَا فهو الغَفَّار
وَالنَّبِيُّ الْمُصْطَفَى بَدْرُ الدُّجَا أَحْمَدُ الْمُخْتَارِ
مَنْ عَلَى سُنَّتِهِ سَارَ نَجَا مِنْ لَهَبِ النَّارِ
مُرْشِدَ الْخَلْقِ إِلَى سُبُلِ النَّجَاحِ طَاهِرَ الْأَعْرَاقِ
ذِي النَّدَا بَحْرُ الْعَطَايَا وَالسَّمَاحِ طَيْبُ الْأَخْلَاقِ (٢)

(١) الكتي: " الفرات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

المكفر الثاني :

ومطلعه :

كُلُّهُمْ يَبْكِي عَلَى إِلْفِ جَفَاةٍ أَوْ حَبِيبٍ مَاتَ
وَأَنَا أَبْكِي عَلَى طِيبِ الْحَيَاةِ وَزَمَانٍ فَاتَ
أَيْنَ عُمْرِي ؟ وَعَلَى عُمْرِي آه خَلَّفَ الْحَسْرَاتُ (١)

يستهلّه بإخباره عن اختلاف أسباب بكاء الناس ، فمنهم من يبكي على جفاء خليله وانقطاعه عنه ، أو حبيب فقدّه بموت ، حزناً وحسرة على غيره ، أما هو فحزنه وبكاؤه على نفسه وعمره الذي مضى ، وطيب حياة الشباب التي فقدّها ، فعمره قد انقضى بانقضاء شبابه ولهذا يتوجع ويتألم لفقدّه وضياعه في اللّهُو والترهات . ويصف سرعة انقضاء شبابه بالطيف الذي يزوره في المنام وسرعان ما يتلاشى حين يفيق من نومه ، أو كطير هبط على الأرض ليلتقط شيئاً ثم فرّ وطار سريعاً .

فهو يرى أن شبابه قد مرّ سريعاً دون أن يقضيه فيما ينفعه ؛ ولهذا كانت نبرة الحزن والأسى والندم تدق طبولها وترن أجراسها في نفسه حين نزل الشيب عليه فهام فكره فيما قدّم من ذنوب وعيوب أحصيت عليه حتى كاد يثثوا على رأسه التراب ويشق جيبه جزعاً حيث يقول :

زَارَ كَالطَّيْفِ وَوَلَّى بِسَلَامٍ حَامِلُ الْأَوْزَارِ
لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَطَيْفٍ فِي الْمَنَامِ أَوْ كَطَيْرٍ طَارَ
كَلَّمَا أَفْكَرُ فِي عُمْرِ الشَّبَابِ وَنُزُولِ الشَّيْبِ
وَفَعَالٍ لِي أَحْصَاهَا الْكِتَابُ كَمْ بِهَا مِنْ عَيْبٍ
كَدْتُ أَنْ أَحْثُو عَلَى رَأْسِي التُّرَابَ وَأَشُقَّ الْجَيْبَ (٢)

في حالة الحزن هذه التي سيطرت عليه كان يبحث عن يعزيه ، ويخفف عنه ما يجد ، ويوحي له بأشجانه وآلامه ، بعد ما مضى وقته حتى أتاه داعي الموت - الشيب - ينذر به بقرب أجله ونهاية المطاف لحياته ، وفراق أحبته ومؤنسي وحدته أيام صباه ، من

(١) الكتي : " الفرات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

كانوا يلهون معه من الأخلاء ، رحلوا عنه وعن الحياة ، فأصبح وحيداً فريسة للشامتين
بعد ما كان غائصاً في بحر الغرام لا يبالي بمن أقام أو رحل ، فيقول :

وَكأني قد جاءني داعي الحِمَامِ	بَلِّغِ الْإِنذَارِ
بَانَ مَنْ كَانُوا لِقَلْبِي مُؤْنِسِينَ	مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
رَحَلُوا فَالْيَوْمَ لِي قَلْبٌ حَزِينِ	دَائِمَ الْوَسْوَاسِ
فَتَرَانِي خَاضِعاً لِلشَّامَتِينَ	مَطْرُقاً بِالرَّاسِ
غَائِصاً فِي بَحْرِ فِكْرٍ وَغَرَامِ	مَوْجُهُ زَخَّارِ
لَا أَبَالِي مَنْ رَحَلَ أَوْ مَنْ أَقَامَ	مَنْ جَوَى الْأَفْكَارِ (١)

ويصف أصدقاءه الذين رحلوا عن الحياة ملبساً إياهم أجمل الحلل من الأوصاف فهم من
يلجأ إليهم ليروح بأسراره ، ويفرق لهم ما في قلبه من شكوى ، كانوا أنصاره الذين يتكئ
عليهم ، فهم كبستان زكا وأثمر قد أتى حصاده وأهجم عين الناظر إليه قد جرى نهره بين
الأشجار والأزهار لا تَقْتَرُ العين من النظر إليه ، ولا تملء النفس ، ما لبث أن عصف به
إعصار الموت فتحول إلى حطام قد جف نهره ، وفقد رونقه ، كما فقد أحبتة ، وفقد
بموثهم كل ما يتمتعون به من الحسن والخلق الكريم ، وفقد بذلك بهجة الحياة والإحساس
بجمالها ، حيث يقول :

أَيْنَ مَنْ كَانُوا لَضِيْمِي مُشْتَكِي	وَلَأَسْرَارِي
أَيْنَ مَنْ كَانُوا لظَهْرِي مُتَّكَا	أَيْنَ أَنْصَارِي
بَيْنَمَا هُمْ مِثْلُ بُسْتَانٍ زَكَا	نَهْرُهُ جَارِي
هَبَّ فِيهِمْ عَاصِفُ الْمَوْتِ الزُّوَامِ	بِهَوَى الْإِعْصَارِ
فَإِذَا النَّبْتُ بِهِ عَصْفُ حُطَامِ	نَهْرُهُ قَدْ غَارِ

فصيغة الاستفهام دلت على الدهشة التي أصابته، وعلى استنكاره وتعجبه من تبدل حاله
بعد ما فقد أصدقاءه .

(١) الكتي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ .

وتستمر صيغة الاستفهام تؤتي ثمارها حين يدعو إلى زيارة مساكنهم بعد ما تحولت إلى أطلال ودمن خالية من السكان ، ويندبهم متسائلاً متعجباً كيف رحلوا وفارقوا ديارهم وأموالهم بعد ما كانوا جميعاً مجتمعين فيها . أصبحت خالية بعد ازدحام ، قد حصدتهم الموت وأفناهم عن بكرة أبيهم - فالنفي عام - فيقول :

واندب الأطلال	جُزْ بأطلال خلت بعد السكن
والعلا والمال	أين سكائك يا هذى الدمن
ليقول الحال	إنها إن لم يكن فيها سكن
في الذي نختار	ههنا كنا جميعاً بانتظام
ما بهّا ديار (١)	أصبحت دارهم بعد الزحام

وهو أسلوب تذكير ووعظ للغافلين الخاطئين ، ومن لاح ضوء الفجر على رؤوسهم ، ليتنبهوا قبل أن يلحقوا بركب الأولين ممن قضوا نحبهم وزُجُّوا في قبورهم ، ويحزنهم على الصبر في الحياة وجهاد النفس الأمارة بالسوء والعمل لآخرتهم حتى يحظوا بعظيم الأجر من الله ، فطريق الجنة حُفٌّ بالمكاره ، فيقول :

أيها الخاطي بليل الخاطئين	لاح ضوء الفجر
انتبه قبل لحاق الأولين	ومضيق الحجر
واضطرب فالله يُجزِي الصَّابرين	بعظيم الأجر .

ويصوغ لهم دلائل الفناء ، بالشيب ، ومرور الأيام والشهور والأعوام التي تُفني سنين عُمره ، ويعقبه الموت ، والحساب ، ثم إلى جنة أو إلى نار ، ولا يبقى إلا وجه الخالق - سبحانه وتعالى - المتفضل عليهم والمتكرم بغفران الذنوب ، يلجأون إليه ؛ ليغفر زلاتهم وذنوبهم ، حيث يقول :

فَيَوْمٍ وَبِشْهَرٍ وَبِعَامٍ	تَقْضِي الأعمار
وجزاء الخلق في يوم القيام	جنة أو نار

(١) الكتي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٧ - ٥٨٨ .

ليس لي غيرُ إلهي ذي الكرم غافرُ الزَّلَّاتِ (١)

ويختتم المكفرُ بالثناء على النبي — صلى الله عليه وسلم — المؤيد من ربِّه بالمعجزات .
مَنْ نوره فاق ضوء البدر ، فنوره دائم الإشراق في الظلمات لا يخبو ولا يغيب ولا
يغشاه غمام فيخفت ، بينما بدر السماء قد يغشاه الغمام حين يسافر من مكان إلى آخر
متنقلا بين مساحة السماء الشاسعة ، مما يجعله يفقد نوره ، ويلقي عليه التحية وعلى آله
الأعيان ، وأصحابه الخلفاء الراشدين وأولاده الزهر الكرام — رضوان الله عليهم أجمعين —
فيقول :

والتَّيِّبِ المصطفى بدرُ الظُّلم	صاحبُ الآيات
أحمدُ الهادي الرسولُ المحتشم	سيدُّ السَّادات
بدرٌ حقٌ يُخجِّلُ البدرَ التَّمام	مُشرقُ الأنوار
الذي كانَ تَغَشَّاهُ الغمام	وهو في الأسفار
سَلَّمَ اللهُ عليه وعلى	آله الأعيان
وعلى صديقِهِ تاجِ العُلا	سابقِ الإيمان
وعلى الفاروقِ مأمونِ المِلا	والرَّضا عثمَان
وعلى فارسِ الجيْشِ المُمام	الفتى الكرار
وعلى أولاده الزُّهرِ الكرام	خيرَ الأخيار (٢)

موشحات شمس الدين الواسطي خالية من ألفاظ الصوفية ، والألفاظ العامية ، حافلة
بالتأثير القرآني الواضح ، والصور الجميلة التي خدمت المعنى وزادته جلاءً ، مع ما يتمتع به
من أسلوب سهل ، ولفظ رشيق واضح خالٍ من الغموض والتعقيد .

(١) الكتيبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٥٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٥٨٨ .

مكفر ابن التردة " ت ٧٥٠ هـ " (١)

مُكَفِّرُ موضوعه الزهد ، والوعظ والتذكير والتحذير من الغفلة ، يستهله بنداء الغافل في هذه الحياة ، ومن قضى عمره في سهو ونوم ، ليستفيق ويدرك غاية وجوده في الحياة ، فلم يُخْلَقْ للعبث واللَّهو ، بل للعبادة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٢)

فيقول ابن الشردة :

يَا أَيُّهَا النَّائِمُ كَمْ هَذَا الرُّقَادِ انْتَبِهْ كَمْ نَوْمٍ
انتبه مِنْ ذَا الْكَرَى يَا ذَا الْجَمَادِ تَلْتَحِقْ بِالْقَوْمِ
وَتَأْهَبُ لِعَدِ يَوْمِ الْمَعَادِ يَالَهُ مِنْ يَوْمٍ (٣)

فالنداء عام إلى كل غافل في الحياة قد شُغِلَ باللهو في حياته في صورة "تورية" ساعدت في جلاء الصورة ووضوح المعنى وهي قوله : "النائم" فهو ليس نائماً حقيقة ، بل غافلاً قد غطى اللهو والسهو على بصيرته فحجب عنه نور الحق فهو كالنائم الذي حجب عنه النوم ما يدور حوله من الأمور و الحقائق ، و وصفه " بالجماد " ؛ لتبذل إحساسه فلم يعد يشعر بغفلته ولا يهتم بسماع المواعظ .

ويدعوه إلى التأهب ليوم القيامة بالاجتهاد في العبادة وتقديم خير الأعمال في الدنيا حتى يحظى بالفوز والفلاح ويجازى بالإحسان في ذلك اليوم الشديد الهول ، وقوله : " ياله من يوم " تعظيماً وقهويلاً له ، فيقول :

وَأَفْعَلِ الْخَيْرَ لِتَحْظِيَ بِالنَّجَاحِ لَا تَكُنْ كَسَلَانٍ

(١) هو علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن وفاء ، الواعظ الواسطي البغدادي المنشأ ، ولد سنة سبع و تسعين و ستمائة ، قدم دمشق مرات عديدة ، ووعظ بالجامع الأموي ، ثم حصل له خلط سوداوي فتغير حاله ، و ساءت حالته ، و التحق بعقلاء المجانين ، و كان ينظم الشعر الجيد في الغزل و الوعظ ، كما نظم الموشح و المواليا. ترجمته في : الكتيبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٨٣ وما بعدها ، و العسقلاني : " الدرر الكامنة " ، ج ٣ ، ص ٨ .

(٢) سورة الذاريات ، آية : (٥٦) .

(٣) الكتيبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

وَاجْتَهِدْ فَالْجِتْهُدْ يَلْقَى الْفَلَاحَ وَيَرَى الْإِحْسَانَ
 قَدْ تَقْضَى الْعُمْرُ دَعِ هُوَ الصَّبَا أَيُّهَا الْغَافِلُ
 لَا تَكُنْ مِمَّنْ إِلَى الْجَهْلِ صَبَاً تَعِسَ الْجَاهِلُ (١)

ويحذر من الدنيا والغرور بما تهبه للإنسان فلا يلبث أن يتلاشى هباءً لا طائل من ورائه ولا يدوم ، فينبغي عليه ألا يحرص عليها ، ويطمئن إليها ، فكم حريص على ملذاتها وشهواتها والمكوث فيها رحل وتركها قد سلبه الموت لذة الحياة فلم يغادرها إلا بكفن بخس ، لم تنفعه أمواله التي جمعها فيها ، وفقير يائس من حياته قد شغل قلبه بالأمانى دون جدوى .

فالموت قدر محتوم على الغني والفقير لا يفرق بينهما ، فكل نفس ستموت وتفنى ، وفي هذا مدعاة للزهد في الدنيا والحرص على الآخرة والعمل لها ، حيث يقول :

كُلْ شَيْءَ قَهْبِ الدُّنْيَا هَبَاً لَيْسَ بِالطَّائِلِ
 كَمْ حَرِيصٍ خَلَّفَ الدُّنْيَا وَرَاحَ لَا بَسَ الْأُكْفَانَ
 وَأَخُو الْفَقْرِ تَوَفِّيْ وَاسْتَرَا حَ قَلْبُهُ التَّعْبَانُ (٢)

(١) الكبي : " الفوات " ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٨٦ .

مُكْفَّر ابن أبي جمعة التلاسي " المتوفى أواخر القرن الثامن الهجري " (١)

مطلعه :

قَلْبِي الْمُبْتَلَى لَهُ أَوَارٌ وَالْجِسْمُ أَوْدَى بِهِ السُّقَامُ
لَمَّا تَوَلَّى الشَّبَابُ عَنِّي وَاسْتَشَعَرَتْ نَفْسِي الْحِمَامُ (٢)

استهل ابن أبي جمعة المكفّر بما يوحى أنّه قاله بعدما شاب وتفتق الشيب على رأسه ، ونخر السقم عظامه ، مما جعله يشعر بوطأة ذلك عليه ، وقرب حتفه ، فشعوره بالحزن والأسى عميق في نفسه فبكى شبابه الذي بان واضمحلاً بدمع غزير ، بعد أن أيقن أنه لا رجوع له ، وشد رحاله إلى حياض التوبة علّه يفوز بما أعدّه الله للتائبين ، حيث يقول :

لَمَّا رَأَيْتُ الشَّبَابَ وَلَّى أَذْرَيْتُ دَمْعِي عَلَى الشَّبَابِ
إِذْ عَهْدُهُ بَانَ وَاضْمَحَلَّ وَلَيْسَ يُرْجَى لَهُ إِيَابُ
فَقُلْتُ : يَا نَفْسُ لَيْسَ إِلَّا أَنْ تَسْأَلِي الْفَوْزَ وَالْمَتَابَ (٣)

يلاحظ في أسلوب " رد العجز على الصدر " في البيت الأول تنوعاً في موسيقى البيت ، فتكرار الألفاظ وفق تقسيمات معينة أضفت على البيت نوعاً من التلاؤم في النغم زاد في وقع الإيقاع وتنظيمه .

كما استعمل عدة ألفاظ دلت على أفول الشباب وذهابه بلاعودة فقال : " بان ثم اضحمل " ، ثم نفى أن يكون له رجعة ، فقال : " ليس يُرجى له إياب " .

واستعمل أسلوب الاستثناء في حث النفس على التوبة في ختام حياته في البيت الثالث . ويرى في الشيب ثوب وقار يثنيه عن ارتكاب الآثام ، مؤكداً " بَانَ " ، فالوقار صفة ملازمة للشيب في نظره ، وبما أن الشيب قد لاح على مفرقه فقد دلّ على قصر عُمره ،

(١) هو الطبيب أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاسي الجرائحي ، كان ممن مدح مدينة تلمسان وسجن في سجن أبي يعقوب بن يوسف . ترجمته في : " ابن خلدون ، أبي بكر محمد : " بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد " ، (الجزائر : مطبعة بيبير الشرفية ، ١٣٢١هـ - ١٩٢٣م) ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، و ج ٢ ، ص ٨٧ - ١٥٤ ، و المقرئ : " نفع الطيب " ، ج ٥ ، ص ٢٤٣ ، و ج ٧ ، ص ١٢٩ ، و " أزهار الرياض " ، ج ١ ، ص ٢٤٧ .

(٢) د . عناني : " المستدرک " ، ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق : ص ٩٨ .

وقرب موته فينبغي له أن يبادر إلى التوبة وترك التآني ، فالحياة كالحلم الذي لا يلبث أن يتلاشي حين يفيق من سباته ، مستعملاً أسلوب القصر (بئتما) للتأكيد على ذلك ، فيقول :

فَإِنَّ شَيْبَ الْفَتَى وَقَارَ تُقْبِحُ مَهْمَا بَدَأَ الْآثَامَ
يَأْنَفْسُ بَادِرِي دَعِ التَّائِي فَإِنَّمَا عَيْشُنَا مَنَامَ

أسلوب التكرار في الموشح يدل على عمق الشعور بالأسى والحزن المسيطر على الوشاح مما أفقده السيطرة على مشاعره فترك لها العنان للبوح بما تشعر به علّها تجد العزاء و الصبر في ذلك ، وتستريح مما يكابدها من شعور بهذا البوح .. وهذا الأسى مصدره فقدان شبابه الغض وعيشه الرغيد ، الذي فقده بزوال شبابه وفقد أهله ، فكيف يتسلى عنه وقد أבי الصبر مطاوعته في هذا الموقف العصيب الذي ألم به ، حيث يقول :

مَنْ لِي بِرَدِّ الصَّبَا وَمَنْ لِي هَيْهَاتَ لَا يَرْجِعُ الصَّبَا
قَدْ كُنْتُ فِيهِ وَكَانَ شَمْلِي يَا صَاحُ غَضًّا وَطِيًّا
فَكَيْفَ لِي عَنْهُ بِالتَّسْلِي وَالصَّبْرُ عَنْ طَاعَتِي أَبِي

فهو يصف مرحلة من حياته قد مضت وانتهت ؛ لذا استعمل " قد " التحقيقية ، والفعل الماضي في البيت الثاني : " قد كنت فيه وكان شملي " كما استعمل صيغة الفعل المضارع حين أراد أن ينكر عودة شبابه إليه الآن بعد ما شاب وكبر " لا يرجع الصَّبَا " ، وفقدان ما يسليه عنه في كبره " فكيف لي عنه بالتسلي " .

فحين أبي الصبر مطاوعته أذرف الدمع الغزير من جفونه المسهدة التي لا تعرف المنام ، فيقول :

لَأَجْلِهِ أَدْمُعِي غَزَارٌ تَنْهَلُ سَكْبًا عَلَى الدَّوَامِ
الْحَالُ هَذَا وَإِنْ جَفَنِي بِالسَّهْدِ لَا يَعْرِفُ النَّامِ

لكنه ما لبث أن أيقن بأن البكاء على الشباب لا يفيد ؛ لأن ذلك مما يجلب اليأس والملل إلى النفس ، فتركن إليه وهو يرفض ذلك ؛ لذا يطالبها بالجد والمسارة إلى الإقلاع عن

البكاء وتحديد العزم بشد الرحال إلى الحج لتكفير الذنوب ففتح له أبواب السعادة والخير حيث يقول :

يَا نَفْسُ لِلْحَجِّ وَاقْلَعِي	دَع عَنْكَ ذِكْرَ الصَّبَا وَبَادِرِي
وَجَدِّدِي السَّيْرَ وَاسْرَعِي	وَاجْتَهِدِي وَادْكُرِي الْمَعَادِرِ
لَكَ بِخَيْرٍ وَاسْمَعِي	لَعَلَّ أَنْ تَسْعِدَ الْمُقَادِرُ
وَرَكِبُهُمْ قَاصِدًا إِمَامَ	أَمَّا تَرَيْنَ الْعَاشِقِينَ سَارُوا
هُبُوا إِلَى كَعْبَةِ الْحَرَامِ	حَادِيَهُمْ دَائِمًا يُغْنِي

ثم ينتقل الوشاح إلى غرض المديح حين رد عزمه عن الحج دربه البعيد ، لعله يبلغ شيئاً من السعادة الدنيوية بنيل عطاء الممدوح ، فيقول :

وَرَاعَهُ دَرْبُهُ الْبَعِيدَ	يَا مَنْ عَلَى الْحَجِّ كَانَ عَازِمٌ
كَفَ الْإِمَامِ الرِّضِيِّ السَّعِيدِ (١)	أَعْدَلَ إِلَى كَعْبَةِ الْمَكَارِمِ

ويشير إلى أنه اقتبس الخرجة من "عبادة" الذي بكى أهله وبعده ديارهم عنه حين هزه الشوق ، وهتف به الحنين ، في حين بكى "ابن أبي جمعة" شبابه وصباه الذي ولّى ، وذنوبه التي اقترفها زمن صباه ، حيث يقول :

لَمَّا بَكَى أَهْلُهُ وَقَالَ :	عُبَادَةُ لَوْ أَتَى إِلَيْنَا
بِلَا قَرَارٍ وَلَا مَنَامٍ	شَطَّتْ بِأَحْبَابِنَا الدِّيَارُ
بِاللَّهِ لَا تُكْثِرِ الْمَلَامَ (٢)	يَا لَائِمِي فِي الْبُكَاءِ دَغْنِي

الملاحظ على هذا المكفر : الازدواجية في نفسية ابن أبي جمعة ، فتارة نراه يرغب في التوبة ، و تارة أخرى يميل إلى التكسب بشعره من خلال المديح ، طمعا في عطاء الممدوح ، و هذا ما يجعلنا نعتقد بعدم الصدق في عاطفة التوبة و الرجوع عنده .

(١) د. عناني : " المستدرک " ، ص ٩٩ .

(٢) المصدر السابق : ص ٩٩ .

المكفر و نقيضه :

مُكْفَر ابن سناء الملك " ت ٦٠٨ هـ "

يبدأ المكفر بجملة خبرية، حيث أخبر بوقوعه في شرك نصبت له الدنيا ؛ كي تغريه بملذاتها ومغرياتها الفانية، بعد ما كان يُحذر من غرورها منهيًا عن اتباع هواها حتى لا يكون فريسة لها، حيث يقول:

طَايِرَ قَلْبِي وَقَعْتَ فِي الْأَشْرَاكِ أَشْرَاكِ هَذِي الدُّنْيَا وَمَا أَدْرَاكِ
إِيَّاكَ وَاحْذَرُ غُرُورَهَا إِيَّاكَ أَفَ لَدُنْيَا عَنْ وَصْلِهَا أَنْهَاكَ (١)

وكان لمعنى الاستفهام دلالة قوية في تعظيم الأمر ، وأتى التكرار للتأكيد عليه والتحذير منها لخطورتها نظراً لما تحمله من المفساد والغفلة والخداع. فكم جاهل بحقيقتها مخدوع فيها تعهده بحسن الرعاية وملكته من نعمها وملذاتها كي يتمسك بها، أما العقلاء من أهلها فلا تستطيع أن تسيطر عليهم لعلمهم بحقارة شأنها وزوالها فأعرضوا عن اتباع هواها ،

و " كم " الخيرية دلت على كثرة أتباعها، كما جاء الطباقي بين " الجاهل " لحقيقتها والمتبع لمغرياتها، من أغرته بملذاتها وزخرفها الزائل، غافلاً عن آخرته قد ألبسته أجمل الخلل وأفاضت عليه من خيراتها ليطمئن بها ، وقد وقع في أشراكها ولم يستطع الإفلات منها، غافل عن آخرته فخاب وخسر، و " العاقل " المدرك لحقارتها حذر من الوقوع في أشراكها وهي تظل تنصبها له دون كلل أو ملل، ولكن هيهات ! فيئست منه فباتت تُدبر عنه وتظلمه بحوادثها المريرة، قد انتصر عليها وفاز بالآخرة ، و أتى بهذا المعنى في صورة مبنية على المقابلة بين " جاهل - عاقل ، خولته - رمته ، بالبخت - بالمقت ، نعمى - ظلما " ، فيقول :

كَمْ جَاهِلٍ خَوَّلَتْهُ بِالْبَخْتِ نَعْمَى
وَعَاقِلٍ قَدِ رَمَتْهُ بِالْمَقْتِ ظُلْمَا

ابن سناء الملك : " دار الطراز " ، ص ١٧٦ .

ومع أن هذا شأن الدنيا إلا أن نفسه قد وقعت في مصيبة من مصيبتها، وهي " الهوى والعشق " المفضي إلى هلاك النفس ومثاها، حيث يقول :

نَفْسِي بِهَا قَدْ وَقَعْتُ فِي بَلْوَى تَهْوَى الْهَوَى وَالْهَوَى هُوَ الْمَهْوَى
وَإِنْ تَبَدَّى الْكَحِيلُ وَالْأَخْوَى فَتَمَّ حَوْمٌ لِلنَّفْسِ بِلْ مَثْوَى

جانس بين " قهوى _ المهوى " الأولى بمعنى الحب و العشق، والثانية بمعنى الهلاك والسقوط في الهاوية وأضاف الترصيع تنويعاً موسيقياً آخر إلى البيت " بلوى ، قهوى ، الهوى ، المهوى فانتهت جميعها بنفس الجرس ، و حوم نفسه مترتب على ظهور الكحيل الذي بعدت دياره ، أو لانقضاء عهد التصابي والهوى وتبدل الحال بالكبر فلم يعد يبالي بأمر محبوبه السابق ، مدركاً لحقيقة الحياة سالكاً طريقاً آخر لحياته ، قد هاجر بقلبه وعقله إلى حياة جديدة خير له من حياته السابقة التي أخطأ فيها ، نادماً على التفريط ، متوجهاً إلى نفسه بالنصح والوعظ ويتخذ من أسلوب الترهيب و اللوم و إدخال اليأس في نفسه للتأثير عليها ، راجياً منها أن تسمع نداءه ، فيقول :

بِاللَّهِ يَا نَفْسُ اسْمَعِي مِنِّي مَا لَكَ خَيِّتِ فِي الْهَوَى ظَنِّي
يَقُورُ قَوْمٌ بِجَنَّتِي عَدْنٍ وَأَنْتِ فِي حَسْرَةٍ وَفِي غَبْنٍ

ويرى أن اتباع الهوى مصيبة عظيمة يعجز عن وصفها ، متعجباً كيف لم تمت نفسه هماً وغماً وحسرة على اتباع هواها ، وغفلتها ، حيث يقول :

مُصِيبَةٌ قَدْ جَلَّتْ عَنِ النَّفْسِ عُظُمَى
يَا عَجَباً مِنْكَ كَيْفَ مَا مُتَّ غَمّاً

وأضاف للتأثير عليها تذكيرها بمن مضى من الملوك ممن شيدوا المباني العظام، قد غفلوا عن الآخرة وظنوا أن الدنيا هي الحياة الأبدية التي لا تفنى ولا يزول ملكهم فيها، لكنهم ما لبثوا أن أفناهم الموت وصيرهم في حفرة من الأرض لا نبات فيها ، فيقول :

أَيْنَ الَّذِي قَدْ بَنَى وَقَدْ شَيْدَ أَيْنَ الَّذِي لَا مَسَ السُّهَى بِالْيَدِ
أَيْنَ الَّذِي ظَنَّ مُلْكُهُ سَرْمَدَ وَظَنَّ أَنَّ لَا يَفْنَى وَلَا يَنْقَدُ

أَنْفَذَ اللَّهُ فِيهِ لِلْوَقْتِ حُكْمًا
فَصَيَّرُوا مَنْ عَلَيْهِ فِي الْمَرْتِ رَذْمًا (١)

ثم ختم المكفر بالإقرار لربه بجهله وغفلته، واغتراره بمتاع الدنيا الزائل، نادماً على فحش قوله طالباً عفوه عنه، وقد ختمه بخرجة موشح له في الغزل ليدل على أنه مكفره ومستغفر ربه عنه ، حيث يقول :

يَا رَبِّ عَفِّوْا فَإِنِّي جَاهِلٌ يَا لَيْتَنِي عَنْكَ لَمْ أَكُنْ ذَاهِلٌ
وَلَيْتَنِي مَا اغْتَرَرْتُ بِالزَّائِلِ وَلَيْتَنِي قَطُّ لَمْ أَكُنْ قَائِلٌ :

صَغِيرِي لَا يَنَامُ مِنْ تَحْتِي هَمًّا
جَاعَ الْمُسَيِّكِينَ وَصَاحَ يَا سَتِّي مَمَّا (٢)

الملاحظ على هذا المكفر أن ابن سناء الملك قد ضمن صدر البيت الأول منه، بصدر البيت الأول من الموشح المكفر عنه، حيث يقول فيه:

طَائِرَ قَلْبِي وَقَعْتَ فِي الْأَشْرَاكِ وَهُوَ الْهُوَى وَالتَّوَى وَمَا أَدْرَاكِ ؟
قَدْ كُنْتُ عَمَّنْ عَشِقْتُهَا أَنْهَاكِ أَضَنْتُ وَقَالَتْ مَنْ الَّذِي أَضْنَاكِ ؟ (٣)

فكان نفيه هنا عن العشق _ عشق النساء _ وفي المكفر كان النّهي منصباً على وصل الدنيا واتباع مغرياتها ، فيقول :

طَائِرَ قَلْبِي وَقَعْتَ فِي الْأَشْرَاكِ أَشْرَاكِ هَذِي الدُّنْيَا وَمَا أَدْرَاكِ
إِيَّاكَ وَاحْذَرْ غُرُورَهَا إِيَّاكَ أَفٍّ لِدُنْيَا عَنْ وَصْلِهَا أَنْهَاكِ (٤)

لفظة الخرجة ذاتها وردت في الموشح للكميت (٥) في ديوان الموشحات وهي لفظة رومية _ مَمَّا _ تعني " أمي " .

(١) ابن سناء الملك : " دار الطراز " ، ص ١٧٧ .

(٢) سرمد : الدائم الذي لا ينقطع . ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٣ ، ص ٢١٢ ، مادة " رمد "

المرت : مفازة لا نبات فيها وإن أمطرت . ابن منظور : " لسان العرب " ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، مادة " مرت " .

(٣) ابن سناء الملك : " دار الطراز " ، ص ١٧٧ .

(٤) المصدر السابق : ص ١٢٠ ، ١٧٦ .

المحضر الثاني

مطلعه :

العقلُ يَهْدِيكَ .. والتَّنَفُّسُ تُرْدِيكَ .. وَأَنْتَ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ .. فَمَنْ يُنْجِيكَ .^(١)
يقول : إن العقل يهدي الإنسان إلى ما فيه صلاحه ورشده إذا احتكم إلى رأيه ، في حين أن نفسه ترديه وتلقي به إلى الهاوية والهلاك إذا أطاع هواها وغلب عليه ، فيظل كالهائم الغريق في بحر عميق من المجون والغفلة ، فمن ينجيه من موج هذا البحر ويمحو ذنوبه سوى الله _ سبحانه وتعالى _ ولهذا يتضرع إليه .
حذا ابن سناء الملك فيها حذوا موشح ماجن له في اللهو مطلعه :

الدُّرُّ يَحْكِيكَ .. لَوْلَا تَشْيِيكَ .. فَأَنْتَ جَنَّةُ الصَّدِيقِ .. لَوْلَا تَجَنِّيكَ^(٢)

وافق فيها الوزن و القافية ، كما استعان بخرجته و ختم بها مكفره .
قضى ابن سناء الملك جُلَّ حياته عابثا ماجنا حتى اعتادت نفسه اللهو و الضلال و أراد في نهاية المطاف تغيير طريق حياته و سلك طريق الرشاد ، باذلاً جهداً في محاولة إقناع ذاته بالعدول متخذاً من الشيب سبباً و مبرراً رئيسياً لهذا العدول المفاجئ ، موجحاً قلبه المشغوف بالمجون ، حيث يقول :

يَا قَلْبُ قَدْ بَانَ الْهُدَى	وَلَسْتُ تَتَّبِعُ
وَأَعْلَنَ الشَّيْبُ النَّدَا	وَلَسْتُ تَسْمَعُ
وَكُلَّ هَوًى قَدْ بَدَا	وَلَسْتُ تَجْزَعُ
وَلَسْتُ تُرَوِّى أَبَدًا	وَلَسْتُ تَشْبَعُ ^(٣)

== هو أبو بكر محمد بن الحسن الكمي ، شاعر أديب ينتجع الملوك ، و يمدح الأمراء ، و كان من شعراء عماد الدولة ابن حمود . ترجمته في : الحميدي : " جذوة المقتبس " ، ص ٣٣٤ ، و الضبي : " بغية الملتبس " ، ص ٤٥٢ ، و د . غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(١) السخاوي : " سجع الورق المنتخبة في جمع الموشحات المنتخبة " ، دراسة و تحقيق : إيمان أنور حسن ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الأدب ، (الإسكندرية : جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ، قسم اللغة

العربية و اللغات الشرقية و آدابها ، ١٩٩٦ م) ، ص ٤٣ ، رقمه : ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٣ .

(٣) نفسه .

فشبه قلبه في صورة الإنسان الأكل النهم الذي يشبع مهما أكل ، واستفاد من بعض أوصاف الجنة التي جاءت في القرآن الكريم واتخذها حافزاً للقلب لنبد الغي ، وسلوك طريق الرشاد ، ليحظى بدخول الجنة ويتنعم بما فيها من النعيم المقيم ، حيث يقول :

وَالْحُورُ ثُلْهِيكَ .. وَالْوِلْدَانُ تَسْقِيكَ .. سَلَسًا لَهَا الرَّحِيقَ .. حَتَّى تَرَوِيكَ (١)

" فالحور العين " بما حباها الله من الحسن والجمال تلهيه وتسليه ، تسقيه من الرحيق المختوم حتى يروى ظمأه .

ويتوجه بالدعاء والتضرع إلى الله - تعالى - راجياً منه أن يمحو ذنوبه ، نادماً على ما فرط في جنب الله أيام جهله ومجونه ، راجياً قبول توبته ، فيقول :

وَكَيفَ تَنْحَلُّ	إِنَّا وَقَعْنَا فِي عُقْدٍ
أَمَلَى وَأَمْهَلْ	يَا رَبَّنَا حَلَمَكَ قَدْ
وَنَحْنُ نَجْهَلُ	وَقَدْ وَقَدْ طَالَ الْأَمَدُ
مِنْكَ وَنَذْهَلُ (٢)	نَجْهَلُ مِمَّا قَدْ وَرَدَ

فإصراره على المجون والغبي كمن وقع في عُقْدٍ لا يعرف كيف يحلها ويتخلص منها وهو على يقين بأن الله من سعة حلمه ورحمته يمهل حتى يتوب ويرجع ، وقد طال الأمد به في جهله عما ورد في كتاب الله الكريم من آيات التحذير والإنذار ؛ لذا يلوذ بالفرار إلى ربه سريعاً لتلبية النداء متى بلغة منياً إليه يرجو ألا يخيب رجاءه فيقول :

حِينَ تُنَادِيهِ	إِنِّي مِمَّنْ يَسْتَجِيبُ
بَعْدَ تَمَادِيهِ	وَإِنِّي مِمَّنْ يُنِيبُ
فِيكَ تَمَنِّيهِ (٣)	فاجعله ممن لا يخيبُ

(١) السخاوي : " سجع الورق " ، ص ٤٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ٤٣ .

(٣) المصدر السابق : ص ٤٤ .

مكفرات ابن الصباغ

المكفر الأول - مطلعـه :

أَضْنَى الشَّجِي النَّحِيبُ يَا وَيْحَ مُضْنِي النَّحِيبِ^(١)

يصف ابن الصباغ ما يلقاه من تبارح الشوق إلى يثرب والحنين إلى زيارة مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فشق عليه ذلك لبعده عن الديار، وهذا ما سبب له الحزن والأسى فيقول:

أَشْجَاهُ بَعْدَ الْمَزَارِ
وَنَأْيَ تِلْكَ الدِّيَارِ
يَا شَادِيًّا بِالْقَفَارِ
أَذْكِي لَهَيْبِ أُوَارِي

فِي يَثْرِبٍ لِي حَيْبٌ يَا وَحْشَتَا لِلْحَيْبِ

وبما أنه عجز عن تحقيق أمنيته بحث عمن يخفف عليه وطأة ذلك عند مَنْ قام بزيارتها، بوصف ما شاهد فيها، راجياً من الله - القدير - أن يهيئ له الظروف لزيارتها في وقت قريب فهي أرض مباركة، تحمل أغلى وأثمن الكنوز والجواهر باحتوائها على الأماكن المقدسة، فيقول:

إِنْ جِئْتَ أَرْضَ الْعَقِيقِ
فَصَفْ غَرَامَ مَشُوقِ
أَقْصَاهُ بَعْدُ الطَّرِيقِ^(٢)

(١) انظر ، الكتاني : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، و د . عناني : " المستدرک " ، ص ٢٠٠ .

(٢) هكذا وردت و الصواب " المشوق " ؛ ليستقيم الوزن .

عَنْ فَوْزِهِ بِاللَّحُوقِ

إِنْ لَاحَ لَمْعُ الثُّرُوقِ

يَشْدُو بِقَلْبٍ خَفُوقِ

عَسَى الزَّمانُ الْقَرِيبُ يَقْتَادُنِي عَنْ قَرِيبٍ^(١)

استعمل " إن " الشرطية غير المقطوعة بوقوع الشرط ، فمجيئه إلى أرض العقيق ليس مؤكداً وبالتالى فطلبه في الوصف مرهون بزيارتها ، أراد الوشاح وصف شوقه و غرامه للديار المقدسة و عدم قدرته للوصول إليها ، و هذا الوصف يكون أمتع و أصدق حين يزورها و يرى معالمها بعينه ، وليس لما قرأه أو سمع عنه، كما أن شدوه بقلب خفوق من شدة وجده وشوقه لا يراوده إلا حين يلوح لمع البرق في السماء، وهو مظهر لا يرد دائماً سوى في بعض الأوقات التي يكون فيها نزول المطر حتى يدعو ربّه أن يسمح له بزيارتها، لأنه وقت مبارك تجاب فيه الدعوات - بإذن الله - وينتقل بعد ذلك إلى امتداح - المقام السامي، مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فخر المسلمين، قد اصطفاه الله من خير البرايا، وأيده بالمعجزات، وهذه المكانية العظيمة التي حباه الله بها لا يجحدها ولا ينكرها بدر أو شمس أو إنس أو جن، كما لا ينكرون مآثره وفضله عليهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور وأضاء بنور الإيمان القلوب وأجلى عنها الظلمات ، فهو كالزهرة الفواحة في روضة غناء يفوح شذاها رائحة طيبه، فيقول:

فَخَرُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ

خَيْرَ الْبَرَايَا الْمُمَجَّدُ

بِالْمُعْجَزَاتِ مُؤَيَّدُ

هَذَا غُلًّا لَيْسَ يُجْحَدُ

بَدْرٌ وَشَمْسٌ وَفَرَقْدُ

لَهُ الْمَآثِرُ تَشْهَدُ

بِهِ تُضَيُّ الْقُلُوبُ وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ

(١) "ديوان ابن الصباغ"، ج ٢، ص ١٩٤، و "المستدرک"، ص ٢٠٠.

أمداحُ ذكرِ النَّبِيِّ
 ذي المَعْلَوَاتِ العَلِيِّ
 فِي كُلِّ نَادٍ نَدِي
 كَزَهْرٍ رَوْضٍ ذَكِيٍّ (١)

هذه المقدمة التي استهل بها الوشاح المكفر بموضوع الشوق والحنين، ووصف الأسى والحزن، وامتداح المقام السامي، كانت إيذاناً للانتقال إلى الغرض الرئيسي في المكفر؛ وهو الندم بعد ظهور الشيب وأقول زمن العنفوان والصِّبَا، والتأكيد على ثقل وطأة الذنوب عليه، وطلب المغفرة والرحمة من الله - تعالى - بصوت مليء بالخوف والرجاء وصدق المتاب، حيث يقول:

يَا ذَا السَّنَاءِ السَّنِي
 نِدَاءُ صَبٍّ شَجِي
 قَدْ أَثْقَلْتَهُ الذُّنُوبُ فَمَنْ لَثَقِلِ الذُّنُوبِ
 قَدْ لَاحَ صُبْحُ الْمَشِيبِ
 وَقَدْ ذَوَى بِالْخُطُوبِ
 رَوْضَ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ
 فَقُلْ: بِصَوْتٍ مُرِيبِ
 يَا رَبِّ فَاغْفِرْ ذُنُوبِي
 وَأَرْحَمْ مَقَالَ الْكَيْبِ
 عَلِيَّ جَارَ الرَّقِيبِ لَا كَانَ جَوْرُ الرَّقِيبِ (٢)

(١) "ديوان ابن الصباغ"، ج ٢، ص ١٩٤، و"المستدرک"، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩٤.

استعمل ابن الصباغ بعض الصيغ والأساليب في مقام التكفير عند وصفه لكثرة الذنوب وثقلها

عليه، " بقد " التحقيقية ، في قوله:

قَدْ أَثْقَلَتْهُ الذُّنُوبُ فَمَنْ لَثَقَلِ الذُّنُوبُ^(١)

وجاء الاستفهام في الشطر الثاني ليؤكد على كثرتها وثقلها حتى لم يعد له طاقة لتحملها، كما أضاف إلى ذلك الشعور بوطأة الشيب بعد ما لاح وانتشر في رأسه وذوى عنه غض الشباب وروضه القشيب، " بقد " التحقيقية أيضاً، حيث يقول:

قَدْ لَاحَ صُبْحُ الْمَشِيبِ

وَقَدْ ذَوَى بِالْخُطُوبِ

رَوْضَ الشَّبَابِ الْقَشِيبِ^(٢)

فلم يكن ما ألم به خطب واحد بل مجموعة من الخطوب أدت إلى ظهور الشيب فقد، فقد أهله وموطنه وعِزّه وما يتمتع به من جاه، وكثرت ذنوبه. وفي خاتمة المُكفّر دعا لصاحب الموشح المُكفّر النقيض بالرحمة، حيث قال:

وَأَرْحَمُ مَقَالَ الْكُتَيْبِ^(٣)

ولم يخل المكفر من بعض الحسنات البديعية التي أعطت بدورها نوعاً من التنويع في نغمات الموسيقى الداخلية في الموشح، مثل الجناس في قوله:

أَضْنَى الشَّجِي التَّحِيْبُ يَا وَبِحَ مُضْنَى التَّحِيْبِ

بين " أضنى - فعل - ومضنى - اسم - .

و بين " نادٍ وندي " في قوله:

(١) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

(٢) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

(٣) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

في كُلِّ نَادٍ نَدِي يَا ذَا السَّنَاءِ السَّنِّي^(١)

بين " سناء وسني " ، وبين " أثقلته وثقل " وقوله: " جار وجور " ، حيث يقول:

قَدْ أَثْقَلْتُهُ الذُّنُوبُ فَمَنْ لَثَقَلَ الذُّنُوبُ
عَلَيَّ جَارَ الرَّقِيبِ لَا كَانَ جَوْرُ الرَّقِيبِ^(٢)

ومن الأساليب البديعة في المكفر، أن جعل الوشاح المطلع والأقفال والخرجة يقوم كل بيت منها على أسلوب " رد العجز على الصدر " فيقول:

فِي يَثْرِبٍ لِي حَيِّبٌ يَا وَحْشَتَا لِلْحَيِّبِ
عَسَى الزَّمَانُ الْقَرِيبُ يَقْتَادُنِي عَنْ قَرِيبِ
بِهِ تُضَيِّ الْقُلُوبُ وَهُوَ جَلَاءُ الْقُلُوبِ
قَدْ أَثْقَلْتُهُ الذُّنُوبُ فَمَنْ لَثَقَلَ الذُّنُوبِ
عَلَيَّ جَارَ الرَّقِيبِ لَا كَانَ جَوْرُ الرَّقِيبِ

و الخرجة وردت عند ابن بقي " ت ٥٤٠ هـ " ^(٣) ، واتفق معه أيضاً في قافية المطلع، حيث يقول:

مَا لَدِي * صَبْرٌ يُعِينُ * غَيْرَ النَّحِيبِ
فَاسْأَلُوا * عَنْ اصْطِبَارِي * بَدْرَ الْجُيُوبِ^(٤)

(١) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٤٢ .

(٣) هو أبو بكر يحيى بن أحمد أو محمد القيسي القرطبي ، ولد في طليطلة ، وقضى حياته في التطواف في بلاد الأندلس و المغرب ، شاعر و وشاح مجيد ، ذو مكانة سامية . ترجمته في : ابن خلكان : " وفيات الأعيان " ، ج ٦ ، ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، و ابن الخطيب : " جيش التوشيح " ، ص ٢ - ١٥ ، و المقرئ : " نفح الطيب " ، ج ١ ، ص ٤٧١ -

٤٧٣ ، ج ٣ ، ص ٢٠٨ ، ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ .

(٤) الكتاني : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ١ ، ص ٤١٧ .

وخرجته :

كَضَمَى * فَلْيُولُ إِلَيْنُ * إِذِلْ أَمِيبِ

كَرْذِلْ * دَمِيبْ بَطَارِ * شُو الرقيب^(١)

وهي خرقة رومية بعكس خرقة ابن الصباغ فهي عربية ، كما اختلف البحر في الموشحين .
إلا أنني أرى أنه قصد تكفير موشح ابن سهل " ت ٦٥٦ هـ ، ومطلعه :

يَا لِحَظَاتِ اللَّفْتِ فِي كَرِّهَا أَوْ فِي نَصِيبِ
تَرْمِي وَكُلِّي مَقْتَلُ وَكُلُّهَا سَهْمٌ مُصِيبُ^(٢)

وخرجته :

هذا الرقيب ما أسوأه بظن أَشْ لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ مُرِيبُ
يَا مَوْلَاتِي قُمْ نَعْمَلُو ذَاكَ الَّذِي ظَنَّ الرقيب^(٣)

وذلك ؛ لأن ابن سهل وصف نفسه بالكئيب في قوله :

فِي لَحْظَةِ السَّاجِي وَسَنَ أَسْهَرَ أَجْفَانِ الْكَيْبِ^(٤)

وأشار إليه ابن الصباغ بهذه الصفة في المكفر ، ودعا له بالرحمة حيث قال :

يَا رَبِّ فَاعْفِرْ ذُنُوبِي
وَارْحَمْ مَقَالَ الْكَيْبِ^(٥)

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٩٤ .

(٤) المصدر السابق : ج ، ص ١٩٣ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٤٢ .

كما احتوى المكفر ونقيضه على صفة " مريب " فابن الصباغ يحث الإنسان على أن يدعو ربه بصوت مريب لما يتميز به الصوت " المريب " من الصفاء وهدوء النبرة و الانكسار ، وصدق اللجوء إلى الله _ سبحانه و تعالى _ بالدعاء ، حيث يقول :

فَقُلْ بِصَوْتٍ مُرِيبٍ^(١)

وكان الوصف عند ابن سهل يحمل بين طياته صفة الشك و القلق ، فيقول :

هَذَا الرَّقِيبُ مَا أَسْوَأُهُ بَظَنِّ
إِنْ لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ مُرِيبٌ؟^(٢)

والملاحظ على الموشحين اختلاف البحر الذي ينتمي إليه كل منهما ، فموشح ابن الصباغ منظوم على وزن بحر " البسيط " ، و يعتمد على أسلوب رد العجز على الصدر في المطلع و الخرجة و الأقفال ، بينما ينتمي موشح ابن سهل إلى بحر " الرجز " ، ولا يعتمد على رد العجز على الصدر .

مُكَفِّرٌ آخِرٌ ، مُطْلَعُهُ :

تَبَّهْ فَهَذَا أَوْانُ الرَّحِيلِ وَشَمَّرَ فَلَيْسَ عَلَيْهَا مُقِيمٌ .^(٣)

استهل الموشح بأسلوب إنشائي فيه الوعظ والتذكير والتنبية ، والحث على اقتناص الفرصة ، والاستفادة من بقية العمر بالمسارعة إلى التوبة وإصلاح النفس ، فالحياة الدنيا دار تنقل لا دار قرار ومقام دائم ، وقدم له البراهين في أسلوب بياني يهدف إلى تصوير ما آل إليه حاله ، وما دل على فنائه؛ ليزهد في الدنيا ويلقي خلفه أوهام خياله التي تغريه بالاستمرار في التصابي واللَّهُو ، وهذه البراهين هي كبره وقرب أجله ، وأتى بهذه الحقيقة في صورة كناية في قوله :

(١) انظر الشاهد : ص ٢٤٢ .

(١) انظر الشاهد في الصفحة السابقة .

(٣) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

إِذَا أَيْتَعَ الزَّهْرُ حَانَ الْقَطَافُ^(١)

فهو في شبابه كالزهرة النضرة الفواحة ، التي تجذب الأنظار ، لكنها سرعان ما تقضي نحبها وتلقى حتفها بقطفها الذي يؤدي إلى ذبولها وموتها من بعد .

والبرهان الثاني : إنتشار الشيب و إحاطته برأسه ، فهو كالأزهار المنتشرة في الحديقة تطوف حولها دلالة كثرته في المكان ، حيث يقول :

وَزَهْرٌ مَشِيكَ بِالرَّأْسِ طَافُ^(٢)

وكان الشيب تحول إلى أزهار بيضاء غطت المكان فلا يرى غير البياض .

أما البرهان الثالث : فهو تحوله من شباب إلى كبر ، وبالتالي أفول زمن اللهو وانكشافه ، وأتى بالمعنى في صورة تورية ، فقال :

وَبَدَرُ الشَّبَابِ عَرَاهُ انْكَشَافُ^(٣)

الصورة المتبادرة أولاً هي : صورة البدر الحقيقية بضوئه وبهائه وحسنه في الليل البهيم حين يجلي بضوئه عتمة الليل ، وانكشافه زواله ، وزوال ضوئه فيمتلئ الكون ظلاماً دامساً . والمعنى المقصود ، هو مرحلة الشباب بما فيها من بهاء وحسن وجمال وما يتبعها من تمتع وهو وتصاب حين تنقضي وينكشف ، ويظهر مكانه الشيب والكبر مما يجعله يفقد قوته وكل شيء جميل منحه الله ، وللتأكيد على هذا البرهان أتى بصورة أخرى بالأسلوب نفسه في القفل ، حيث يقول :

وَصَبْحُكَ عَوَّضَتْهُ بِالْأَصِيلِ وَمَا إِنْ رَأَيْتَ أَصِيلًا يَدُومُ^(٤)

المعنى الأول المتبادر إلى الذهن ، صورة الصبح والأصيل حقيقة ، وزوال الصبح بظهور الأصيل ، والمعنى الثاني المراد الخفي بين طيات الألفاظ الشباب والشيب _ الكبر _ فقد زال شبابه وحل مكانه الشيب والكبر وكأنه يقول : أنت أيها الغافل في الحياة قد أفل شبابك

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٤) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٦٨ .

وأتى الشيب عليك وانت لا تزال تلهو وتستمر في غيِّك متناسيا ما ينتظرك ، مضيعاً لأوقاتك الثمينة فيما لا ينفع ، أما الآن فقد انقضى زمن الشباب بما فيه من القوة والفتوة التي كنت مغترّاً بها وكان من المفترض بك أن تقتنص الفرصة وتستفيد من عمرك الباقي بالأوبة والعمل الصالح وبهذا الشباب الذي ولّى خسرت أفضل أوقاتك وزهرة عمرك فلم يدم لك ، كما لن يدوم شيبك ؛ لأنك ستقضي نحبك في الحياة ثم تموت و ترحل من الحياة الدنيا إلى دار القرار والمقام في الآخرة ، و بهذا قدم له الوعظ والنصيحة ، لعله يصغي و يرعوي ، وأنذره الشيب ليته ينتفع بإنذاره ، لكنه جمح و ولّى معرضاً ، فلجأ الواعظ إلى تخويفه و إرهابه مما ينتظره من الخطب الجليل في المقام العظيم حين يمثل بين يدي الله _ عز وجل _ حيث يقول :

لَقَدْ أَسْمَعَ الْوَعْظَ لَوْ تَسْمَعُ
وَأُنْذَرَكَ الشَّيْبُ لَوْ يَنْفَعُ
جَمَحْتَ وَ آلَيْتَ لَا تَرْجِعُ
وَإِنَّ أَمَامَكَ خُطْبًا جَلِيلًا وَبَيْنَ يَدَيْكَ مَقَامًا عَظِيمًا^(١)

وللتأكيد على ذلك استعمل أداة التوكيد " إِنَّ " مصدرا بها البيت .
ويلقى في أذنه ببعض النصائح التي يستعين بها إذا أراد أن يسعد في الحشر ، وينتقل صاحب المكفر إلى السمط الرابع لتصوير عزمه و جده في الرحيل لزيارة الديار المقدسة قاطعاً المسافات الطويلة ، تاركاً داره وموطنه من أجل ذلك فيشفي غليل المشتاق ببعض تلك الرؤى ، وأتى " بأن " الشرطية غير المقطوع بوقوعها ليدل على عدم إمكانية ذلك لجده وإسراعه في السير ليلاً ونهاراً حتى يصل إلى الديار المقدسة البعيدة عنه ، حيث يقول :

سَاقُطُ بَيْنَ الْفَلَا وَالْقَفَارِ
وَأَتْرَكَ دَارِي لِتِلْكَ الدِّيَارِ
فَلَيْسَ عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا قَرَارُ
فَإِنْ سَمَحَ الدَّهْرُ لِي بِالْمَقِيلِ شَفَيْتُ غَلِيلِي بِتِلْكَ الرُّسُومِ^(١)

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، و الصواب : جليلاً .

وفي أثناء رحيله وقطعه للمسافات الطويلة يلقانا بصورة مما يقع له أثناء سيره ، وهي صورة السماء الممطرة الراعدة ، حين يلمع البرق بين الغيوم ، والتي تُشعر بالخوف وتستدعي من الركب التوقف ريثما يخف انهمار المطر ، ويهدأ صوت الرعد ويتحسن الجو ، في هذه الأثناء تهيج الذكريات والأشواق في قلب الوشاح بالوصول إلى مقصده ، وتخيل هذه الديار ، وأخذ ينشد قول مشوق مثله قد اضطررم الشوق في فؤاده ، وكأن ابن الصباغ أراد من اقتباس هذه الخرجة من مطلع موشح لابن الفضل " ت ٦٢٧ " (٢) أن يصف ما يشعر به من رغبة في وصف شدة شوقه إلى الديار المقدسة ؛ لأن ابن الفضل وصف في موشحه شدة شوقه إلى محبوبته وكنهاها " بأَمَّ العلي " ولم يكتف ابن الصباغ باقتباس مطلع هذا الموشح بل اقتبس أيضاً إحدى قوافي أقفاله " تلك الرسوم " في القفل السابق، ونظيره عند ابن الفضل قوله :

أَعَانَقُ بِالْفِكْرِ تِلْكَ الطُّلُوفَ وَأَلْتَمُّ بِالْوَهْمِ تِلْكَ الرُّسُومَ . (٣)

فقد بات على حمرات الغضا يعانق بفكره ديار محبوبته ، لكن ابن الصباغ كان يتمنى لو يقلل حتى يحلم بتلك الديار مع أنه ظل يفكر بها ، فقد غلبه الشوق .. فما ألد القرب بعد البعاد . بينما ابن الفضل تحقق له المبيت والتفكير فكان أوفر حظاً منه وأهدأ نفساً ، فيقول :

إِذَا لَمَعَتْ بِالْعَشِيِّ الْبُرُوقُ

تَذَكَّرْتُ وَادِي الْحِمَى وَالْعَقِيقُ

وَأُنْشَدْتُ قَوْلَ كَثِيبٍ مَشُوقٍ

أَلَا هَلْ إِلَى مَا تَقْضَى سَبِيلُ فَيُشْفَى الْغَلِيلُ وَتُوسَى الْكُلُومُ (٤)

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفضل المعافري الأشيلي ، تولى خطة الزكاة و المواريث فيها أديب شاعر و وشاح فصيح الألفاظ يجيد المقطعات و القصائد ، و تنقل بين مدن الأندلس و المغرب . ترجمته في : ابن سعيد : " المغرب " ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ - ٢٩١ ، و ابن بشكوال : " الذيل و التكملة " ، ص ٣٧٦ ، و المقرئ : " أزهار الرياض " ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٣) د . غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ١٤٣ - ١٤٥ .

(٤) الكتاني : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، و د . عناني : " المستدرک " ن ص ١٧١ .

أما موسيقى المكفر فينتهي إلى بحر " المتقارب " ^(١) وهو من البحور الصافية التي تقوم على تفعيلة واحدة دلالة على انفعال الوشاح، فعاطفته واحدة لم تتغير ، أراد أن يغير طريقة حياته بعد ما كبر وشعر بدنو الأجل و رحل إلى الديار المقدسة ليتطهر من أدران صباه ويكفر عن سيئاته ، كما تّوع في موسيقاه باستعماله لبعض الفنون البديعية ، من بينها :
رد العجز على الصدر في قوله :

وَصُبْحُكَ عَوَّضَتْهُ بِالْأَصِيلِ وَمَا إِنْ رَأَيْتَ أَصِيلًا يَدُومُ ^(٢)

فأضفى على الإيقاع نغمة جديدة بين الكلمات بإعادة حروفها وكلماتها مما أضاف إلى نغمة الوزن رنات أخرى منتظمة توحى بالترديد لوقت الأصيل القصير الذي لا يدوم سوى مدة قصيرة من الزمن ثم يزول ، وكأنه يشير بطرف خفي إلى قرب فناء الإنسان حتى يستيقظ من غفلته ويستفيد من بقية حياته بالتوبة والعمل الصالح .
وجانس بين " أسمع وتسمع " ، في قوله :

لَقَدْ أَسْمَعَ الْوَعْظَ لَوْ تَسْمَعُ ^(٣)

فجاء " بقد " التحقيقية مع " لام التوكيد " ، ليؤكد على أنه قام بما يجب عليه من واجب النصيح والوعظ ، وأتى بالفعل المضارع المسبوق بلو " لو تسمع " رغبة منه أن يستفيد من وعظه مدى الحياة ويعمل بالنصح على الدوام ، لكنه أبى أن يسمع وبالتالي انتفى الانتفاع بالوعظ لانتفاء السمع ، كما أتى الجناس الناقص بين " داري وديار " بين لفظ مفرد وجمع حيث يقول :

وَأَتْرُكُ دَارِي لِتِلْكَ الدِّيَارِ ^(٤)

(١) أوزان الأفعال : فعولن فعولن فعولن فعول

أوزان الأدوار : فعولن فعولن فعولن فعو

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٤٧ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٤٨ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٢٤٨ .

واختلف الموشحان في عدد الأدوار في السمط الواحد ، فالمكفر يقوم السمط فيه على ثلاثة أدوار وقفل ، والمكفر عنه يقوم على أربعة أدوار وقفل .

مكفر آخر مطلعته :

النَّوى أَفْتَتْ قُوى جَلَدِي فَدُمُوعُ العَيْنِ تَنْسَجِمُ^(١)

يستهل الموشح بالشكوى من النوى ، وضعف القوى التي تعينه على الصبر والمجاهدة على كل ما ألم به من ألم البعد والشوق المضطرب في فؤاده ، لزيارة المدينة المنورة ، فلم يجد من يعينه ، ويؤنس وحدته ، ويبدد أحزانه ، ويخفف آلامه غير سجع الورق في الظلم ؛ لأنه يشاطره همومه ، فكلما حاول النسيان كان سجع الورق يعيد عليه طيف الذكريات ، فلفحة نار الشوق أتت على قواه وأفنت جلده فلم يملك إلا أن يذرف الدمع الغزير طالبا من الورق أن يخفف عنه آلامه ويسعده ولو قليلاً ، حيث يقول :

لَمْ أَجِدْ عَوْنًا عَلَى السَّقَمِ غَيْرَ سَجْعِ الْوُرُقِ فِي الظُّلَمِ
ذَكَرْتَنِي عَهْدَ ذِي سَلَمٍ فَاسْتَهَلَ الدَّمَعُ كَالدِّيمِ
يَا حَمَامَاتُ وِى أَسْعَدِي مُكَمِّدًا قَدْ شَقَّ السَّقَمُ^(٢)

وعبر عن دموعه السخينة وبكائه الدائم ، بصيغة الجمع والفعل المضارع " دموع ، تنسجم " ودل على تمكن هذه الحال بصيغة الماضي " استهل " وكان التشبيه عنصراً ثالثاً استعمله الوشاح ليدل به على الكثرة " كالدم " فشبه استمرار البكاء وكثرة انهمار دموعه بالديممة الكثيرة الماء والدائمة الهطول ، فالصورة توحى بمدى سيطرة الهم والحزن عليه وشدة الشوق الناتج عنه كثرة البكاء المتأتية بسبب ضعف قواه وفناء جلده عن تحمل ما يعاينه وما يكابده ويبدأ آخر بالاستفهام " بهل " البطن " بالتمني " متمنياً أن يُقدَّر له السير ، وإلقاء عصا الترحال في ربوع " طيبة " ليقف على آثارها ومعالمها المتبقية ويمضي فيها وقتاً من عمره فيشفي غلته ويروي ظمأه ويطفيئ لهيب شوقه ، حيث يقول :

هَلْ إِلَى تِلْكَ الطُّلُولِ سَبِيلُ أَوْ بِهَاتِيكَ الْحَيَامِ مَقِيلُ

(١) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، و " المستدرك " ، ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٥٦ .

فَبِهَا يُشْقَى أَلِيمُ الْغَلِيلِ فَمَتَى يَدِينِي الْمَعْنَى الْعَلِيلُ^(١)
فَلَهَيْبُ الشَّوْقِ فِي كِبْدِي تَرَكَ الْأَحْشَاءَ تَضْطَرُّمُ^(٢)

فجّل مناه ومقصده وهواه أن يقوم بهذه الرحلة إلى ديار الحبيب — صلى الله عليه وسلم
فيقول :

فَإِذَا كُنْتُمْ مَنَى مَقْصِدِي كَيْفَ مِنْكُمْ فِي الْهَوَى أُحْرَمُ^(٣)

وبعد هذه المقدمة التي أفاض فيها ابن الصباغ بالحديث عن الشكوى ووصف ما ألم به من
سقم وهم وحزن شديد ، وفناء القوى ، وهو لا تزال نفسه تصبو إلى هذه الزيارة الميمونة .
وينتقل إلى الحديث عن موضوع آخر شغل تفكيره ، وهو الحديث عن زهرة شبابه التي
ذبلت ، وأيام عمره التي ولّت ، وشعوره بالخطر المحدق به لقرب أجله ، وتسويفه في التوبة ،
منكراً على نفسه حالها هذه وإصرارها على المضي قدماً في طريق الغفلة واللهو ، فيقول :

وَلَّتْ الْأَيَّامُ بِالْعُمُرِ وَأَنَا مِنْ ذَا عَلَى خَطَرٍ
قِصَّتِي مِنْ أَعْجَبِ الْعَبْرِ كُلَّمَا أَوْغَلْتُ فِي الْكِبَرِ
زَادَ تَسْوِيفِي فَمَنْ مُرْشِدِي إِنْ أَنَا لَمْ يَنْهَنِي الْهَرَمُ^(٤)

ولا يجد من يعينه في حالة الأسى والحزن المخيمة عليه ليخفف عنه وطأة ما يشعر به سوى
صيحات يطلقها كلما تراحمت آلامه وأشواقه في صدره سائلاً النسيم القادم من تلك الربوع
عن حال من فيها محاولاً استنطاقه واستخباره ، لعل ذلك يهون عليه ما يجد ، حيث يقول :

مَنْ لَصَبٌ بِالْأَسَى يَنْعَمُ وَفَوَادٌ بِالتَّوَى يَكْلُمُ
كُلَّمَا أَوْدَى بِهِ الْأَلَمُ صَاحَ وَالْأَشْوَاقَ تَرْدَحُمُ
يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ بَلَدِي خَبِّرِ الْأَحْبَابَ كَيْفَ هُمْ؟^(٥)

(١) "ديوان ابن الصباغ" ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، و "المستدرک" ، ص ١٦٠ .

(٢) في "المستدرک" يدنو .

(٣) "ديوان ابن الصباغ" ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، و "المستدرک" ، ص ١٦٠ .

(٤) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٥٦ .

(٥) "ديوان ابن الصباغ" ج ٢ ، ص ١٥٦ ، و "المستدرک" ، ص ١٦٠ .

وهذا التساؤل دلّ على ما في قلبه من حيرة وشوق ويأس من بلوغ الأمان مما جعله يحاول استنطاق النسيم و استخباره — محاولة منه في إنزال غير العاقل مترلة العاقل — وكأنّ هذا النسيم هو الشخص الوحيد الذي يعلق الوشاح عليه الآمال ؛ لأنه قادم من جهة تلك الديار فهو باقتباسه لخرجة موشح آخر يتذكر ما عاناه صاحبه الذي كفر عنه من ألم النوى والشوق إلى لقاء الأحبة .

والموشح قائم على وزن بحر " المديد " ، وقد اتفقت أوزان أفعاله مع أوزان أدواره ^(١) . ويفتقر الموشح إلى بعض عناصر الموسيقى كالتصريع، والسجع، كما يلفت الانتباه، الالتزام الموحد في الأفعال في عدد حروف القافية، و المكفّر بسيط يتألف من أربعة أدوار وقفل بخلاف موشح الغزل فالبيت فيه يتألف من ثلاثة أدوار وقفل.

كما يلفت الانتباه بعض المعاني المتكررة في المكفّر، كقوله: " فاستهل الدمع كالدم " وقوله: " تستهل السحب من أدمي " وقوله: " فدموع العين تنسجم " ، والجامع في كلّ شدة الانصباب والكثرة مع أنه في المثال الأول صاغها بالماضي، لكن التشبيه دلّ على الكثرة والغزارة، وفي المثال الثاني أتى بها بأسلوب المضارع الدال على الاستمرار، وكان لتشبيه العين بالسحب الممتلئة بماء المطر لمحة منه وتشابه بين المعنيين، وأتت صيغة الجمع " دموع " ووصفها بالانسجام بصيغة المضارع تأكيداً على استمرار حالة البكاء عنده ندماً و شوقاً فهطلت دموعه من شدة حزنه وألمه وشوقه، ومن ذلك أيضاً وصفه لشدة الشوق المتأججة في قلبه بالنار التي تضطرم وتشتعل في أحشائه وأضلعه، حيث يقول:

فَلَهَيْبُ الشَّوْقِ فِي كَبْدِي تَرَكَ الْأَحْشَاءَ تَضْطَرُّمُ ^(٢)

وقوله: " وضرام الشّوق في أضلعي " ^(٣) .

(١) وزن الدور : فاعلاتن فاعلن فعلن .

وزن القفل : فاعلاتن فاعلن فعلن فاعلاتن فاعلن فعلن .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٥١ .

(٣) " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

كما تكررت بعض الألفاظ الموحية بالمأساة والأسى والألم عنده مثل: "النوى، الدموع ، السقم ، تضطرم ، تستهل ، الشوق ، الألم " .

والمطلع في المكفر مبني على جملة خبرية، إذ يخبر بن الصباغ المستمع عن حاله وما ألم به لأنه جاهل به، وهو يفتقر إلى التصريح بينما المطلع في الموشح المكفر عنه على النقيض تماماً؛ إذ يقوم على أسلوب إنشائي مستهل بالنداء ومختوم بالاستفهام التعجبي؛ لأنه يتعجب مما يراه من حاله فهو لا يدرك من شدة ما يجد ما يشعر به تجاه المحبوب، أهو " هوى أو لمم " ، حيث يقول:

يا شقيق الروح من جسدي أهوى بي منك أم لمم؟^(١)

وهذا المطلع يتفق مع الخرجة في هذا الجانب، إذ يقول فيها:

يا نسيم الريح من بلدي خبر الأحباب كيف هم؟^(٢)

إضافة إلى التشابه في النداء والاستفهام، هناك تشابه آخر، وهو الجناس الناقص بين :
" روح - ريح " وشبه الجملة " من جسدي - من بلدي " أيضاً هناك تشابه آخر وتوافق بين بعض قوافي الأقفال:

فينتهي القفل الثالث في كلا الموشحين بنفس القافية، حيث يقول صاحب الموشح المكفر عنه:

لا تخف كيدي ولا رصدي أت ظني وهوى حرم^(٣)

(١) هذه الخرجة أختلف في نسبتها مؤرخو الأدب ، منهم من نسبها للأعشى التطيلي " ت ٥٢٠ هـ " ، في ديوانه ، ص ٢٧٣ ، و ابن الخطيب في " جيش التوشيح " ، ص ٣٥ ، ينسبها لأبن بقي " ت ٥٤٠ هـ " ، و نسبها له أيضاً المقرئ في : " نفع الطيب " ، ج ٤ ، ص ١٣ ، و ينسبها للأعشى التطيلي في " أزهار الرياض " ، و هذا يعود للصدقة الكبيرة بين الوشاحين ، و ابن سعيد في " رايات المرزبن " ينسبها لابن بقي ، و يقول : أنه نظمها في بني عشرة قضاة سلا ، و مطلعها : كيف السبيل إلى صبري و في المعالم أشجان

و ينسبها د . سيد غازي في : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ - ٦٠١ ، إلى مجهول نقلا عن : " دار الطراز " ، انظر : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .

(٢) انظر : د . سيد غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

(٣) د . سيد غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٦٠١ .

يخاطب المحبوبة، يطلب منها أن تدنو منه دون حذر أو خوف من كيد ولا رصد؛ لأن ذلك محرم في شريعة الهوى. أما ابن الصباغ فيصرح بأن مناه ومقصده أن يلقي الحبيب، ويتعجب كيف يحرم نفسه من هوى من شغف قلبه بحبه وهام عقله به، فالهوى يجمع ولا يفرق، فيقول :

فَإِذَا كُنْتُمْ مَنَى مَقْصِدِي كَيْفَ مِنْكُمْ فِي الْهَوَى أُحْرَمُ ؟ ^(١)

وفي القفل الثاني : يخاطب المحبوبة يطلب منها أن ترقى نفسها من أعين الحساد ؛ لأن عيناها ساحرة فتانة ، فيقول :

عَلَّمْتُكَ النَّفْثَ فِي الْعُقْدِ لِحَظَاتٍ كُلُّهَا سَقَمٌ . ^(٢)

ونلمح في البيت جانب الاقتباس من القرآن الذي استفاد منه الوشاح في إبراز ما يتمتع به المحبوب من الحسن والجمال حتى أصبح مطمعا لكل من يراه أو ينظر إليه ، وما أصابه من السقم كان بسبب هذا المحبوب وشغفه بحبه .

وابن الصباغ يصور مدى همه وشدة حزنه لبعد ديار أحبته ، وتحول شوقه إلى سقم برى جسده وأضعف قوته ، فيقول :

يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى أَسْعِدِي مُكَمِّدًا قَدْ شَفَّهُ السَّقَمُ ^(٣)

فحالتهم محاطة بالحزن والهم والسقم الذي بلغ من جسديهما مبلغا أضعف قواهما ، فالنوى الذي حال بينهما وبين من يحبان كان سببا فيما أصابهما .

يبدو من خلال النص أن ابن الصباغ نظم هذا المكفر عندما كبر وتداعى به الهرم ، وفقد قوته ، فكان ذلك خير واعظ له بقرب أجله ، وداعٍ له إلى التوبة والصَّلاح ، فإلى متى يُسَوِّفُ فِي التَّوْبَةِ وَقَدْ أَتَاهُ نَذِيرُ فَنَائِهِ ؟ .

(١) انظر الشاهد : ص ٢٥٢ .

(٢) " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٦٠٠ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٥١ .

مكّر ابن زمرّك " ت ٧٩٦ هـ " (١)

ومطلعه :

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَشْوَاقُ ذِكْرِي حَيْبُ
وَكُلُّ مَنْ نَامَ لَيْلَ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُحْبِ الْمَشِيبِ (٢)

يبدأ الموشح بما يُشعر بندمه وتحسره على ضياع أيامه الخوالي في ذكرى أشواقه في عهده الأول - صباه - ويتمنى لو تعود تلك الأيام التي أضاعها في اللهو ، ليشغلها بما هو أهم وأصلح لنفسه مستعملاً حرف الشرط المفيد للامتناع " لو " مع الفعل المضارع " ترجع " ؛ لاستحضار صورة تلك الأيام إذا عادت إليه مرة أخرى ، كيف قضائها سابقاً ، وكيف سيستفيد منها ؟

وكأنه يخطط لها ويرسم أبعاد تلك اللحظات التي سيشغلها بالتوبة والرجوع عما كان عليه من اللهو إلى ربة الدين وحياة الزهد ، فأيامه الخوالي كانت لهيباً مشتعللاً بذكرى الحبيب وأشواقه إليه ، أما الآن بعد أن أيقظه الشيب من غفلته وأخذ جذوة نار الشوق المضطربة في فؤاده فلم يبق له إلا أن يتمسك بما بقي من عمره ويعمره بالصلاح .

ويشبه من أضاع عمره وشبابه في اللهو والتهيه بالنائم الذي لا يشعر بما يدور حوله من أمور ، ولا يدرك قيمة الوقت الذي يضيعه في اللهو ، لكنه سيفيق يوماً ما بعد فوات الأوان ويجد نفسه قد فقد شبابه وقوته ، مدركاً بعظم الأمر وقبح ما فعل ، فتيار اللهو الذي جرفه في شبابه وظلمة الغفلة التي غطت على بصيرته وحجبت عنه نور الهدى لا بد أنها ستزول عنه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الصُرَيْحِيُّ ، ولد ونشأ في غرناطة ، وتلمذ على ابن الخطيب وجعله في حاشية السلطان كاتباً ولقب بالرئيس ، وتصدر لتدريس الفقه والتفسير واللغة ، وكان شاعراً وجدانياً وشاحاً وخطيباً مسترسلاً ، وناقداً ، له من القصائد السلطانيات ، والعديدات ، واعتذاريات ، وميلاديات ، وصبرحيات ، وغيرها ، اقتحم عليه السلطان داره وقتله مع ولديه وعدداً من خدمه وأنصاره . ترجمته في : ابن الخطيب : " الكتيبة الكامنة " ، ص ٢٨٢ - ٢٨٨ ، و " الإحاطة " ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، والمقري التلمساني : " نفع الطيب " ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .

(٢) " ديوان ابن زمرّك " ، ص ١٦٠ ، وفيه " لم تقدح الأيام " ، ود . سيد غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٥٤٧ ، وما بعدها .

ويضيء نور البصيرة والحقيقة التي تعامى عنها حين يبرز ضوء الشيب الوهاج على ظلمة الليل الحالك ، ويوقظه ناعي الموت — الشيب — ويجعله يندم .

هذه المقابلة اللطيفة بين " نام - يوقظه ، وليل - صبح ، والمشيب - الشباب " جمعت بين ثلاثة معانٍ متناقضة ، كان لها أثرها البليغ في توضيح الحقيقة وإجلالها أمام أعين الغافلين المتناسين سبب وجودهم في الحياة .

وشخصَ الدهر في صورة من يعقل وأنزله منزلة الواعظ الحكيم ، من يوقظ الغافل إلى الأعمال الصالحة ويحثه على النهوض من عجزه بعد ما ضيق عليه الدهر مجال اللّهُو بظهور الشيب المنذر بقرب الأجل و بعدما أفنى جُلَّ عُمره في اللّهُو ، حيث يقول :

يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ أَلَا نَهْضَةٌ قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ^(١)

وناداه بأداة نداء البعيد " يا " تمكماً ؛ لبعده عن طريق الحق والهدى وانغماسه وإصراره على اتباع طريق اللّهُو والمعاصي ، وكأنه يوبخه على ذلك ، وأتت " قد " التحقيقية زيادة في تأكيد المعنى ، وهو ضيق مجال اللّهُو عليه بعد ما كبر وأيقظه صبح الشيب المشرق بنوره المضئ لرأسه .

فلا يظن الغافل أن صباه روضة غناء يهنأ فيها متمتع بلذائذها نائم تحت ظل أشجارها الوارفة الظلال ، و هي صورة خيالية لمرحلة الصِّبَا التي لا تلبث أن تقضي أجلها وتنتهي مدتها ، كعيش الإنسان في هذه الحياة ما هي إلا سويغات ينام فيها ثم يوقظه الموت في برهة من الزمن تمر سريعة ، وعبر عنها بقوله " يقظة " ، فحياة الإنسان التي يقضيها بين الحياة إلى أن يأتيه الموت قصيرة سريعة كطيف الخيال الذي يترأى له ما بين يقظته ومنامه وسرعان ما يزول عنه ويرى الحقيقة شاخصة أمام بصره حين يفيق من نومه ، فيقول :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصِّبَا رَوْضَةٌ تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فِيءِ الظَّلَالِ
فَالْعِيشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخِيَالِ^(٢)

(١) " ديوان ابن زمرك " ، ص ١٦٠ .

(٢) تأثر في هذا البيت بقول ، أبو الحسن التهامي " ت ٤١٦ هـ " :

فالعيشُ نومٌ و المنيّةُ يقظةٌ و المرءُ بينهما خيال ساري

" ديوانه " ، تحقيق : عثمان الفريح ، ط (١) ، (الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) ، ص ١٥٥

جاءت المقابلة في صدر البيت بين " عيش بمعنى الحياة " ، والمنية بمعنى الموت " ، وبين " نوم - يقظة " ؛ لتوضيح صورة الحياة والموت وموقف الإنسان فيهما للغافل ليدرك ما بقي من عمره ، ويضيف ابن زمرك صورة جديدة لسرعة انقضاء عمر الإنسان وقصر أجله في الحياة ، وقرب لقائه بربه - الكريم - وهي صورة السحاب المتراكم في السماء المتنقل من مكان إلى آخر فهو دائم الحركة كالإنسان المتنقل بين مراحل العمر حتى يفضي إلى النهاية الحتمية إلى الموت ولقاء الله ، واستعمل " قد " التحقيقية لإثبات مضي العمر سريعاً ، ويلفت انتباه الغافلين ويوقظهم ليدركوا ما بقي لهم من العمر .

والملفت للانتباه هذه التورية الرائعة بين " نوم و يقظة " والتي هدف من خلالها إلى وصف الغفلة التي قضى فيها الإنسان وقتاً طويلاً من حياته بمن يقضي طول عمره في النوم ، والصحوة من هذه الغفلة والعلم بحقيقة الحياة كاليقظة من سبات عميق ، وكأن الإنسان قد أدرك ما كان يجهله حين آب إلى رشده وأيقظ بصيرته وأيقن بخطورة الأمر وأهميته ، حيث يقول :

وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبُ^(١)

لا يزال الوشاح يصور هذه الحقيقة محاولاً إثباتها بضرب الأمثلة ووسائل التصوير المختلفة ليجعل الأمر واقعاً ملموساً يتخيله الإنسان أمام بصره مدركاً لخطورة الأمر ويعمل لآخرته ، لكنه يظل على الرغم من ذلك مخدوعاً بالحياة ، وقد أفنى عمره متمتعاً بملذاتها وشهواتها ... ظاناً أنها الحياة الأبدية الباقية ، فهو كالظمآن الهائم على وجهه يترأى له السراب ماء ، وسرعان ما يكتشف الحقيقة حين يقترب منه فيزول شكه ، ويصل إلى اليقين ، فيقول :

وَأَنْتَ مُخْدَوْعٌ بِلَمْعِ السَّرَابِ تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٢)

(١) " ديوان ابن زمرك " ، ص ١٦٠ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٦٠ .

وجميع ما في الحياة وما حوته من أصناف الزخرف والمتع ما هو إلا كظلال من الوهم والغفلة التي تخدع الغافل ، والظل لا يثبت و لا يقرُّ في مكان فهو دائم التنقل حتى يزول صاحبه و بالتالي يزول أثر الإنسان ووسائل المتعة التي كان يتمتع بها في حياته بعد مماته ، ويُقرُّ بأنَّه كان عبداً لهواه لم يعرف الحق ولم يفرق بينه وبين الباطل محلاً لنفسه كل وسائل وأساليب المتعة ، غير عابئ برادع ، حيث يقول :

والله ما الكون بما قد حوى إلا ظلالٌ تُوهِمُ الغافلا
وعادةُ الظلِّ إذا ما استوى تبصرةً مُنتَقِلاً زائلاً
إنَّا إلى الله عبيدُ الهوى لم نعرفِ الحقَّ ولا الباطلا

فطابق بين " استوى ومنتقلاً زائلاً " فعنى باستواء الظل ثباته وبقاءه وهو على العكس من تنقله من مكان إلى آخر وزواله بعد ذلك ، كالإنسان المتنقل من مرحلة إلى أخرى في حياته ثم زواله بموته ، كما طابق أيضاً بين " الحق والباطل " وجانس بين " حوى وهوى " ويدعو إلى التمسك بحبال الله _ تعالى _ ويرجوه وحده مقبلاً على طاعته صادق التوبة قد خلص نفسه من أدران الذنوب ليحظى بعفوه ويكون في زمرة الفائزين ، فيقول :

فكُلُّ مَنْ يَرْجُو سِوَى اللَّهِ خَابَ وَإِنَّمَا الْفَوْزُ لِعَبْدٍ مُنِيبٍ
يَسْتَقْبِلُ الرَّجْعَى بِصِدْقِ الْمَتَابِ وَيَرْقُبُ اللَّهُ الشَّهِيدَ الرَّقِيبُ

ويعيد الحديث عن ندمه وحسرتة على عمره الذي مضى وشبابه الذي انقضى سريعاً في لهو وسهو كمرور البرق وإقبال الشيب ، فالشباب ضيف عزيز مرحب به بعكس الشيب الذي يلاحقه كلما فر منه .

وطابق بين اسمين " الصبا " وذكره بدلاً من الشباب لأنها مرحلة للتصابي واللّهو وعدم التعقل ، وبين " الشيب " الكبر الذي يصاحبه رجاحة العقل وكبح جماح الهوى والتصابي ، حيث يقول :

يَا حَسْرَتَا مَرَّ الصَّبَا وَانْقَضَى وَأَقْبَلَ الشَّيْبُ يَقْصُ الْأَثَرَ
وَاحْجَلْنَا وَالرَّجُلُ قَدْ قَوَّضَا وَمَا بَقِيَ فِي الْخُبْرِ غَيْرُ الْخَبَرِ

ادحر الزاد بطول السفر

ويبتني بو جنب تيمام مصي

يتمنى لو عمل صالحاً في شبابه ليدخره لآخرته كما يدخر المسافر زاده ليتزود به في طول رحلته وبعد المسافة ، إذ لا يمكنه أن يجد من يزوده ، فهل كان ابن زمرك مسافراً ليدخر زاداً لسفره ، وإلى أين كانت وجهته في رحلته الطويلة حتى يعد لها زاداً وفيراً والتي سيندم إن رحل بغير زادٍ له ؟

لقد قصد من وراء هذه التورية اللطيفة ، رحلة الحياة الطويلة التي يقطعها الإنسان منذ ولادته إلى نهاية المطاف بحياته وموته ، وهذه الرحلة لا بُدَّ له فيها من زاد من الإيمان واليقين والعمل الصالح وجهاد النفس ليكبح جماح هواها ، و يحظى بالسعادة في الآخرة ويطيب له ختامه ومآله ، فقد حان الوقت بعد ما علاه المشيب أن يهجر التصابي ويرجع إلى رشده ويفر من هوى نفسه مسافراً إلى ربه تائباً ، فيقول :

ورائدُ الرُّشدِ أطالَ المغيَّبُ

قد حانَ من ركبِ التصابي إيابُ

كمَ ذا أناديكَ فلا تستجيبُ .

يا أكمه القلب بعين الحجابُ

ويصفه " بأكمه القلب " الذي عميت بصيرته لارتداء القلب لباس الشهوة وتغطيتها عليه فحجبته عن رؤية الحق والصلاح متخبطاً في طريق الظلمات ، فكم ناداه داعي العقل والرشد ، ولكنه لا يستجيب له ؛ لبعده عن الحق وانغماسه في الشهوات فبعدت مكانته ؛ لذا استخدم " يا " النداء مع قرينه منه لتناسب المقام ، كما دلت " كم " الخبرية على كثرة وعظه وحثه على العودة إلى طريق الهدى .

ثم ينتقل إلى مدح مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - فيبين مناقبه التي حباها الله بها ويتمنى الرحيل لزيارة داره محملاً بالزاد لطول المسافة وبعد الديار ، فجأه زخر للفقر ، متخذاً من حبه للرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - زاداً ومتاعاً في رحلته ، وأشواقه أنيس في رحلته ، فهو هادي الناس إلى طريق الحق والهدى ، الشفيع بإذن ربه يوم المحشر ، راجياً أن يحظى بشفاعته يوم الحساب ، حيث يقول :

والمصطفى الهادي شفيعُ مُطاعٍ

هل يُحملُ الزادُ لدارِ الكريمِ

وحبُّه زادي ونعم المتاعُ

فجأه زخرُ الفقيرِ العديمِ

والله سَمَاءُ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ فَجَارُهُ الْمَكْفُولُ مَا إِنَّ يُضَاعَ
عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَلَجَأُ الْخَلْقِ لِرَفْعِ الْكُرُوبِ
يَلْحَقُنِي مِنْهُ قُبُولٌ مُجَابٌ يَشْفَعُ لِي فِي مُوبَقَاتِ الذُّنُوبِ (١)

كما صَوَّرَ الْخَلْقَ فِي مَصِيرِهِمُ الْحَتْمِي إِلَى الْمَوْتِ ، وَالْكَوْنِ بِمَا فِيهِ مِنْ رَوْعَةٍ وَجَمَالٍ ،
وَيَرَى الْكَوْنَ زَهْرَةً لَمْ يَشَقْ عَنْهَا الْكَامِامُ لِتَخْرُجَ إِلَى الْحَيَاةِ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ قَبْلُ .
وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - نَبِيَّهُ الْكَرِيمَ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ -
مَزِيَّةَ فَضْلُهُ بِهَا عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهِيَ " الشَّفَاعَةُ " الَّتِي مَنْحَهُ
اللَّهُ إِيَّاهَا وَأَذِنَ لَهُ بِهَا لِأَمْتِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ ، فَيَقُولُ :

يَا مُصْطَفَى وَالْخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمِ وَالْكَوْنُ لَمْ يُفْتَقِ كِمَامَ الْوَجُودِ
مَزِيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقَدَمِ بِهَا عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ تَسْوَدُ .

وَيُشِيرُ إِلَى مَوْلَدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَبَقْدُومِهِ ، قَدِمَ السَّعْدُ عَلَى الْأُمَّةِ
وَأَنْجَزَ اللَّهُ بَعِثَهُ وَعَدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ لَخَلِيلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - ، وَاسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . (٢) حَيْثُ
يَقُولُ ابْنُ زَمْرَك :

مَوْلَدُكَ الْمَرْقُومُ مَا نَجَمَ أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَعَدَ السُّعُودُ
نَادَيْتُ لَوْ يَسْمَحُ لِي بِالْجَوَابِ شَهْرَ رَبِيعٍ يَا رَبِيعَ الْقُلُوبِ
أَطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ احْتِجَابٍ شَمْسًا وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ غُرُوبِ

جَانِسُ بَيْنَ " رَبِيعٍ وَرَبِيعِ الْقُلُوبِ " قَاصِدًا بِالْأَوَّلَى الشَّهْرَ الَّذِي وَلَدَ فِيهِ
النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ شَهْرُ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَرَبِيعُ الْقُلُوبِ سَعَادَتُهَا وَفَرَحَتُهَا

(١) إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

رُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ سُورَةُ التَّوْبَةِ ، آيَةٌ : (١٢٨) .

(٢) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، آيَةٌ : (١٢٩) .

وبهجتها ، بعد ما بعثه الله _ سبحانه وتعالى _ هادياً وبشيراً وأيده بالمعجزات والبراهين الدالة على صدق نبوته جهاً أمام الأعين كالشمس الساطعة في وضوح النهار لا يحجبها شيء ، ولا يفوق ضياءها ضوء ؛ لأنها دائمة الإشراف لا تغرب ، قد كسا الله بنورها الأرض حلة من النور والضياء .

والمكفر من بحر " السريع " الذي يمتاز بتعدد مقاطعه ، وهو من البحور الطويلة التي ناسبت الموضوعات التي تطرق إليها الوشاح ، فنراه ييوج بخلجات نفسه وأمانيه ، مستوعباً المعاني التي تطرق إليها ^(١) . وقد عارض بهذا المكفر ، موشحاً له في وصف غرناطة والطرده استهله بمقدمة غزلية واصفاً عهد شوقه وذكريات صبوته ، فيقول :

لله ما أجمل روض الشباب من قبل أن يفتح زهر المشيب
في عهده أدرت كأس الرضاب حبائبها الدر بشعر الحبيب ^(٢)

فجعل الشباب في صورة الروضة الغناء الجميلة المظهر ، لكنها ما تلبث حتى يسوء منظرها ويقبح شكلها حين يتفتح زهر المشيب فيها ، إلا أن ابن زمرك قد عكس القافية في البيتين عنهما في المكفر عنه فجعل المشيب أولاً ثم الحبيب على خلاف ما في المكفر .

ووصف المحبوبة بأجمل الصفات التي متعها الله بها ، فهي بيضاء مشرقة يخجل البدر منها حين يظهر للعيون فضاءها قد فاق ضوءه ، وهي لينة القوام قد فاقت بليتها لين الغصون ، وحين ترنو ببصرها تذهل قلب من يراها بسحر جفونها وجمالها ، فأبصر جمال وجهها حين حطت النقاب عن وجهها فبدت كشمس لا تغيب قد طال انتظار شروقها ، فحقق ما تصبو إليه نفسه بعد طول انتظار وترقب ، و انصرف عنها لحظة خوفاً من رقيب يراه فيوشي به ، حيث قال :

من كل من يخجل بدر التمام إذا تبدى وجهه للعيون

(١) مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن " دور "

مستفعلن مستفعلن فاعلات مستفعلن مستفعلن فاعلات " قفل " .

(٢) " ديوان ابن زمرك " ، ص ١٥٨ ، د . غازي : " ديوان لموشحات " ، ج ٢ ، ص ٥٤٤ .

وَيَفْضَحُ الْعُصْنَ بِلَيْنِ الْقَوَامِ	وَأَيْنَ مِنْهُ لَيْنٌ قَدْ الْغُصُونُ
وَلَحْظُهُ يَمْضِي مَضَاءَ الْحَسَامِ	وَيُذْهِلُ الْقَلْبَ بِسِحْرِ الْجُفُونِ
أَبْصَرْتُ مِنْهُ إِذْ يَحْطُ النَّقَابُ	شَمْساً وَلَكِنْ مَالَهَا مِنْ مَغِيبِ
إِذَا تَجَلَّتْ بَعْدَ طَوْلِ ارْتِقَابِ	صَرَفْتُ عَنْهَا اللَّحْظَ خَوْفَ الرَّقِيبِ

ويبحث عمن يلتمس له العذر ولفؤاده الذي صبا حين رأى هذه المحاسن فخفق قلبه حباً وشوقاً حتى كاد يطير من مكانه تعيره ريح أشواقه خفوق الجناح ، فقد أصبح كالطائر الذي له جناحان يطير بهما تساعده الريح حين تهب على سرعة خفقات جناحه ، فهو مولع بعهد الصبا وما فيه من الأشواق ، لا يجد حرجاً من ذلك فنار الشوق متأججة في فؤاده قد أحرقت كبده بلهيبها ، فلم يبق له سوى جفون يهطل منها الدمع الغزير - كالسحب الدائمة الهطول - حتى استحالت دموعه الغزيرة إلى روضة قد نبت زرعها على خده .

فيقول :

مَنْ عَاذَرِي مِنْهُ فُؤَاداً صَبَاً	لِلَامِعِ الْبَرْقِ وَخَفَقِ الرِّيحِ
يَطِيرُ إِنْ هَبَّ نَسِيمُ الصَّبَا	وَهَلْ عَلَى مَنْ قَدْ صَبَا مِنْ جُنَاخِ
فَقَلْبُهُ مِنْ شَوْقِهِ فِي التَّهَابِ	قَدْ أَحْرَقَ الْأَكْبَادَ مِنْهُ الْوَجِيبُ
وَالْجَفْنُ مِنْهُ سُحْبَةٌ فِي انْسِكَابِ	قَدْ رَوَّضَ الْخَدَّ بِدَمْعِ سَكِيبِ ^(١)

جانس بين " صَبَاً " و " الصَّبَا "

ثم ينتقل الوشاح إلى وصف غرناطة ، والطرود وغايته ومن ثم يختمها بمدح السلطان والملاحظ أن ابن زمرك لم يختم المكفر بخرجة هذا الموشح ، بل اكتفى بالتشابه في المطلع ، وختمها بغرض المديح ، كما تشابها من حيث الوزن والقافية ونهاية الأَشْطَرِ الأولى في المطلع والقفل والخرجة بنفس حرفا التأسيس و الروي ، وهما " الألف ، والباء ، والياء ، والباء في الكلمة الأخيرة من المطلع و الأقفال " .

(١) " ديوان ابن زمرك " ، ص ١٥٩ ، " ديوان الموشحات " ص ٥٤٥ .

الدراسة الفنية للمقطعات

أثر القرآن الكريم

أكثر شمس الدين الواسطي من الاقتباس من القرآن الكريم، حيث يقول :

مثل الورد على الماء المعين مثل الإنسان^(١)

فشبه الورد الذي نبت وسُقي من ماء الله الذي أجراه وأنبعه سائحاً في أقطار الأرض ، وقد تشبع به الورد وأخذ ما يحتاج إليه منه ، بالإنسان في مرحلة الشباب وهو غض الغصن ، قوي البنية مليء بالحياة ، فأخذ صفة " الماء المعين " من قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾^(٢) وقوله :

مثل الدنيا كبيت العنكبوت أمرة موهون^(٣)

شبه من اتخذ أيامه في الحياة الدنيا سهواً وغفلة ، مضيعاً أوقاته فيها ظناً منه أنها الدار الأبدية المقيم فيها بلا فناء ، وهي حقيرة في حقيقتها ضعيف شأنها كبيت العنكبوت وما فيه من الوهن والضعف ، فأمر الدنيا بالغ الغاية من الوهن ، وأوهن ما يعتمد عليه في الحياة اللهو والسهو ، قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤) والصورة الأخرى ، صورة أهوال يوم القيامة ، اليوم الذي وعد الله الخلق بجمعهم فيه ، وعرضهم على ربهم للحساب والجزاء ، حيث قال :

سيعود الكل في يوم المعاد إذ يقوم العرض^(٥)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢٢ .

(٢) سورة الملك ، آية : (٣٠) .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٢٢ .

(٤) سورة العنكبوت ، آية (٤١) .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٢٤ .

أخذه مع تصرف من قوله تعالى : ﴿وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودُ﴾^(١)

وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^(٢) .

كما صور الخلق يوم ينفخ في الصور وقد خرجوا من قبورهم شاخصة أبصارهم لا تطرف من شدة هول ذلك اليوم ، وفزعهم من أحداثه ، فيقول :

كُلُّهُمْ يَسْعَى إِذَا مَا الصُّورُ صَاحَ شَاخَصَ الْأَحْدَاقُ^(٣)

تأثر بقوله تعالى : ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٤) وقوله : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^(٥)

وعلامات ذلك اليوم العظيم ، أنه يوم يجازى فيه المترفون المنعمون بالمعاصي في الحياة الدنيا حين تستحيل وجوههم سوداء بعد ما كانت بيضاء مشرقة من جرأ التنعم بالملذات حيث يقول :

فَلَكُمْ مِنْ أَوْجِهٍ ثُمَّ صَبَاحَ حَظَهَا الْإِحْرَاقُ .^(٦)

وهو وصف نقله الوشاح من القرآن الكريم مع تصرف في ألفاظه ، وقد جاء في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٧)

(١) سورة البروج ، آية : (٢) .

(٢) سورة الحاقة ، آية : (١٨) .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٢٤ .

(٤) سورة الأنبياء ، آية : (٩٧) .

(٥) سورة طه ، آية : (١٠٢) ، وانظر : سورة الأنعام ، آية : (٧٣) ، و سورة إبراهيم ، آية : (٤٢) ،

و سورة النمل ، آية : (٨٧) .

(٦) انظر الشاهد : ص ٢٢٤ .

(٧) سورة آل عمران ، آية (١٠٦) .

ويصف ديار أحبته وقد حصدهم الموت ولم يُبق منهم أحداً بعد ما كانت عامرة بهم مزدحمة
بالساكنين ، فيقول :

أَصْبَحَتْ دَارُهُمْ بَعْدَ الزَّحَامِ مَا بِهَا دِيَارٌ .^(١)

واقتبس هذا الوصف من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دِيَارًا ﴾^(٢)

كما شبه ابن زمرك سرعة مرور عمر الإنسان وزواله والإنسان في غفلة لا يشعر بتوالي
الأعوام عليه فتمر مر حثيثاً ، لا تكاد تتضح حركتها ، حيث يقول :

وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبٌ^(٣)

أخذ هذا الوصف من قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ
السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾^(٤)

كما شبه الخداع الإنسان الغافل ببريق الحياة الدنيا وملذاتها الفانية ظناً منه أنها ستنتفعه في
الآخرة ثم تخيب أمله في العاقبة ، ويلقى خلاف ما قدّر ، فخدعته وأغرته ، بلمع ضوء
الشمس في الظهيرة حين يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ، وهو في الحقيقة خدعة
بصرية ، وقد غلبه العطش فيأتيه فلا يجد ما رجاء فيقول :

وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بِلَمْعِ السَّرَابِ تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٥)

تأثر بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾^(٦)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢٨ .

(٢) سورة نوح ، آية : ٠ (٢٦) .

(٣) انظر الشاهد ص ٢٥٨ .

(٤) سورة النمل ، آية : (٨٨) .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٥٨ .

(٦) سورة النور : آية (٣٩) .

الصُّورة الفنية

الصورة : هي الهيكل الفني للعمل الأدبي و إحدى الخصائص النوعية التي تميز الأنواع الأدبية باعتبارها عملاً تخيلياً متميزاً في أنواعه و أنماطه ، و هي أكثر عناصر الصياغة الشعريّة جاذبية و إثارة تعكس مدى براعة الأديب و قدرته في تجسيد الحقائق النفسية و الذهنية التي يريد التعبير عنها و إيصالها إلى المتلقي ، و كانت المادة التي استمد منها الأديب صورته الطبيعة . و لا تختلف الصُّورة في الموشح كثيراً عنها في الشعر فهي الأداة التي تحمل إحساس الأديب ، و تصور عالمه الداخلي .

تنوعت ألوان الصُّورة ، و اختلفت أنواعها ، فمنها ما كانت قائمة على التشبيه ، أو الاستعارة ، أو الكناية ، و منها ما كانت قائمة على الاقتباس من القرآن الكريم .
الصُّورة القائمة على التشبيه :

من أبرز وسائل التصوير و ركن من أركانه التي يستعين بها الأديب في نقل المعنى ، وسيلة تنفذ إلى أعماق النفس قوامها المزج بين الإحساس و الأشياء و الربط بينها .
في مقام تصوير رونق الحياة و جمالها ، وبديع خلق الله فيها وما أجرى فيها من الأنهار المحاطة بالخضرة ، والبساتين ، بالوشاح المطرز بخيوط الذهب ، فيبهر من يراه بجمال خيوطه وبريقها ، لكنه لا يلبث أن يبلى ، ويصبح خلقاً لا نفع منه بعد ما ذهب بريقه ورونقه ، كذلك الحياة لا تلبث أن تفنى وتفقد مزاياها وجمالها المغربي ، حيث يقول شمس الدين الواسطي :

وَبَدَتْ فِي خُضْرَةِ الْمَاءِ الْقَرَّاحُ صُفْرَةُ الْأُورَاقِ
كَطِرَازٍ مُذْهَبٍ فَوْقَ وَشَاحٍ صِنْعَةُ الْخَلَّاقِ^(١)

من الصور القائمة على التشبيه ، صورة عمر الإنسان حين يولي عنه سريعاً كطيف في المنام أو كطير سقط على الأرض ليلتقط شيئاً وهو مذعور خائف من انقضاض حيوان مفترس

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢١ .

و يقضي عليه ، فسرعته خاطفة سريعة كسرعة الطيف الذي يزول سريعاً ويتلاشى من ذهن

الإنسان حين يستفيق من نومه ، فيقول :

خَلَفَ الْحَسَرَاتِ

أَيْنَ عُمْرِي ؟ وَعَلَى عُمْرِي آه

حَامِلَ الْأَوْزَارِ

زَارَ كَالطَّيْفِ وَوَلَّى بِسَلامٍ

أَوْ كَطِيرٍ طَارَ (١)

لَمْ يَكُنْ إِلَّا كَطَّيْفٍ فِي الْمَنَمِ

ومن الصور القائمة على التشبيه في المكفر ، مرحلة الصبا التي يمر بها الإنسان ، وما يميزها من الفتوة والنضارة والروعة ، يشبهها بالروضة النضرة الغناء ، وكأنه ينام فيها مطمئناً بدوامها منعماً تحت ظلالها ، قد التحف بأشجارها وأوراقها ، ظناً منه أنها مرحلة دائمة لا تفنى ولا تزول ، وهي صورة صاغها ابن زمرك في مقام التحذير من الركون إلى الدنيا ، حيث يقول :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فِيءِ الظَّلَالِ (٢)

كما صور سرعة زوال الإنسان وانقضاء مدته في الحياة وغفلته فيها ، ويقظة موته ، وكأنه خيال سار يعبر بمخيلته وهو بين نوم وغفلة الحياة ، ويقظة الموت ، فيقول :

فَالْعَيْشُ نَوْمٌ وَالْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهُمَا كَالْخَيَالِ (٣)

وهي صور ترمز بإشارة منه إلى لفت انتباه الإنسان إلى سرعة انقضاء حياته في الحياة وقرب موته ، و يحثه على الاستفادة مما بقي له من العمر قبل فوات الأوان .

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢٦ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٥٧ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٥٧ .

انظر إلى بعض الصور القائمة على التأثير بالقرآن عند شمس الدين الواسطي ، و ابن التردة ، و في مبحث أثر القرآن الكريم .

الاستعارة :

لون من ألوان التصوير الفني ، و ركن من أركان البيان ، شاع استعماله في الفنون الأدبية ، و تفنن فيها الأدباء ، تعددت أنواعها و اختلفت أساليبها .

استعان ابن الصباغ ببعض الصور القائمة على الاستعارة ؛ لتوضيح بعض معانيه و إجلالها أمام الناظرين ، كما جاء في قوله : " حلّ المشيب و ولّى العُمر " ، حيث جعل المشيب ضيفا ثقيلا تفاجأ به و بمقدمه ، فتولى و رحل عنه شبابه و عمره الوردى على سبيل الاستعارة ، و في المثال أيضا ، طباق لطيف بين " حلّ و ولّى " فاللفظتان توحيان بما فيهما من معنى عميق إلى الاستقرار و التمكن و سيطرة الشيب الذي أزال عن طريقه كل ما يُعيق قدومه من لهُو و تصابٍ مصاحبٍ مرحلة الشباب ، و رحل الشباب و ولّى بلا رجعة و برحيله ولّى عُمره الحقيقي ؛ لأن مرحلة الشباب هي أطول مرحلة في عُمر الإنسان فيها عنفوان الصِّبا و قوة البنية ، و ثبت مكانها الوقار و الهدى و الرشاد ، و أتى الطباق بين فعلين ما ضيّن دلّ كلّ منهما على الثبوت و التمكن مما زاد المعنى و ضوحا و بيانا ، ثم أعقبه بتكرار دلّ على التعجب و اللهفة ، في قوله : " واهّا و واهّا " .

كما شبه تعلقه بالشباب و حرصه على اللّهُو و التصابي في هذه المرحلة بالنّار المتأججة التي لا تحبو ، فلا زال اللّهُو مستعرا في فؤاده ، فقال : " و نار حرصك ما إن تحب " .

و يقول في صورة أخرى : " يا شاديا و الجوى يستعر " ، وهي صورة لما يختلج في أعماقه من أشجان أيقظها هدير الورق على الأغصان و كأنها تقاسمه همومه حتى أصبح فؤاده يستعر نارا من شدة الشجن و الحزن اللذين تحولا إلى و قود لهذه النّار .

من الصور القائمة على الاستعارة أيضا ، و صف شدة شوقه إلى زيارة المدينة المنورة ،

و كأن هذا الشوق تحول إلى نارٍ أضرمت في فؤاده فيقول :

فلهيبُ الشَّوقِ في كبدي تركَ الأحشاءَ تَضْطَرُمُ^(١)

كما صاغ الصورة ذاتها في موضع آخر ، حيث يقول :

وضرامُ الشَّوقِ في أضلعي فأرحموا بحقكم مصرعي^(٢)

وجعل الشيب نذيراً للإنسان ، كالواعظ الذي يحذره من استمرار غيه وعاقبة أمره إن هو استمر في لهوه ومجونه فيقول :

وأُنذرك الشَّيبُ لو يَنْفَعُ .^(٣)

ومن صور الاستعارية المنبثقة من النصوص ، التي استشهد بها ابن زمرك ، صورة الكون في نهاية الزمان وقد فقد كل شيء جميل فيه استعار له هيئة الزهرة التي لم يشق عنها كما لها لتخرج إلى الحياة ويبرز جمالها وحسنها ، حيث يقول :

يا مصطفى والخلق رهنُ العدم والكونُ لم يفتقِ كمام الوجُود .^(٤)

ويصور ابن أبي جمعة عمق مأساته بفقد صباه وشبابه ولم يجد من يعينه على التسلي عنه ، حتى الصبر تحول إلى إنسان له القدرة على الرفض أو القبول ، فهو عاصٍ لا يلين ولا يقدم العون لمن يحتاج إليه فيقول :

فكيف لي عنه بالتَّسلي والصبرُ عن طاعتي أبي .^(٥)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٥١ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٥٣ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٤٨ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٢٦١ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٣٣ .

أنظر إلى أمثلة للاستعارة عند ابن الصباغ ، وشمس الدين الواسطي ، وابن أبي جمعة .

الكناية :

أداة هامة من أدوات التصوير الأدبي ، شاع استعماله في الكلام منذ القدم ، و قد استعملها
الوشاح كأداة لنقل المعنى إلى المتلقي في صورة مألوفة لا تعمق فيها و لا غموض .

من الصور القائمة على الكناية ، التي استفاد منها الوشاحون في إيضاح بعض المعاني ، مرحلة
الشباب وما فيها من النشاط والجد ، والشيب وما فيه من الفتور والميل إلى الراحة لأفول
القوة، وبما أن الصبح يبعث على النشاط و الجد في العمل ، و الأصيل و ما يوحي به من
الزوال و غروب الشمس و أفول النشاط و الجد في الإنسان و خمول عقله ، كُنِيَ عن الشباب
والشيب بالصبح والأصيل ، فوقت الأصيل قصير سرعان ما يزول ويحلّ محله الليل بخلاف
الصباح فترته طويلة كمرحلة الشباب ، كما أن مرحلة الشيب قصيرة كالأصيل ، فينبغي على
الإنسان أن يتزود فيها من الأعمال الصالحة ، حيث يقول ابن الصباغ :

وَصُبْحُكَ عَوَّضَتْهُ بِالْأَصِيلِ وَمَا إِنْ رَأَيْتُ أَصِيلاً يَدُومُ^(١)

ويطالعنا شمس الدين الواسطي بعدد وافر من صور الكناية ، منها ما جاء على صيغة التحذير
والحث على الاستفادة من الوقت قبل أن يحين وقت الأجل ويلحق الإنسان بركب السابقين
الذين أفناهم وحصدتهم الموت فزجوا في القبور ، فيقول :

انتبه قَبْلَ لحاقِ الأولين ومَضِيقِ الحجرِ^(٢)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٤٧ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٢٨ .

والندم على ما مضى مما يصاحب حالة التائبين ، فيقبلوا إلى الله نادمين ، تعصف بهم رياح
الحسرة والندم على ما مضى من العمر وكثرة الذنوب التي أحصيت على الإنسان في كتابه
حيث يقول :

كَدْتُ أَنْ أَحْثُوَ عَلَى رَأْسِي التُّرَابَ وَأَشَقَّ الْجَيْبَ^(١)

وأشار ابن زمرك إلى مرحلة الشباب وبريقها الأخاذ الذي يغري الإنسان بالاستمرار في
اللَّهُو والغى والتسويق ، مخدوعاً بهذا البريق ظناً منه أنه سيدوم عليه فيقول :

وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بِلَمْعِ السَّرَابِ تَحْسِبُهُ مَاءً وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٢)

ومن الصور التي رسمها الوشاحون وقامت على الكناية ، صورة سواد الشعر وما يعنيه من
الشباب ، وبياضه وما يوحي به من ظهور الشيب وكبر الإنسان ، فمرحلة الشباب مرحلة
غفلة وسهو بما فيها من اللُّهُو وكأنها قد غطت على عقل الإنسان كما يغطيه النوم ، فنسي
واجباته وتغافل عنها ، ومرحلة الشيب وما فيها من اليقظة والصحو ؛ لإدراك ما بقي من
العمر قبل فوات الأوان وهي صورة مألوفة ، حيث يقول :

وَكُلٌّ مَن نَامَ بَلِيلَ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصَبْحِ الْمَشِيبِ^(٣)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢٦ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٥٨ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٥٦ .

الخرجات

الخرجة : هي الجزء الأخير من الموشح ، وتتفق مع المطلع والأقوال وزناً وتقفيه ، وتعد أهم جزء في الموشح ، ووصفها ابن سناء الملك بقوله : "والخرجة هي إيزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره ، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة الخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة" ^(١) فينبغي أن يسبق الخاطر إليها . وتتسم بالبساطة هزازة ، سحارة خلابة ، وأتت في أغلبها مستعارة من خرجة وشاح آخر ، أو مأخوذة من زجل لزجال مشهور ، أو بها لفظة عامية من لغة أعجمية ، أو مقتبسة من مطلع موشح مشهور .

من الخرجات البسيطة التي وردت على لسان الوشاح ذاته ، خرجة ابن التردة وهي تشبه أن تكون حديثاً عادياً ، مهد لها بغصن من جزئين في ثلاثة أدوار ، بقوله :

قَدْ تَقْضَى الْعُمْرُ دَعْ لَهُ الصَّبَا	أَيُّهَا الْعَافِـل
لَا تَكُنْ مِمَّنْ إِلَى الْجَهْلِ صَبَا	تَعْسَ الْجَاهِلِـل
كُلُّ شَيْءٍ تَهْبِ الدُّنْيَا هَبَا	لَيْسَ بِالطَّائِلِ ^(٢)

لم يمهّد لخرجته بما يدل على قائلها نحو : قال ، أو غنّى أو نادى ... الخ ولكنها أتت مُمهّداً لها ، بحديثه عن غفلة الانسان وجهله في الدنيا وعمره الذي قضاه في الجهل واللّهو والانشغال بتوافه الحياة الدنيا ، محذراً منها ومن تبعاتها وما تمناه الانسان من أمنيات لا يطول منها أي شيء ، فهي تتصف بالخيانة والإدبار ، فمن يحرص على نوال شيء من مغريات الزائفة فلن يحظى بشيء غير أكفان تغطيه ليوارى بها في قبره ويترك ما اكتثره وجمعه من أموال فيها لا يأخذ منها شيئاً ، أما الفقير الذي أتعب فكره وهو يفكر في عيشه ورزقه ، وكيف يحظى بشيء منها فنهايته إلى الموت الذي سيريح قلبه المتعب .
بهذه المقدمة في الحديث عن حياة الإنسان ، ولهوه وغفلته في الحياة الدنيا مهد الوشاح لخرجته التي يحتم بها المكفر ، بقوله :

(١) " دار الطراز " ، ص ٤٠ وما بعدها .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٣١ .

كَمْ حَرِيصٍ خَلَّفَ الدُّنْيَا وَرَاحَ لَا بَسَّ الْأَكْفَانِ
وَأَخُو الْفَقْرِ تُوفَّى وَاسْتَرَا ح قَلْبُهُ التَّعْبَانِ^(١)

وهي خرجة نلمس فيها التحذير من التعلق بالدنيا ، والحث على الاستفادة فيها والتزود بصالح الأعمال قبل أن يحين وقت الأجل ، ويدق ناقوس الخطر .
انقسمت خرجات المكفر واختلفت عن بعضها ، فبينما ينص ابن سناء الملك على أن خرجات المكفر ينبغي أن تكون محتومة بخرجة الموشح المكفر عنه يلاحظ أن هناك خرجات اقتبست من مطلع موشح آخر ، أو خرجات بها لفظة أعجمية وقد تكون الخرجة مأخوذة من خرجة زجل لرجال مشهور .

خرجات مطالع الموشحات :

اقتبس ابن الصباغ خرجة إحدى مكفراته ، وهو موشحه

تَنْبَهُ فَهَذَا أَوَانُ الرَّحِيلِ وَشَمَّرَ فَلَيْسَ عَلَيْهَا مُقِيمٌ .^(٢)

من مطلع موشح ابن الفضل مكفراً عنه ، وهو قوله :

أَلَا هَلْ إِلَى مَا تَقْضَى سَبِيلٌ فَيُشْفَى الْغَلِيلُ وَتُوسَى الْكُلُومُ^(٣)

ومهد ابن الصباغ للخرجة " بقول " وهو يشكو شدة الشوق مستغيثاً مستجيراً ، فجاءت الخرجة كأنه مهد لها تلميحاً منه ، حيث يقول :

إِذَا لَمَعَتْ بِالْعَشِيِّ الْبُرُوقُ

تَذَكَّرْتُ وَادِي الْحَمَى وَالْعَقِيقِ

وَأَنْشَدْتُ قَوْلَ كَثِيبٍ مَشْـوُوقِ^(٤)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٣٢ ، و انظر موشح ابن الصباغ : " نفسك إن أردت تنفع " : ص ٢١٤ ، و موشح شمس الدين الواصل ص ٢٣١ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٤٦ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٤٩ .

وقد جرى على مثل هذا الاقتباس وشاحون أندلسيون غيره ، كما فعل لسان الدين بن الخطيب " ت ٧٧٦هـ " في موشح :

جَادَكَ الْعَيْثُ إِذَا الْعَيْثُ هَمَى يَا زَمَانَ الْوَصْلِ فِي الْأَنْدَلُسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلَكَ إِلَّا حُلُمًا فِي الْكَرَى أَوْ خَلْسَةَ الْمُخْتَلَسِ (١)

معارضاً موشح ابن سهل " ت ٦٥٦هـ " .

هَلْ دَرَى ظَبِي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّ عَنْ مَكْنَسِ
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ (٢)

وقد جعل لسان الدين بن الخطيب هذا المطلع خرجة لموشحه .
كما نظم ابن زمرك على هذا النمط في موشحه السابق (٣) .

خرجات مقتبسه من خرجة موشح معروف

هذا النوع من الخرجة هو الذي أشار إليه ابن سناء الملك في تعريفه للمكفر السالف الذكر (٤) ، وقد نظم بعض أصحاب المكفر من الوشاحين على هذه الطريقة ، فنظموا على هذا المنوال من الاقتباس أمثال ابن الصباغ في مكفره الذي مطلعها :

أَضْنَى الشَّجَى النَّحِيبَ يَا وَيْحَ مُضْنَى النَّحِيبِ (٥)

== (٤) انظر الشاهد : ص ٢٤٩ .

(١) د . سيد غازي : " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٧ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٨٢ - ١٨٥ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٤٩ .

(٤) انظر ص ٢٠٩ من هذا البحث .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٤٢ .

وخرجته :

عَلَيَّ جَارَ الرَّقِيبِ لَا كَانَ جَوْرُ الرَّقِيبِ^(١)

مقتبساً هذه الخرجة من ابن سهل ، حيث يقول :

هذا الرقيبُ مَا اسَواهُ بَظَنُّ اشْ لَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ مُرِيبُ

يَا مَوْلِي قُمْ نَعْمَلُو ذَاكَ الَّذِي ظَنَّ الرَّقِيبُ^(٢)

ومهد ابن الصباغ لخرجته بما يدل عليها داعياً لصاحب الخرجة التي اقتبسها بالرحمة ،
فيقول :

وَارْحَمَ مَقَالَ الْكَيْبِ^(٣)

نظم ابن الصباغ على هذه الطريقة عدد من المكفره موشحه السابق ومطلعه

حَلَّ الْمَشِيبُ وَوَلَّى الْعُمَرُ^(٤)

وخرجته مهد لها واقتبسها من ابن زهر :

وَدَعُ مَقَالَهَ ذِي أَوْصَابُ

مَدَّ الْخَلِيجُ وَرَفَّ الشَّجَرُ

لَقَدْ تَنَاهَا مَنْظَرٌ وَمُخْتَبَرٌ .^(٥)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٤٤ .

(٢) انظر " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، و ص ٢٤٥ من هذا البحث .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٤٥ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٢١٨ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، و انظر مكفر له في : " ديوانه " ، ج ٢ ، ص ١٥٠ - ١٥٥ - ١٥٧ ،

و مكفر ابن أبي جمعة ، ص ٢٣٢ .

خرجات مقتبسة من زجل :

اشتركت بعض الخرجات في الموشحات مع خرجات بعض الأزجال في موشح ابن الصباغ وهو قوله :

يَا نَفْسُ تُوْبِي وَأَقْصِرِي وَاسْتَبْصِرِي^(١)

وهي خرجة كما يلاحظ عليها ممهد لها ، وأتت عامية ، من ألفاظ العامة ، غزلة هزازة ، بينها وبين الصباغة قرابة كما يقول ابن سناء الملك^(٢) ، وقد اقتبسها الوشاح من مطلع لزجل لمد غليس ،^(٣) حيث يقول :

وَعَدَّ عَمَّنْ أَنْشَدَا :

اللّٰهُ يُثِيبُ مَنْ يَفْتَرِي عَلَى بَرَى^(٤)

خرجات بها لفظة أعجمية :

لم ترد في الموشح المكفر خرجة رومية أو أعجمية كاملة ، غير لفظة رومية وردت في موشح ابن سناء الملك مدعمة بخرجة المكفر ، كما أضاف إلى الخرجة لفظة عامية " ستي " وقد اقتبسها من موشح له في الجون ، فيقول :

هَـمَّ

صَغِيرِي لَا يَنَامُ مِنْ تَحْتِي

" مَـمَّ " ^(٥)

جَاعَ الْمَسْكِينُ وَصَاحَ يَا سَتِي

(١) انظر الشاهد : ص ٢١٥ .

(٢) انظر : " دار الطراز " ، ص ٤٠ ، وما بعدها .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢١٧ ، وبعض الخرجات المقتبسة من زجل لابن قزمان " ت ٥٥٥ هـ " عند ابن عربي " ت ٦٤٠ هـ " ، في " ديوان الموشحات " ، ج ٢ ، ص ٣١٥ ، وعند ابن الصباغ مقتبسة من زجل لأبي الحسن الششتري " ت ٦٦٨ هـ " ، في : " ديوان ابن الصباغ " ، ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ٢٠٣ ، وأخرى مقتبسة من زجل للبيع تلميذ ابن جحدر " ت ٦٣٨ هـ " ، ص ٢٠٣ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٢١٧ .

(٥) انظر الشاهد : ص ٢٣٧ .

وقد مهد لها بما يدل على ندمه وتوبته عن جهله وما قاله ، في موشح المجون يطلب عفو ربّه ، حيث يقول :

يَا رَبِّ عَفْوًا فَإِنِّي جَاهِلٌ يَا لَيْتَنِي عَنْكَ لَمْ أَكُنْ ذَاهِلٌ
وَلَيْتَنِي مَا اغْتَرَرْتُ بِالزَّائِلِ وَلَيْتَنِي قَطُّ لَمْ أَكُنْ قَائِلٌ : (١)

هذه اللفظة الأعجمية التي وردت في المكفر " مَمَّا " والتي تعني : " أمي " ينطبق عليها ما اشترطه ابن سناء الملك في الخرجة الأعجمية ، " سفسافا نفطياً ، و ورماديا زُطياً " . (٢) كما أتى بلفظة عامية " يا ستي " .

كما يلحظ أنها أتت في دورين وليس في قفل كما هو معروف .

الخرجات المعربة :

وردت الخرجة المعربة في معظم أنواع الموشح المكفر — الذي استشهدت به ، وهي فصيحة يغلفها الجد الذي تميز به الموضوع ، من بين هذه الخرجات ، خرجة ابن الصباغ ، حيث يحث فيها على التوبة والإنابة ، والرجوع إلى الله — تعالى — ، حيث يقول :

وهو في الذُّنُوبِ يَنْفَعُ تُبُّ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجِعْ . (٣)

ومهد لها بالحث على التوسل بالنبي محمد — صلى الله عليه وسلم — في الذي نوى الإنسان أن يسأل الله عنه من مغفرة الذنوب ، وطلب العفو ، فيقول :

بِمَحَمَّدٍ تَوَسَّلْ
فِي الَّذِي نَوَيْتَ تَسْأَلُ
فَهُوَ خَيْرٌ مِّنْ يُؤَمَّلُ . (٤)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٣٧ .

(٢) انظر " دار الطراز " ، ص ٤١ ، ٤٣ ، و انظر ص ٢٣٧ ، من بحثنا هذا .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢١٣ .

(٤) انظر الشاهد و التعليق على التوسل بالرسول — صلى الله عليه وسلم — ص ٢١٢ - ٢١٣ .

من الوشاحين الذين التزموا الإعراب في الخرجة أيضاً شمس الدين الواسطي
يختتم أحد مكفراته بالثناء على الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومدح خلفائه
الراشدين ملوحاً إليهم بما عُرِفُوا به من صفات ، ذاكراً اسم بعضهم ، حيث يقول :

وعلى فارس الجيش الهمام
وعلى أولاده الزهر الكرام
الفتى الكرّار
خيرة الأخيار .^(١)

ومهد لهذه الخرجة على لسانه مثنياً على الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وعلى
صحابته الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - ؛ وكأن الخرجة أتت مكملة لما بدأ به في
الأدوار التي سبقتها ، فيقول :

سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
وعلى صديقه تاج العلا
آلِهِ الْأَعْيَانِ
سابق الإيمان
وعلى الفاروق مأمون الملا
والرضا عثمان .^(٢)

وقد استحسّن ابن سناء الملك أن يُذكر اسم الممدوح في مقام المديح في الخرجة ، حيث
يقول عن الخرجة المعربة : " فإن كانت معربة الألفاظ منسوجة على منوال ما
تقدّمها من الأبيات والأقوال ... إن كان موشع مدح وذكر الممدوح في الخرجة فإنه
يحسّن أن تكون الخرجة معربة " .

كما جاءت الخرجة معربة " ألفاظها غزلة ، هزّارة ، سحّارة خلّابة ، بينها وبين
الصّبابة قرابة " ^(٣) في مكفر ابن أبي جمعة ، مسبوقة بقال على لسان عبادة ، حيث
يقول :

شَطْتُ بِأَحْبَابِنَا الدِّيَارِ
يَا لَائِمِي فِي الْبُكَاءِ دَعْنِي
بِلا قرار ولا منام
بِالله لَا تُكْثِرِ الْمَلَامَ .^(٤)

(١) انظر الشاهد : ص ٢٢٩ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٢٩ .

(٣) " دار الطراز " ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٤) انظر الشاهد : ص ٢٣٤ .

كما وردت عند ابن سناء الملك خرجة عامية تمتاز بالبساطة والسهولة حتى تكاد تكون حديثاً عاماً أو جزءاً من أغان شعبية ، وهو ما أشار إليه ابن سناء الملك بقوله : " والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف ، قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ولغات الخاصة " (١)

وهذه الخرجة جاءت في مكفره الثاني ، حيث يقول :

عَلِيشْ نَخْلِيكَ .. وَلِيشْ نِدَارِيكَ .. نَافِي الهَوَى قَاطِعُ طَرِيق .. لَا بُدَّ نُعْرِيكَ (٢)

وهي كما يلاحظ عامية ، استعارها من خرجة موشحه الماجن .

يلفت الانتباه بأن خرجات ابن سناء الملك أتت موافقة لحديثه عن الخرجة مستوفية لشروطها .

== تأثر الوشاح بقول الزجاجي الذي ورد في كتاب ابن رشيق : " العمدہ " ، ج ١ ، ص ١٨١ ، حيث يقول :

لئن شطّ المزار بما و نأت ديار
قلبي مستطار وليس له قرار .

(١) " دار الطراز " ، ص ٤٠ .

حجاجية : نسبة إلى ابن الحجاج البغدادي الشاعر المشهور بالخلاعة و المحون (ت ٣٩١ هـ)

قزمانية : نسبة إلى إبي بكر بن قزمان القرطي إمام الزجالين (ت ٥٥٤ هـ) .

الدّاصة : أي اللصوص و السّفلة ، و ذلك على سبيل التطرف و المحون و الغرابة .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٤٠ .

أنواع المكفر :

ذكر ابن سناء الملك أن الموشح التام هو ما بدئ بمطلع أو قفل أو بدئ بالأبيات ، والأقرب ما خلا منه (١) ، لكن أحدا من أصحاب المصادر التي وردت فيها موشحات لم يذكر تفسيراً لوجود المطلع في الموشح أو لعدم وجوده ، سوى ما ذكره أحد المستشرقين

" ستيرن " حيث رأى أن المطلع بمثابة مقدمة تتطابق في الوزن مع الأفعال ، وفائدته تكمن في التردد لدى إنشاد الموشح .، ويرى الدكتور/ سمير هيكال : " أن وجود المطلع له علاقة وطيدة بموسيقى الموشح وغنائه ؛ ويعلل لذلك بأن الوشاح عندما يقدم للموشح بمطلع في بدايته فإنه يشير إلى قافية أفعاله، فيمكن أن يستميل الوشاح إليه فيتعرفوا على لحن الموشح منذ بدايته. (٢)

وهذا التعليل قريب من تعليل التصريح في مطلع القصيدة العربية ، و ربما يعود سبب وجود المطلع في الموشح أو عدم وجوده في بعض الموشحات ، قد يعود للحالة النفسية لدى الوشاح ومدى استعداده لنظم الموشح ، وانفعاله ، والبوح بما يختلج في فؤاده ونفسه من معانٍ ومشاعر .

وسأحاول في هذا المبحث الوقوف على الأسباب النفسية والانفعالية الكامنة وراء مقدمة أو مطلع المكفر ، أو خلوه من المطلع ، ما وفقني إليه الله .

المكفر التام :

من المكفر التام الأجزاء ، مكفراً ابن سناء الملك .

الملاحظ على المكفر الأول أنه ضمن الغصن الأول منه بالغصن الأول من الموشح الماحن ،

(١) " دار الطراز " ، ص ٣٢ .

(٢) " الموشح الأندلسي و المشرقي ، دراسة مقارنة " ، مجلة : " الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات " ، مجموعة

بحوث لنخبة من الأدباء ، ط (١) ، (الرياض : مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) ، ج ٤ ،

ص ٤٤٧ .

وختمه بأسلوب الاستفهام في كلا الموشحتين ، وكأنه يشير بذلك إلى الموشح الذي كفر عنه ، كما يدل على استعداده للنظم واختياره للموشح الذي أراد أن يكفر عنه ، وهو بهذه الطريقة يتأثر بأسلوب الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي في ممحّصته المشهورة ، وكانت خرجته دليلاً آخر على ذلك مما يدل على انفعال هادئ صاحبه التفكير الرصين.

وفي مكفره الثاني يتبع الأسلوب ذاته ، إلا أنه لم يجعل التضمين ركناً فيه سوى الخرجة لكنه جعل عدد الأجزاء في المطلعين واحداً ، ويعتمدان على أسلوب الترصيع ، إضافة إلى أسلوب الخطاب في الفقرة الثالثة " وأنت في بحر عميق ، فأنت جنة الصديق " (١) .

أما ابن الصباغ فنجد مطالع المكفر عنده متنوعة ، فبعضها يتوجه بالخطاب إلى النفس وهما المكفران :

١ - نَفْسُكَ إِنِ ارْدَتْ تَنْفَعُ تُبْ إِلَى مَوْلَاكَ وَارْجِعْ (٢)

٢ - يَا نَفْسُ تُؤَيِّ وَأَقْصِرِي وَاسْتَبْصِرِي . (٣)

في المكفر الأول يكرّر الناظم الغصن الثاني " تب إلى مولاك وارجع " في جميع الأفعال حتى الخرجة وهذا يدل على انفعال الوشاح الشديد وحرصه على التوبة والرجوع عن طريق الضلال .

إضافة إلى أن ما قاله المستشرق ستيرن ينطبق على هذا المكفر وهو " الترديد عند إنشاد المكفر " ، وهذا له أثره في إقرار المعنى في النفوس واستمالتها حتى تقبل إلى التوبة والرجوع ، كما يدل مطلع المكفر الثاني على سرعة انفعال ابن الصباغ ، إذ اختار مطلعاً قصيراً سلساً ، يقوم على رد العجز على الصدر ، فيمكن معرفة قافيته بمجرد الانتهاء من إنشاد صدر البيت الأول ؛ نظراً لتكرار لفظة واحدة في الصدر والعجز ، يقول فيه :

(١) انظر الشاهد : ص ٢٣٨ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢١٠ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢١٥ .

أضنى الشجي النحيب يا ويح مضنى النحيب .^(١)

ففيه من اعتدال العاطفة ما فيه ، فالملاحظ أنه أراد وصف ما يعانيه من الأشواق ، وما يسيطر عليه من حزن وألم ، وهذا لا يكون إلا مع نفس هادئة مطمئنة وانفعال متوسط صاحبه شدة في بعض الأحيان ، ولذا نرى أن المطلع والأفقال والخرجة قامت على أسلوب رد العجز على الصدر والتكرار لبعض المعاني بأساليب مختلفة ، وهو تكرار موسيقي يتميز بالغنائية ، فما إن ينشد الغصن الأول حتى يتبادر الغصن الثاني إلى أذهان المستمعين ، و تنطق به ألسنتهم بسهولة ، و ينطبق عليه أيضا رأي الدكتور سمير هيكمل . كما تكون البيت من ستة أجزاء وقفل ، مما يدل على إن ابن الصباغ وهو ينظمه كان يتمتع بدوء الأعصاب واعتدال الانفعال وطول النفس .

المكفر الأقرع

ينطبق عليه موشح شمس الدين الواسطي ، و يبدوه بقوله :

كلهم يبكي على إلف جفاه	أو حبيب مات
وأنا أبكي على طيب الحياه	وزمان فات
أين عمري ؟ وعلى عمري آه	خلف الحسرات ^(٢)

ثلاثة أدوار تقوم على الوصف والتبرير لأسباب البكاء عنده وعند غيره من بني البشر والتحسر على ضياع العمر ، ويتميز بانفعال متوسط ؛ إذ الموشح يقوم على الشرح والتعليل واسترجاع الماضي والندم عليه ، رافقته صحوه وخوف من العاقبة . أما ابن الثردة ، فأسلوبه يوافق أسلوب الوُعَّاظ الذي يقوم على الوعظ والتذكير ، بانفعال هادئ يستطيع أن يصل به إلى القلوب فتسمعه الآذان وتعيه العقول وهو ما لا يتأتى بالانفعال الشديد السريع ، حيث يقول :

يا أيها النائم كم هذا الرقاد	انتبه كم نوم
انتبه من ذا الكرى يا ذا الجماد	تلتحق بالقوم
وتأهب لغدٍ يوم المعاد	ياله من يوم ^(٣)

(١) انظر الشاهد : ٢٤٠ ، ومكفراً ابن الصباغ ص ٢٤٦ - ٢٥١ ، ومكفراً شمس الدين الواسطي " ١ " ، ص ٢٢١

و مكفراً ابن زمرك : ص ٢٥٦ .

(٢) انظر الشاهد : ص ٢٢٦ .

(٣) انظر الشاهد : ص ٢٣٠ .

أوزان المكفر و بحوره :

جاءت نصوص المكفر على البحور الخليلية مثل مكفّرات ابن الصباغ ، ومكفر ابن زمرك فأتت على البحور التالية :

البيسط ، الرمل ، السريع ، المتقارب ، الرجز ، المديد ، وغيرها ، ومنها :
" البسيط " : وهو ما تماثلت أجزاؤه ، كالرمل والرجز والمتقارب .

و " المركب " : وهو ما اختلفت أجزاؤه ، كالسريع ، المديد ، البسيط ، فما أتى على وزن بحر البسيط^(١) موشح ابن الصباغ ، وهو بحر يتميز بالطول واستيعاب المعاني ، وسرد الحوادث ، وتدوين الأخبار ، ورسم الصور ، والرقّة ، وهو مناسب للمكفر الذي نظم على أوزانه، إذ يقوم بوصف حاله ومشاعره، ومدح النبي - صلى الله عليه وسلم -^(٢) كما نظم الأبيات في موشح آخر على البحر نفسه^(٣) .

بحر الرمل^(٤)

وهو بحر رقيق يناسب موضوعات المكفر الذي نظم عليه ، ففيه نلمس الحزن والأسى الذي سيطر على الوشاح ، وهو من البحور الصافية التي تقوم على تفعيلة واحدة تدل على الانفعال الشديد المصاحب لحالة الوشاح أثناء النظم .^(٥)

(١) أجزاؤه : مستفعّل فاعلن مستفعّلن فاعلن مستفعّلن فاعلن .

(٢) انظر مكفره : أضنى الشحي النحيب يا ويح مضني النحيب ، ص ٢٤٠ .

(٣) انظر مكفره : " حلّ المشيب و ولّى العمر " ص ٢١٨ .

(٤) أجزاؤه : فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن .

(٥) انظر مكفره : نفسك إن أردت تنفع تب إلى مولاك و ارجع ، ص ٢١٠ .

ومما جاء على وزن مختلفين ، مكفر ابن الصباغ في : " ديوانه " ، ج ٢ ، ص ١٧٧ ، و ٢٠٠ ، حيث اختلف فيهما ، وزنا الأقفال ، والأبيات .

بحر السريع^(١)

بحر يتدفق سلاسة وعذوبة ، يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ، أتت عليه موشحه ابن زمرك ، وهي حافلة بالوصف والصُّور ، والعواطف التي تتنازع الوشاح .^(٢)

بحر المتقارب^(٣)

من البحور الصافية ، ذات الرِّنة والنغمة المطربة الشديدة ، شاكلت المعاني المبتوثة في المكفر الذي يقوم على التحذير والإنذار عند ابن الصباغ .^(٤)

بحر الرجز^(٥)

بحر سهل سريع له قدرة على إيقاظ المشاعر وإثارة العواطف الكامنة ، لكنه يقصر في ذلك عن غيره من البحور لكثرة ما تحمل أجزاءه من تغيرات ، نظم عليه ابن الصباغ مكفراً له^(٦) ، وناسب الأسلوب السريع الذي تميزت به نغمة الموشحين .

بحر المديد^(٧)

بحر قلَّ فيه النظم ؛ لثقله على السمع ، لكن ابن الصباغ أخضعه لنظمه في مكفر له .^(٨)

(١) أجزاءه : مستفعِلن مستفعِلن مفعولات

(٢) انظر مكفره : لو ترجع الأيام بعد الذهاب لم تقدح الأشواق ذكرى جيب ، ص ٢٥٦ .

(٣) أجزاءه : فعولن فعولن فعولن فعولن

(٤) انظر مكفره : تنبه فهذا أوان الرحيل و شمر فليس عليها مقيم . ص ٢٥٥ .

(٥) أجزاءه : مستفعِلن مستفعِلن مستفعِلن

(٦) انظر مكفره : يا نفس توبي و اقصري و استبصري . ص ٢١٥ .

(٧) أجزاءه : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

(٨) انظر مكفره : التوى أفنت قوى جلدي فدموع العين تنسجم . ص ٢٥١ .

و أجزاءه : فاعلاتن فاعلن فعلن .

وانظر في ذلك : القرطاجني ، حازم : "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن

الخوجة ، ط (٢) ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨١ م) ، ص ٢٢٦ وما بعدها .

ود. الطيب ، عبد الله : "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" ، ط (٢) ، (بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٠ م) ،

ج ١ ، ص ١٤٧ وما بعدها و ص ٢٤٠ ، ٢٤٦-٢٤٩ ، و ٣١٢ .

خلاصة البحث وأهم
نتائجه وتوصياته

خلاصة البحث و أهم نتائجه

مضت الرسالة تنتقل في أقاليم الدولة الإسلامية الرحبة الحافلة بالشعراء والأدباء والعلماء فكان أثر الإسلام في شعرهم بارزا مستمدا من القرآن الكريم و الحديث الشريف .

و قد تمثلت رحلة هذا البحث في فصول هذه الرسالة فجاءت في مقدمة ، و تمهيد و أربعة فصول ، عرّفت في المقدمة بموضوع الرسالة ، و أسباب اختياري لهذا الموضوع ، و المنهج الذي نهجته فيه ، و وضحت ما اعترضني من صعوبات .

و أما التمهيد ، فقد تناول تعريف التوبة و الاستغفار في اللغة و الاصطلاح و الشرع ، و مثلت لهذه الظاهرة بنماذج من الشعر لبعض الصحابة في عهد النبي - صلى الله عليه و سلم - و الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - .

و تناولت في الفصل الأول : دراسة ظاهر شعر التوبة و الاستغفار من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن الثامن الهجري ، و تكون من ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : اشتمل على فئات الشعراء التائبين في العصر الأموي ، وقسمتهم إلى أربع فئات ، وهم :

١ - فئة الشعراء التائبين بعد مرض ألم بهم ، أو عند شعورهم بدنو الأجل .

٢ - فئة الشعراء التائبين من معصية أو ذنب اقترفوه .

٣ - فئة الشعراء التائبين المترددين .

٤ - فئة الشعراء الدعاة إلى التوبة .

و مثلت لكل فئة بما تحصّلت عليه من شواهد .

المبحث الثاني و الثالث : تناولت فيهما دراسة جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند الشعراء من بداية العصر العباسي إلى نهاية القرن الثامن الهجري ، مقسمة إلى قسمين إقليميين : عند المشاركة ، و عند شعراء مصر و المغرب و الأندلس ، وهذه الجوانب هي : جانب الرجاء و الابتهاال ، جانب النفس الإنسانية ، جانب الندم و محاربة إغواء

الشیطان ، جانب الدعوة إلى التوبة ، و الجانب التصوري ، و اشتمل هذا الجانب على تصوير الحياة الدنيا ، و المرحلة الأولى من العمر - الشباب - ، و الشیب ، و الذنوب ، و العابد ، الموت ، و القبر ، و اليوم الآخر ، و انفراد الأندلسيون بتصوير بعض النکبات التي حلت بهم .

و قد لاحظت في ذلك تفوق المشاركة من ناحية التدفق العاطفي ، و صدق الشعور على الفئة الثانية .

أما الفصل الثالث : فقد اعتنيت فيه بدراسة شعر المَحَصَّات الذي قمت بجمع ما توفر لي من نصوصه ، و قسمته أيضاً إلى ثلاثة مباحث ، تناولت في المبحث الأول : التعريف بالظاهرة ، ونشأها ، و سبب تسميتها ، و الفرق بينها و بين شعر الزهد ، ثم قسمت دراسة المَحَصَّات إلى قسمين ، القسم الأول لدراسة المَحَصَّات التي جرت مجرى النقائض ، كما أشار الحميدي " ت ٤٨٨ هـ " في كتابه " جذوة المقتبس " (١) إلى أن هذا النوع يعتمد على النقض ، فحاولت الوقوف على شعر الشعراء في دواوينهم ، فجمعت أشعارهم في الزهد و الوعظ ، و نقيضتها في المجون - الغزل و الخمر - التي تتفق معاً في الوزن و القافية ، فحوت المجموعة نقائض لثمانية شعراء .

و القسم الثاني ، لدراسة المَحَصَّات التي نُصَّ عليها إما باعتراف أصحابها ، أو إشارة بعض الدارسين القدامى أو المحدثين إليها ، و هم أربعة شعراء .

و درست في الفصل الثالث : الجوانب الفنية للشعر المقصد ، و استفتحته بدراسة أثر القرآن الكريم ، و الحديث الشريف ، و أتبعته بدراسة الصورة الفنية و ظاهرة التكرار ، و التجربة الشعرية ، كما تناولت عدداً من التجارب الشعرية التي يتجلى فيها الصدق الفني لدى الشاعر ، و سيلة للرد على فساد رأي القائلين بضعف أشعار الاتجاه الإسلامي فنياً ، و بطلانها .

(١) انظر ص ٨٢ من بحثنا هذا .

واشتمل الفصل الرابع : على دراسة ظاهرة المحصّات في المقطعات ، و احتوى على ثلاثة مباحث ، تضمن البحث الأوّل ، تحليلا لبعض نصوص المكفّر الذي ليس له نقيض ، و تناول الثاني ، تحليل نصوص المكفّر و نقيضه ، بينما تناول الثالث ، الدراسة الفنية للمقطعات .

و بعد هذه الخلاصة أستطيع أن أجمل أهم النتائج التي خرجت بها من البحث في الآتي :

١ - إنّ هذه الدراسة كشفت النقاب عن العديد من الشعراء المغمورين الذين لم تكن لهم دواوين أو مجاميع شعرية ، مما يدل على كثرة الشعراء الإسلاميين .

٢ - أعطت هذه الرسالة فكرة شاملة عن هذه الظاهرة و انتشارها في البيئة الإسلامية إذ لم تلتزم بحدود الزمان و المكان .

٣ - أن الرسالة - و إن كانت منصبة على دراسة ظاهرة التوبة و الاستغفار - استطاعت أن تلقي الضوء على موضوعات أخرى ظهرت في شعر التوبة و الاستغفار ، مثل : " لوم النفس ، و الندم و محاربة إغواء الشيطان ، و تصوير الحياة الدنيا و الآخرة ... و غيرها .

٤ - ظهرت هذه الظاهرة بظهور الإسلام ، و انتشرت في أقاليمه المختلفة ، و نظم فيها أبناء هذا الدين بعدما تغيرت مفاهيمهم بفعل الإسلام و ما بثّ فيهم من قيم ، فلاذوا بالفرار إلى ربهم طالين عفوه و مغفرته ، فهو فيض الخاطر ، و حديث النفس النادمة التي شعرت بوطأة الذنوب .

٥ - اختلاف أسباب التوبة عند الشعراء ، و اختلاف فئاتهم ، فمنهم : العالم ، و الفقيه ، و الأديب ، و الشاعر .

٦ - تعددت جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند كلّ من الشعراء المشاركة ، و شعراء مصر و المغرب و الأندلس ، فاتفقوا في بعضها و اختلفوا في البعض الآخر ، كما تميز بعضهم بطول النفس ، و الصدق الفني ، و كان حظ المشاركة من ذلك أكثر .

٧ - استمرارية شعر التوبة و الاستغفار على مرّ العصور الإسلامية ، و الحقب الزمنية التي مرّت على العالم الإسلامي ، منذ عهد النبي - صلى الله عليه و سلم - و بزوغ فجر الإسلام على الأرض ، فأشرقت بنور الله - تعالى - ، و شاع فيها هديه الذي بعث به خاتم الأنبياء و المرسلين ، محمد - عليه الصلاة و السلام - .

٨ - تسمية " المحصّات " جريا على تسمية مجموعة القصائد المشتركة ، أو التي يوجد بينها خصائص مشتركة .

٩ - بدأ الاعتراف بنظم " المحصّات " منذ القرن الثالث الهجري ، عند أبي عُقال " ت ٢٩١هـ " ، مما يدل على أنّ هذا النوع من النظم بدأ عند المغاربة ، و الأندلسيين .

١٠ - تُدرة " المحصّات " في القرنين السابع ، و الثامن ، و ظهور " المكفّر " مكانه ، و هذا يرجع إلى ذبوع نزعة التصوف و اعتناق كثير من الناس له ، و انتشار موجة الشعر العامي ، و شعر المقطعات من موشحات و زجل و غيره ، أسهم في ذلك ضعف اهتمام الخلفاء و الأمراء باللغة الفصحى ، و ضعف الدولة الإسلامية ، و تكالب الأعداء عليها ، و تربصهم بها ، مما أدى إلى كثرة النكبات التي صدعت كيان الأمة ، و شغلت الكثيرين من الشعراء عن النظم في هذا المجال ، إلى وصف ما حلّ بالأمة ، و بكاء المجد الإسلامي ، و رثاء المدن و الممالك الضائعة التي سقطت أسيرة في براثن أعداء الإسلام ، و انحاز بعض الشعراء إلى الانغلاق على أنفسهم ، و لزموا دورهم .

١١ - تأثر ابن سناء الملك " ت ٦٠٨هـ " في " المكفّر " نظما و تعريفا بابن عبد ربه " ت ٣٢٨هـ " ، فسلك طريقته القائمة على التكفير عن الذات و التضمين ، في حين خالف ذلك في المكفّر الثاني .

١٢ - اشتراك معنى التمحيص و التكفير في الغرض الذي يهدف إلى نقض شعر المجون و التكفير عنه ، فمن هذه النصوص ما يقوم على التكفير عن الذات أو الغير ، كما عند ابن حزم " ت ٤٥٦هـ " ، و ابن سناء الملك ، و ابن الصباغ " ت ٦٦٥هـ " ، و ابن زمرك " ت ٧٩٦هـ " ، كما أن شعراء المحصّات و وشاحي المكفّر لم ينظموا في هذا

النوع إلا في المرحلة الأخيرة من حياتهم ، إذ كانوا في المرحلة الأولى منغمسين في
اللاهو والمجون .

١٣ - لم يلتزم الوشاحون المشاركة في موشحاتهم ما ذكره ابن سناء الملك ، لكنهم
التزموا بشروط الإتيان بالخرجة ، و التزموا أيضا بوحدة الموضوع القائم على الوعظ
و الترهيد في الدنيا ، بينما تعددت الموضوعات عند إخوانهم الأندلسيين .

١٤ - نظمت الممحصات و المكفر على مختلف أوزان الشعر و بحوره الطويلة و القصير
و المعتدلة ، و المركبة و البسيطة ، مما يعني أن الموضوع الذي يتحدث عنه الشاعر أو
الوشاح لا يتقيد بوزن ، و ليست بعض البحور حكرا على موضوعات بعينها .

١٥ - إن الدراسة التي أجريتها على نماذج من " المكفر " المشرقي و الأندلسي على
السواء تبين بوضوح أن الشروط التي ذكرها ابن سناء الملك " ت ٦٠٨ هـ " للإتيان
بالخرجة لا تنطبق على غالبية النصوص ، فمنها ما اقتبس من مطلع موشح ماجن ، أو
خرجة زجل إضافة إلى اقتباس خرجة موشح ، كما أن بعض النصوص لم أتمكن من معرفة
مصدر خرجاتها ، و هذا يعود إلى قلة المصادر التي ترجمت للوشاح أو إغفال المصادر
المتأخرة له ، كونه من المغمورين ، من أمثال : شمس الدين الواسطي " ت ٧٤٤ هـ " ،
و ابن الشرده " ت ٧٥٠ هـ " ، فیدل ذلك على :

أ - أن ابن سناء الملك لم يكن دقيقا في حديثه عن الشروط التي تُبنى عليها الخرجة ، مما
يدل على استقراء ناقص لنصوص المكفر ، و أن هذه الشروط موقوفة على ما اطلع
عليه ، أو ما توفر في زمانه من الموشحات ، و الأرجح أنه مخترع هذا النوع من النظم
و مكتشفه ، متأثرا بمحصة ابن عبد ربه ، و يظهر ذلك في طريقة نظمه للمكفر الأول
المتضمن لغصن من مطلع الموشح الماجن ، و أنه لم يذكر نماذج أو أمثلة للمكفر لوشاحين
سبقوه من المغرب أو الأندلس ، أو المشرق بصفة عامة .

ب - اختلاف الخرجات ، و اختلاف أساليبها و طرائقها ، ربما كان نوعا من التجديد

و الابتكار التي سلكها الوشاحون ؛ لأن طريقة ابن سناء الملك المتضمنة غصن موشح
ماجن له ربما صعب على الوشاحين ولم يستطيعوا أن ينظموا على الطريقة نفسها ،
فسلكوا طريق التجديد و الابتكار ، وهو نفس ما سار عليه ابن سناء في المكفر الثاني .
ج - ندرة الخرجات الأعجمية في لغة المكفر ، وهذا يرجع إلى طبيعة الموضوع التي
تحتاج إلى الوضوح و البساطة ، و البعد عن الغموض ؛ لأن الوشاح قد خلع على نفسه
رداء الواعظ الزاهد ، و يتوجه بخطابه إلى عامة الناس ، فيحتاج أن يخاطبهم بلغة مفهومة
لدى الجميع على اختلاف مستويات ثقافتهم ، فمنهم المثقف ، و العالم ، و المتعلم ،
و الجاهل ، و لغة الوضوح هي الطريقة المثلى له ليصل بكلامه إلى القلوب ، و تعينه
العقول ، فيثبت و يؤتي ثماره .

هذا و ربما كشفت الدراسات المستقبلية عن أنواع جديدة للممخّصات أو المكفر ،
و عن تشابه آخر بينهما لم يكشف عنها هذا البحث .

التوصيات :

بناء على ما سبق آمل أن يتواصل الاهتمام بالدراسات التي تعنى بالمقارنة بين فنون
الأدب العربي ، و أغراضه عند شعراء الأقاليم الإسلامية ، سعيًا للوقوف على نقاط
التأثر و التأثير ، و التشابه و الاختلاف بينها .

١- العناية بجمع نصوص الموشحات المتناثرة في المصادر و المخطوطات التي لم

تجمع .

٢- توجيه الأنظار إلى الاهتمام بتحقيق ما لم يحقق من المخطوطات التي تشتمل على
نصوص الموشحات ، و دراستها ، كونها قد تحمل بين طياتها مجالات جديدة ، أو تكشف
عن ملامح جديدة في محتواها و طريقة نظمها .

٣- الاهتمام بطبع دواوين الوشاحين التي حققت أو لم تحقق ، مثل : ديوان ابن الصباغ
" و غيره ، و نشرها ، حتى يسهل على الدارس الحصول عليها و دراسة محتواها .

٤- استمرار البحث و التنقيب في الشعر المقصد والمقطعات، في محاولة للوقوف على أنواع جديدة ، و أساليب مختلفة ، و مزايا فريدة للممحصات .

٥ - البحث عن الأسباب التي دعت النقاد القدامى إلى جمع بعض القصائد في مجموعات شعرية ، وما تنفرد به هذه القصائد من المميزات التي لا توجد في غيرها ، وهل استوفت الشروط التي وضعها الناقد أو لا ؟

و بعد هذا التلخيص لفصول الرسالة و مباحثها ، و الإجمال لأهم النتائج التي تمخضت عنها ، و التوصيات ، و قبل أن أحقن دماء قلبي ، أحمد الله - العلي القدير - الذي وفقني لإتمام هذا البحث ، و أصلي و أسلم على خير خلقه ، و على آله الطيبين و صحبه الأخيار - رضي الله عنهم أجمعين - .

و الحمد لله رب العالمين

فهرس الآيات القرآنية الكريمة
و
الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

السورة	رقمها	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	٢	﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	١٢٩	٢٦١
		﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾	١٨٦	٩١
آل عمران	٣	﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	١٠٦	٢٦٥
		﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾	١٣٥ - ١٣٦	١٩٦
		﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾	١٨٥	٢١٣

النساء	٤	﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	١٠٦	١٢
المائدة	٥	﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آتَيْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾	١١٦	١٦٧
التوبة	٩	﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	٣٨	٥٣
		﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾	١٢٨	٢٦١
هود	١١	﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْسِكْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾	٣	١٢
		﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ	٥٢	١٢

		يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾		
١٢	٦١	﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّ قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾		
١٣	٩٠	﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾		
٤٣ ، ٣ ٢٣٧٠	٥٣	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	١٢	يوسف
٤٧	٨٤	﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ ﴿		
١٦٧	٩٢	﴿قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْكَ الْقَوْمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾		
١٦٧	٤٩	﴿تَبٰى عِبَادِي اَنِّى اَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ﴾	١٥	الحجر
٤٢	١١١	﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١٦	النحل

الإسراء	١٧	﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥)	١٤ - ١٥	٤٣
الكهف	١٨	﴿كَلَّمَا خَبِتْ زَنَا هُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفْثَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾	٩٧ ٣٧	١٨٦ ١٦٦
طه	٢٠	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾	٤٦ ٨٦	١٠٨ ٤٧
الأنبياء		﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ	١٠٢ ٤٧	٢٦٥ ١٦٥

٢٦٥	٩٧	خَرَدَلٌ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٩٧﴾ ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾		
١٦٤	٣٧	﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمُ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾	٢٤	النور
٢٦٦	٣٩	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾		
١٦٦	١٢	﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾	٢٥	الفرقان
١٦٤	٨٨	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٢٦	الشعراء
	٨٩			
٢١٢	٢١٤	﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾		
٢٦٦	٨٨	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ	٢٧	النمل

٢١١	٧٦	كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٢٩﴾ ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدُ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٢﴾ ﴿يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ	٢٨	القصص
٤٤	٦		٢٩	العنكبوت
٢٦٤	٤١			
٥٢	٣٣		٣١	لقمان
٤٧	٨		٣٥	فاطر
١٢	٥٣		٣٩	الزمر

		يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ		
غافر	٤٠	﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	٣٩	٥٣
ق	٥٠	﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾	٢١	١٦٤
الذاريات	٥١	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٦٥
القمر	٥٤	﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾	٤٨	١٦٥
الحديد	٥٧	﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾	٢٠	٥٢
التحريم	٦٦	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾	٨	١١
الملك	٦٧	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَتَابِكِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٥٢
		﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ	٣٠	٢٦٤

الحاقة	٦٩	يَأْتِيَكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾	١٨	٢٦٥
نوح	٧١	﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَتْنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾	١٠ - ١٣	٣١
المدرثر	٧٤	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٤﴾ لَا يَتَّبِعِيَ وَلَا تَذَرُ﴾	٢٦	٢٦٦
القيامة	٧٥	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿١٥﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿١٦﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿١٧﴾﴾	٢٨	١٦٦
النازعات	٧٩	﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَى النَّفْسَ الْهَوَىٰ ﴿١٨﴾﴾	٣٨	٤٢
عبس	٨٠	﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَيِّهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)﴾	٤٢	١٦٥
			٢	٤٤
			٤٠	٤٣
			٣٤	١٦٦ ، ٩٥
			-	
			٣٧	

١٦٦	١٢	﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾	٨١	التكوير
٢٦٥	٢	﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾	٨٥	البروج
٤٤	٢٧	﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي	٨٩	الفجر
	-	إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي		
	٣٠	عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّاتِي (٣٠)﴾		
٤٣	١٠-٧	﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا	٩١	الشمس
		وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ		
		خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾		
١٠٩	٢-١	﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا	١٠٤	الهمزة
		وَعَدَدَهُ (٢)﴾		

فهرس الحديث النبوي الشريف

رقم الصفحة	مصدره	نص الحديث
١٣	صحيح البخاري كتاب الدعوات ج ١١ ، ص ١٥١	((و الله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة))
١٠٩	باب { إنَّ الله عنده عِلْمُ السَّاعَةِ } رقم: ٤٧٧٧.	((.. قال: فأخبرني عن أماراتها ، قال: أن تلد الأمه ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان))
١٦٨	كتاب الرقاق ، باب (من نوقش الحساب عذب) ج ١١ ، ص ٤٨٧	((من نوقش الحساب عذب))
١٦٩	باب (انشقاق القمر) ج ٧ ، ص ١٨٣	((أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ _ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما))
١٦٨	كتاب الدعوات ،	((ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب ، إلا
١٦٩	ج ١١ ، ص ١٦٤	قال الملك: ولك مثل ذلك)) ،

٢١٢	كتاب التفسير ، باب (وأنذر عشيرتك الاقربين) ج ٣ ، ص ٢٧٢ - و صحيح مسلم كتاب " الإيمان " باب قوله تعالى : (و أنذر عشيرتك الاقربين) ، ج ١ ، ص ١٩٢ .	((خمس دعوات مستجابات ..)) ((يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله .. لا أغني عنك من الله شيئا ، و يا فاطمة بنت محمد .. سألني من مالي ما شئت ، لا أغني عنك من الله شيئا))
٤٨	كتاب " الإيمان " ٤٢ باب (الدين النصيحة) ج ١ ، ص ٧٤ .	((الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال :لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم))
١٦٨	الجامع الصحيح للترمذي ، ج ٤ ، ص ٧١٠ ، رقم ٢٥٩١ .	((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء كالليل المظلم))
١٩٦	مسند الإمام أحمد ابن حنبل : ج ٥ ، ص ٢٧٤ ، رقم ٢٢٠٧٧	((كف عليك هذا))

قائمة المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم و كتب التفسير
و الحديث الشريف.
- ٢ - المصادر و المراجع و الدواوين
الشعرية
- ٣ - المخطوطات
- ٤ - الرسائل والبحوث الجامعية .
- ٥ - المجلات والدوريات .

القرآن الكريم ، والتفسير ، والحديث الشريف

• القرآن الكريم .

- ١- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر :
" الكشف عن حقائق غوامض التزويل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل " . رتبه
و ضبطه و صححه : مصطفى حسين أحمد . (بيروت : دار الكتاب العربي . د . ت) .
- ٢- ابن كثير ، إسماعيل :
" تفسير القرآن العظيم " . ط (١) . (بيروت : دار الجيل . ١٤١١هـ - ١٩٩١م) .
- ٣- الألباني ، محمد ناصر الدين
أ - " صحيح سنن الترمذي باختصار السند " . ط (١) . (الرياض : مكتب التربية
العربي لدول الخليج . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .
ب - " ضعيف سنن ابن ماجه " . إشراف : زهير الشاويش . ط (١) . (الرياض :
مكتب التربية العربي لدول الخليج . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) .

٤- الترمذي :

أ - " الجامع الصحيح " . تحقيق و تعليق : إبراهيم عطوه عوض . (بيروت : دار إحياء التراث العربي . د . ت) .

ب - " صحيح الترمذي ، المسمى عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي " . (بيروت : دار الكتب العلمية . د . ت) .

٥- أحمد بن حنبل :

أ - " مسند الإمام أحمد ابن حنبل " . إشراف : د . سمير طه مجذوب . إعداد : محمد سليم سمارة . ط (١) . (دمشق : المكتب الإسلامي . ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

ب - " مسند الإمام أحمد ابن حنبل " . رقم أحاديثه : محمد عبد السلام عبد الشافي . ط (١) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

٦- العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر :

" فتح الباري في صحيح البخاري " . تحقيق وترتيب : الشيخ عبد العزيز بن باز ، كتب أبوابها وأحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي . ط (٢) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .

٧- ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد :

" سنن ابن ماجه " . حققه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي . (القاهرة : عيسى الباي الحلبي . د . ت) .

٨- الإمام النووي محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف :
" صحيح مسلم " ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط (١) ، (بيروت : دار إحياء الكتب
العربية ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م) .

المصادر والمراجع والدواوين الشعرية

١ - الآمدي ، أبي القاسم الحسن بن بشر :
" المؤتلف و المختلف من أسماء الشعراء و كناههم و ألقابهم و أنسابهم و بعض شعرهم " .
تحقيق : عبد الستار أحمد فرج . (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية . ١٣٨١هـ — -
١٩٦١م) .

٢ - ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد :
أ - " تحفة القادِم " . أعاد بناءه ، وعلق عليه : د. إحسان عباس . ط (١) . (بيروت : دار
الغرب الإسلامي . ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م) .
ب - " التكملة لكتاب الصلة " . عني بنشره و صححه و وقف على طبعه : السيد عزت
العتار الحسيني . (القاهرة : مكتب نشر الثقافة الإسلامية . ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م) .
ج - " الحلة السيرة " . تحقيق : د. حسين مؤنس . ط (١) . (القاهرة : الشركة العربية
للطباعة و النشر . ١٩٦٣م) .
د - " المقتضب من كتاب تحفة القادِم " . تحقيق : إبراهيم الأبياري . ط (٢) . (القاهرة :
دار الكتاب المصري . بيروت : دار الكتاب اللبناني . ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م) .

٣ - ابن الأثير ، أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد :
" الكامل في التاريخ " . عني بمراجعة أصوله ، و التعليق عليه : نخبة من العلماء . ط (٢) .
(بيروت : دار الكتاب العربي . ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م) .

٤ - إدريس ، عماد الدين :
" تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب " . تحقيق : محمد البعلاوي . ط (١) . (بيروت : دار
الغرب الإسلامي . ١٩٨٥م) .

٥ - الأدفوي ، جعفر بن ثعلب :

"الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد " . تحقيق : سعد محمد حسن . مراجعة : طه الحاجري . (القاهرة : الدار المصرية للتأليف و الترجمة . ١٩٦٦ م) .

٦ - الأزهري ، خالد بن عبد الله :

" شرح التصريح على التوضيح " . تصحيح ومراجعة : لجنة من العلماء . (بيروت : دار الفكر . د . ت) .

٧ - الإسلاوي ، عبد المجيد محمد :

" شعر مزينة في الإسلام حتى نهاية القرن الثاني الهجري " . ط (١) . (الرياض : دار الفیصل . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

٨ - الأشموني ، علي بن محمد :

" شرح الأشموني على ألفية ابن مالك " . حققه ، وشرح شواهده : محمد محي الدين عبد الحميد . ط (٢) . (القاهرة : مصطفى البابي الحلبي . ١٩٣٩ م) .

٩ - الأصبهاني ، أحمد بن عبد الله :

" حلية الأولياء وطبقات الأصفياء " . ط (٢) . (بيروت : دار الكتاب العربي . ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م) .

١٠ - الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين :

" الأغاني " . تحقيق : لجنة من الأدباء . (تونس : الدار التونسية . ١٩٨٣ هـ) .

١١ - الأعشى ، أبو المصباح عبد الرحمن بن عبد الله الهمداني :

"ديوان أعشى همدان و أخباره" . تحقيق : د. حسن أبو ياسين . ط (١) . (الرياض : دار العلوم . ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

١٢ - الأفراني ، محمد :

"المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل" . تحقيق : د. محمد العُمري . (المملكة المغربية : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤١٨ هـ — ١٩٩٧ م) .

١٣ - الألبيري ، أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود :

"ديوان أبو إسحاق الألبيري" . حققه و شرحه : د. محمد رضوان الدّاية . ط (١) . (دمشق : دار الفكر . ١٤١١ هـ — ١٩٩١ م) .

١٤ - الأندلسي ، ابن سعيد عبد الرحمن بن محمد :

"رايات المبرزين" . تحقيق : د . النعمان عبد المتعال القاضي . (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . ١٩٧٣ م) .

**** الأنصاري :**

١٥ - الأنصاري ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد :

"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان" . أكمله وعلق عليه : أبو الفضل التنوخي . تحقيق : د . محمد أبو الأنوار . (القاهرة : مكتبة الخانجي . د . ت) .

١٦ - الأنصاري ، النعمان بن بشير - رضي الله عنه - :

"شعر النعمان بن بشير الأنصاري" . حققه و قدّم له : د. يحيى الجبوري . ط (١) . (بغداد : جامعة بغداد . ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

١٧ - الباخريزي ، أبو الحسن علي بن الحسن :

" دمية القصر وعُصارة أهل العصر " . تحقيق : د. سامي مكّي العاني . ط (٢) .
(الكويت : دار العروبة . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

١٨ - البحتري ، الوليد بن عبيد :

" ديوان البحتري " . تحقيق : حسن الصيرفي . ط (٢) . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٣ م) .

١٩ - ابن برد ، بشار :

" ديوان بشار بن برد " . جمع و تحقيق : السيد محمد بدر الدين العلوي . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٦٣ م) .

ابن بسام ، علي بن محمد :

" الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة " ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ م) .

٢٠ - ابن بشكوال ، أبي القاسم خلف بن عبد الملك :

" الصلّة في تاريخ أئمة الأندلس و علمائهم و محدّثهم و فقهاءهم و أدبائهم " . عني بنشره ،
وصحّحه ، و راجع أصله : السيد عزت العطار الحسيني . ط (٢) . (القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

** البغدادي :

٢١ - البغدادي إسماعيل باشا " ت ١٣٣٩هـ " :

" هدية العارفين " . (بيروت : دار الفكر . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

٢٢ - البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب :

" تاريخ بغداد " . تحقيق : بشار عواد معروف . (بغداد : دار الرشيد . وزارة الثقافة والإعلام . ١٩٧٤ م) .

٢٣ - البنسي ، ابن الزقاق علي بن إبراهيم :

" ديوان ابن الزقاق البنسي " . تحقيق : عفيفة محمود ديراقي . (بيروت : دار الثقافة . د.ت)

٢٤ - البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين :

" كتاب الزهد الكبير " . تحقيق : د. تقي الدين الندوي . ط (٢) . (الكويت : دار القلم . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م) .

٢٥ - التطيلي ، أحمد بن عبد الله الأعمى :

" ديوان الأعمى التطيلي " . تحقيق : د. إحسان عباس . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٦٣ م)

٢٦ - ابن تغري بردي ، يوسف بن عبد الله :

أ - " الدليل الشافي على المنهل الصافي " . تحقيق وتقديم : فهم شلتوت . (مكة المكرمة : جامعة أم القرى - مركز البحث العلمي وإحياء التراث . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م) .
ب - " المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي " . تحقيق : د. محمد أمين . تقديم : د. سعيد عاشور . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٤ م) .
ج - " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " . (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . د . ت) .

٢٧ - أبو تمام ، حبيب بن أوس :

"ديوان أبو تمام" . بشرح الخطيب التبريزي . تحقيق : د. محمد عبده عزام . (مصر : دار المعارف . ١٩٦٥ م) .

٢٩ - التهامي ، أبو الحسن علي بن محمد :

"ديوان أبو الحسن التهامي" . تحقيق : عثمان الفريح . ط (١) . (الرياض : دار العلوم . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م) .

٣٠ - ابن تيمية ، أحمد :

"مجموعة الفتاوى" . خرج أحاديثها : عامر الجزار ، و أنور الباز . ط (١) . (القاهرة : دار الوفاء . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) .

٣١ - الثعالبي ، أبو منصور :

أ - "أحسن ما سمعت" . نظر فيه و صححه ، وشرح عباراته : محمد أفندي صادق عنبر . ط (٢) . (القاهرة : المكتبة الحمودية . د . ت) .
ب - "يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر" . تحقيق : مفيد قميحة . ط (٢) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

٣٢ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر "ت٢٥٥هـ" :

أ - البيان و التبيين " : تحقيق : عبد السلام هارون . ط (٣) . (القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٩٦٨م) .
ب - "الحيوان" . تحقيق : عبد السلام هارون . ط (٢) . (القاهرة : مصطفى البابي الحلبي . ١٣٨٥هـ - ١٩٥٧م) .

٣٣ - الجراري ، عباس :

أ- "الأمير الشاعر أبو الربيع سليمان الموحدي عصره و حياته و شعره " . ط (١) . (الدار البيضاء . دار الثقافة . ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م) .

ب - " موشحات مغربية دراسة و نصوص " . ط (١) . (الدار البيضاء : دار النشر المغربية . ١٩٧٣ م) .

**** الجرجاني :**

٣٤- الجرجاني ، الإمام عبد القاهر :

أ " أسرار البلاغة " . قرأه وعلق عليه : د. محمود محمد شاكر . ط (١) . (جدة : دار المدني . ١٤١٢ هـ - ١٩٨٥ م) .

ب - " التعريفات " . (القاهرة : مصطفى الباي الحلبي . ١٩٣٨ م) .

ج - " دلائل الإعجاز " تحقيق : د. محمود محمد شاكر . ط (٣) . (القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .

٣٥- الجرجاني ، علي بن عبد العزيز :

" الوساطة بين المتني و خصومه " . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البحراوي . (بيروت : دار القلم . د . ت) .

٣٦- ابن جعفر ، أبو القاسم علي :

" البارع في علم العروض " . حققه و قدّم له : د. أحمد عبد الدايم . ط (٢) . (مكة : المكتبة الفيصلية . ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م) .

٣٧- ابن جعفر ، قدامة :

" نقد الشعر " . تحقيق : د. كمال مصطفى . ط (٣) . (القاهرة : مكتبة الخانجي .
١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) .

٣٨- الجمحي ، محمد بن سلام :
" طبقات فحول الشعراء " . تحقيق : محمود محمد شاكر . (القاهرة : مطبعة المدني .
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) .

٣٩- ابن جني ، عثمان بن يحيى :
" سر صناعة الإعراب " . دراسة ، وتحقيق : حسن هندراوي . " ط (١) . (دمشق : دار
القلم . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

٤٠- ابن الجوزي ، الإمام عبد الرحمن :
أ - " التبصرة " . تحقيق : د. مصطفى عبد الواحد . ط (١) . (القاهرة : عيسى البابي
الحلي . ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .
ب - " صفة الصفوة " . حققه وعلق عليه : محمود فاخوري ، خرج أحاديثه د. محمد
روّاس قلعجي . ط (١) . (حلب : دار الوعي . ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) .

٤١- الجوزية ، ابن القيم :
تهذيب مدارج السالكين " . هذّبه : عبد المنعم صالح العربي . (جدة : المكتبة العلمية .
١٤٠٢هـ) .

٤٢- الجوهرى ، إسماعيل بن حماد :
" تاج اللغة وصحاح العربية " . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار . ط (٢) . (بيروت : دار
العلم للملأين . ١٣٩٩هـ - ١٩٥٢م) .

٤٣ - ابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن :

" الجرح و التعديل " . ط (١) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٣٧١هـ — ١٩٨٨م) .

٤٤ - الحللو ، سليم :

" الموشحات الأندلسية نشأتها و تطورها " . تقديم : د. إحسان عباس . ط (١) . (بيروت : دار مكتبة الحياة . ١٩٦٥ م) .

٤٥ - الحلبي ، صفي الدين عبد العزيز بن سرايا :

" ديوان صفي الدين الحلبي " . (بيروت : دار بيروت . ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م) .

٤٦ - الحمداني ، أبو فراس الحارث بن سعيد :

" ديوان أبي فراس الحمداني " برواية ابن خالويه . (بيروت : دار صادر . ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٦ م) .

٤٧ - ابن حمديس ، عبد الجبار :

" ديوان ابن حمديس " . صححه و قدّم له : د. إحسان عباس . (بيروت : دار صادر . ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م) .

٤٨ - الحموي ، ياقوت :

" معجم الأدباء " . (بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م) .

٤٩ - الحميدي ، محمد بن نصر :

" جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس " . تحقيق: إبراهيم الأبياري . ط (٢) . (بيروت : دار الكتب الإسلامية . ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م) .

٥٠ - الجنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن العماد :

" شذرات الذهب في أخبار من ذهب " . تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في الدار . (بيروت : دار الآفاق الجديدة . د . ت) .

٥١ - ابن خاقان ، الفتح بن محمد :

" مطمح الأنفس ومسرح الأنس في ملح أهل الأندلس " . تحقيق : محمد علي شوابكة . ط (١) . (بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م) .

٥٢ - خالد ، أحمد :

" ابن الرومي " . (الجزائر : الشركة التونسية . ١٩٧٧م) .

٥٣ - الخراشي ، ناهد عبد المتعال :

" أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي " . ط (٣) . (مصر: دار الكتاب الحديث . ١٤١٩ هـ — ١٩٩٩ م) .

٥٤ - خطاب ، يحيى إبراهيم :

" الموعظة الحسنة " . (القاهرة : مطبعة الشعب . ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م)

٥٥ - ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله :

أ - " الإحاطة في أخبار غرناطة " . تحقيق: محمد عبد الله عنان . ط (١) . (القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م) .

ب - " جيش التوشيح " . حققه وقدم له و أعدده: هلال ناجي ، ومحمد ماضور . (تونس : مطبعة المنار . د . ت) .

ج - " الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة " . تحقيق : د. إحسان عباس . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٦٣ م) .

٥٦- ابن خفاجة ، إبراهيم بن عبد الله :

" ديوان ابن خفاجة " . (الإسكندرية : منشأة المعارف . د. ت) .

** خفاجي :

٥٧- الخفاجي ، ابن سنان عبد الله بن محمد :

" سر الفصاحة " . شرح : عبد المتعال الصعيدي . (القاهرة : مكتبة محمد علي صبيح . ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م) .

٥٨- خفاجي ، محمد عبد المنعم :

أ - " ابن المعتز وراثته في الأدب والنقد والبيان " . ط (٢) . (العراق : دار العهد الجديد . ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨ م) .

ب - " التفسير الإعلامي للأدب العربي " . ود . عبد العزيز شرف . ط (١) . (بيروت دار الفكر . ١٩٨٠ م) .

ج - " الحياة الأدبية في العصر العباسي " . ط (١) . (القاهرة : دار العهد الجديد . ١٩٥٤ م) .

٥٩- ابن خلدون ، أبي بكر محمد :

" بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد " . (بيروت : مطبعة بيير - الشرفية - . ١٣٢١هـ - ١٩٠٣ م) .

٦٠- ابن خلكان ، أحمد بن محمد :
" وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان " . تحقيق : د. إحسان عباس . (بيروت : دار صادر .
١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .

٦١- داغر، يوسف أسعد :
" مصادر الدراسة الأدبية " . ط (١) . (صيدا : المطبعة المخلصية . ١٩٦١ م)

٦٢- الدليمي ، محمد نايف :
" الموشحات الموصلية " . (الموصل : دار الكتاب . ١٩٧٥ م) .

٦٣- الدمشقي ، جمال الدين القاسمي :
" موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين " . تحقيق : عاصم البيطار . ط (٢) . (بيروت :
دار النفائس . ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

٦٤- الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى :
" حياة الحيوان الكبرى " . اعتنى بتصحيحها : الشيخ عبد اللطيف بيتية . ط (٢) .
(بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

٦٥- الذهبي ، محمد بن أحمد :
أ - " دول الإسلام " . ط (١) . (حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف النظامية .
١٣٣٧هـ) .
ب - " ميزان الاعتدال في نقد الرجال " . تحقيق: علي البجاوي . (بيروت : دار المعرفة . د . ت) .

٦٦- ذي الرمة ، غيلان بن عقبة :

"ديوان ذي الرمة" . بشرح الخطيب التبريزي . كتب مقدمته و هوامشه : مجيد طراد . ط (١) .
(بيروت : دار الكتاب العربي . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م)

** الرازي :

٦٧- الرازي ، محمد بن أبي بكر :

" مختار الصحاح " . ط (١) . (بيروت : دار الكتاب العربي . ١٩٧٩ م) .

٦٨- الرازي ، محمد بن عمر الفخر :

" الحصول في علم أصول الفقه " . تحقيق : طه جابر العلواني . (الرياض : جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية . ١٤٠١ هـ) .

٦٩- ابن رشيقي ، الحسن :

" العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده " . تحقيق د . محمد محي الدين عبد الحميد .
ط (٤) . (بيروت : دار الجيل . ١٩٧٢ م) .

٧٠- الرماني ، علي بن عيسى :

" معاني الحروف " . تحقيق : د. عبد الفتاح شلي . ط (٢) . (جدة : دار الشروق .
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

٧١- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرحاني :

" ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم " حققها وعلق عليها : د. محمد خلف الله أحمد ،
ود. محمد زغلول سلام ، ط (٤) ، (القاهرة : دار المعارف ، د.ت) .

٧٢- ابن رواحة ، عبد الله - رضي الله عنه - :

"ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري" . دراسة و جمع و تحقيق : د. حسن محمد با جوده .
(القاهرة : مكتبة التراث . ١٩٧٢ م) .

٧٣- ابن الزبيري ، عبد الله - رضي الله عنه - :
" شعر عبد الله بن الزبيري " . تحقيق : د. يحيى الجبوري . ط (٢) . (بيروت : مؤسسة
الرسالة . ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) .

٧٤- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر :
" أساس البلاغة " . تحقيق : عبد الرحيم محمود ، و أمين الخولي . (بيروت : دار الكتب .
١٩٧٢ هـ) .

٧٥- زهير ، أبو الفضل بن محمد بهاء الدين :
" ديوان أبو الفضل بهاء الدين زهير " . (القاهرة : إدارة الطباعة المنيرية . د.ت) .

٧٦- ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر :
" دار الطراز في عمل الموشحات " . تحقيق : جودت الركابي . (دمشق : ١٩٤٩ هـ) .

٧٧- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن :
" التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة " . (القاهرة : مطبعة السنة الحمديّة . ١٣٧٧ هـ -
١٩٥٨ م) .

٧٨- ابن سعد ، محمد :

" الطبقات الكبرى - القسم المتمم لتابعي أهل المدينة و من بعدهم من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة - " . دراسة و تحقيق : زياد محمد منصور . ط (١) . (المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) .

٧٩- ابن سعيد ، عبد الرحمن بن محمد :
" المغرب في حلى المغرب " . وضع حواشيه : خليل المنصور . ط (١) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

٨٠- سماكه ، باقر :
" التجديد في الأدب الأندلسي " . (بغداد : مطبعة الإيمان . ١٩٧١ م) .

٨١- السمرقندي ، نصر بن محمد :
" تنبيه الغافلين " . تحقيق : عبد العزيز الوكيل . ط (٢) . (جدة : دار الشروق . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

٨٢- سيويه : أبو بشر عمرو بن عثمان :
" الكتاب " . تحقيق و شرح : د. عبد السلام هارون . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) .

٨٣- السيد ، عز الدين علي :
" التكرير بين المثير و التأثير " . ط (١) . (القاهرة : دار الباعة المحمدية . ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) .

٨٤- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن :

- أ - " الإتقان في علوم القرآن " . (بيروت : دار المعرفة . د . ت) .
- ب - " بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة " . (بيروت : دار المعرفة . د . ت) .
- ج - " تاريخ الخلفاء " . تحقيق : د . محمد محي الدين عبد الحميد . (بيروت : دار الفكر . ١٣٩٤هـ) .
- د - " شرح شواهد المغني " . تصحيح الشيخ : محمد محمود الشنقيطي . (القاهرة : المطبعة البهية . ١٣٢٢هـ) .

٨٥- الإمام الشافعي ، محمد بن إدريس :
 " ديوان الشافعي " . جمعه و شرحه : نعيم زرزور . ط (٣) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .

٨٦- الشاويش ، غالب محمد :
 " الكافي في علم العروض " . ط (١) . (الرياض : مكتبة فهد الوطنية . ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .

٨٧- الشباط ، عبد الله أحمد :
 " أبو العتاهية لمحات من حياة حافلة " . (الدمام : الجمعية السعودية للثقافة و الفنون . د.ت)

٨٨- الشيلي ، عبد العزيز :
 " المبالغة في الشعر العباسي " . (الرياض : النادي الأدبي . ١٩٨١ م) .

٨٩- الشكعة ، مصطفى
 أ - " الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه " . ط (٢) . (بيروت : دار العلم للملايين . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

ب - " الشعر و الشعراء في العصر العباسي " . ط (٢) . (بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٧٥ م) .

ج - " فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين " . (بيروت : عالم الكتب . ١٩٨١ م) .
د - " مناهج التأليف عند العلماء العرب القدماء " . ط (٩) . (بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٩٦ م) .

٩٠- ابن شهيد ، عبد الملك :

" ديوان ابن شهيد الأندلسي " . اختيار و تحقيق : يعقوب زكي . مراجعة : محمود مكي .
تأليف : عبد القادر شيبه الحمد . (القاهرة : دار الكتاب العربي . ١٣٨٩ هـ) .

٩١- صالح ، حكمت :

" دراسة فنية في شعر الشافعي " . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م)

٩٢- صدقي ، عبد الرحمن :

" ألحان الحان " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٥٧ م) .

٩٣- الصفدي ، صلاح الدين بن أيك :

أ - " المختار من شعر ابن دانيال " . حققه و علق عليه و استدرك : محمد نايف الدليمي .
(الموصل : مكتبة بسام . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

ب - " توشيع التوشيع " . تحقيق : إلبير مطلق . ط (١) . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٦٦ م)

ج - " الوافي بالوفيات " . ج ١ - ٢٩ تحقيق : مجموعة من الأدباء . ط (٢) .

(المانيا : فرانز شتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) :

الجزء ١ باعتناء : هلموت ريتير . ط (١) . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)

- الأجزاء ٢ - ٦ ، ١٤ . باعتناء : س . ديدرينغ . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ٧ . باعتناء : د. إحسان عباس . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ٨ . باعتناء : محمد يوسف نجم . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ٩ . باعتناء : يوسف فان إس . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١٠ . باعتناء : جاكلين سوبله ، علي عمارة . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١١ . باعتناء : د . شكري فيصل . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١٢ ، ٢٠ . باعتناء : د . رمضان عبد التواب . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م) .
- الأجزاء ١٣ ، ٢١ ، ٢٥ . باعتناء : محمد الحجيري . (بيروت : الشركة المتحدة للتوزيع والنشر . ١٤٠٨ - ١٤٢٠ ، ١٩٨٨ - ١٩٩٩ م) .
- الجزء ١٥ . باعتناء : بيرند راتكه . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١٦ . باعتناء : وداد القاضي . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١٧ . باعتناء : دورو تياكرافولسكي . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .
- الجزء ١٨ . باعتناء : أيمن فؤاد سيد . ط (٢) . (المانيا : فرانزشتاينر . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م) .

- الجزء ١٩ . باعتناء : رضوان السيد . ط (٢) . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٤١٢ هـ —
١٩٩٢ م) .
- الجزء ٢٢ . باعتناء : رمزي بعلبيكي . ط (٢) . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٤٠٤ هـ —
١٩٨٣ م) .
- الجزء ٢٣ . باعتناء : مونيك كرونكه . ط (٢) . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٤١٢ هـ —
١٩٩٢ م) .
- الجزء ٢٤ . باعتناء : عدنان البخيت و مصطفى الحيارى . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٤١٣ هـ —
١٩٩٢ م) .
- الجزء ٢٧ . باعتناء : أوتغريد فايترت . ط (١) . (بيروت : الشركة المتحدة . ١٤١٨ هـ —
١٩٩٧ م) .
- الجزء ٢٨ . باعتناء : هانس وير . ط (١) . (المانيا : فرانز شتاينر . ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م) .
- الجزء ٢٩ . باعتناء : ماهر جرار . ط (١) . (بيروت : الشركة المتحدة . ١٤١٨ هـ —
١٩٩٧ م) .

٩٤- صفوت ، أحمد زكي :

" جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة " . ط (١) . (بيروت : المكتبة العلمية .
١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م) .

٩٥- الصنوبري ، أبو بكر أحمد بن محمد :

" ديوان الصنوبري " . تحقيق : د. إحسان عباس . ط (١) . (بيروت : دار الثقافة .
١٣٩٠ هـ) .

٩٦- الصولي ، أبي بكر محمد بن يحيى :

" أشعار أولاد الخلفاء و أخبارهم " المسمى " الأوراق " . عني بنشره : ج هيورث دن . ط
(٢) . (بيروت : دار المسيرة . ١٩٧٩ م) .

**** الضبي :**

٩٧- الضبي ، أحمد بن يحيى :

" بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس " . (بيروت : دار الكتاب العربي . ١٩٦٧ م) .

٩٨- الضبي ، المفضل بن محمد بن يعلى :

" المفضليات " . شرح : القاسم ابن محمد الأنباري " ت ٣٠٤ هـ " . تحقيق : كارلوس
يعقوب لايل . (بيروت : كلية الفرد . ١٩٢٠ م) .

**** ضيف :**

٩٩- ضيف ، أحمد :

" بلاغة العرب في الأندلس " . ط (٢) . (القاهرة : دار الاعتماد . ١٩٣٨ م) .

١٠٠- ضيف ، شوقي :

أ - " البحث الأدبي طبيعته و مناهجه و أصوله و مصادره " . (القاهرة : دار المعارف .
١٩٧٢ م) .

ب - " التطور و التجديد في الشعر الأموي " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٨٧ م) .

ج - " الشعر و الغناء في المدينة و مكة في عصر بني أمية " . (القاهرة : دار المعارف .
١٩٧٦ م) .

د - " العصر الإسلامي " ط (٧) . (القاهرة : دار المعارف . د . ت) .

هـ - " العصر العباسي الأول " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٩ م) .

و - " العصر العباسي الثاني " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٥ م) .

ز - " فصول في الشعر و نقده " . ط (١) . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٠ م)

ح - " الفن و مذاهبه في الشعر العربي " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٤ م)

ط - " في النقد الأدبي " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٢ م) .

١٠١- أبو طالب ، علي - رضي الله عنه - :

" ديوان الإمام علي بن أبي طالب " . بشرح : د . يوسف فرحات . ط (٢) . (بيروت :

دار الكتاب العربي . ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م) .

١٠٢- الطاهر ، علي جواد :

" الشعر العربي في العراق و بلاد العجم في العصر السلجوقي " . ط (١) . (بيروت : دار

الرائد العربي . ١٩٨٥ م) .

١٠٣- طبانه ، بدوي :

" علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة " . ط (٤) . (القاهرة : مكتبة الأنجلو .

١٣٩٥ هـ - ١٩٧٧ م) .

١٠٤- الطَّبَّاع ، عبد الله أنيس :

" القطف الياقة من ثمار جنة الأندلس الإسلامية الدانية " . ط (١) . (بيروت : دار ابن

زيدون . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

١٠٥- الطبري ، محمد بن جرير :

أ - " تاريخ الأمم و الملوك " . راجعه و صححه و ضبطه : نخبة من العلماء . (القاهرة :

المكتبة التجارية الكبرى . ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م) .

ب - " تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار - مسند عبد الله ابن عباس - " . خرج أحاديثه : د. محمود محمد شاكر . (الرياض : جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م)

١٠٦ - الطليطي ، ابن بقي يحيى بن أحمد :
" موشحات ابن بقي الطليطي و خصائصها الفنية " . عدنان محمد آل طعمه . (بغداد : وزارة الثقافة و الفنون . ١٩٧٩ م) .

١٠٧ - الظاهري ، محمد بن حزم :
أ - " رسائل ابن حزم " . تحقيق : د. إحسان عباس . (القاهرة : ١٩٥٤ م) .
ب - " مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والسلوك " . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . (المدينة المنورة : المكتبة السلفية . ١٩٧٠ م) .

١٠٨ - عاصي ، ميشال :
" أجمل الموشحات " . (بيروت : دار النهار . ١٩٦٨ م) .

١٠٩ - عانوتي ، أسامة :
" أبو العتاهية رائد الزهد في الشعر العربي " . (بيروت : المكتبة الأهلية . ١٣٨٢ هـ) .

١١٠ - عباس ، إحسان :
أ - " أخبار و تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي " ت ٥٧٦ هـ - " . ط (٢) . (بيروت : دار الثقافة . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .
ب - " تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة " . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٦٨ م)
ج - " تاريخ النقد الأدبي عند العرب " . (عمان : دار الشروق . ١٩٩٣ م) .

د - " شعر الخوارج في العصر الأموي " . ط (٣) . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧٤ م) .

١١١- عبد التواب ، صلاح الدين :

" الصورة الأدبية في القرآن الكريم " . ط (١) . (القاهرة : الشركة المصرية للنشر . ١٩٥٥ م) .

١١٢- ابن عبد ربّه ، أحمد بن محمد :

" ديوان ابن عبد ربه الأندلسي " . تحقيق : د. محمد رضوان الدّايه . ط (٢) . (دمشق : دار الفكر . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) .

١١٣- عبد النور ، جبور :

" المعجم الأدبي " . ط (٢) . (بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٨٤ م) .

١١٤- عبد الواحد ، مصطفى :

" أثر الإسلام في شعر الفرزدق " . ط (١) . (الدمام : دار الإصلاح . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .

١١٥- عبيد ، يوسف :

" التوشيح في الموشحات الأندلسية " . ط (١) . (بيروت : دار الفكر اللبناني . ١٩٩٣ م) .

١١٦- أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم :

" أبو العتاهية أشعاره و أخباره " . عني بتحقيقها : د. شكري فيصل . (دمشق : دار الملاح . د.ت) .

١١٧- عتيق ، عبد العزيز :

"الأدب العربي في الأندلس" . (بيروت : دار النهضة العربية . ١٩٧٦ م) .

١١٨- العدواني ، عبد العظيم بن عبد الواحد ابن أبي الإصبع :

" تحرير التعبير في صناعة الشعر و النثر و بيان لإعجاز القرآن " . تقديم و تحقيق : د .
حفني محمد شرف . (القاهرة : لجنة إحياء التراث الإسلامي . ١٣٨٣ هـ) .

١١٩ - العذب ، محمد أحمد :

" عن اللغة و الأدب و النقد " . (بيروت : المركز العربي للثقافة و العلوم . د . ت) .

١٢٠- العذري ، هُدبة بن الحشرم :

" شعر هُدبة بن الحشرم العذري " . جمعه و حققه : د . يحيى الجبوري . ط (١) . (العراق :
وزارة الثقافة و الإرشاد القومي . ١٩٧٦ م) .

١٢١- عزام ، عبد الوهاب :

" المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزأ " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٥٩ م)

١٢٢- ابن عساكر ، علي بن الحسن الشافعي :

" تهذيب تاريخ دمشق الكبير " . هذّبه و رتبه : الشيخ عبد القادر بدران . ط (٢) .
(بيروت : دار المسيرة . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

١٢٣- عسّاف ، ياسين سيمون :

" الصّورة الشعرية و نماذجها في إبداع أبي نواس " . ط (١) . (بيروت : المؤسسة الجامعية
للدراسات و النشر و التوزيع . ١٩٨٢ م) .

١٢٤- العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر :

أ- " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة " . تحقيق : محمد سيد جاد الحق . ط (٢) .

(مصر : دار الكتب الحديثة . ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م)

ب - " لسان الميزان " . (بيروت : مؤسسة الأعظمي . ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م)

١٢٥- العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله :

" الصناعتين ، الكتابة و الشعر " . حققه و ضبط نصه : د . مفيد قميحة . ط (٢) .

(بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) .

١٢٦- العشماوي ، محمد زكي :

" موقف الشعر من الفن و الحياة في العصر العباسي " . (بيروت : دار النهضة العربية .

١٩٨١م) .

١٢٧- عصفور ، جابر أحمد :

" الصّورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي " . (القاهرة : دار الثقافة . ١٩٧٤م) .

١٢٨- عطوان ، حسين :

" الشعراء الصعاليك في العصر الأموي " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٠م) .

١٢٩- عطية ، عبد الرحمن :

" الصنوبري ، شاعر الطبيعة " . (تونس الدار التونسية . د . ت) .

١٣٠- العقدة ، محمود فرج :

" أبو العتاهية شاعر الزهد و الحكمة " . ط (١) . (الرياض : دار العلوم . ١٤٠٥ هـ — —
١٩٨٥ م) .

١٣١- العقيلي ، الحسين بن حيدرة الشريف :
" ديوان شعر الشريف العقيلي " . تحقيق : د. زكي المحاسني . (القاهرة : دار إحياء الكتب
العربية . د.ت .) .

١٣٢- عكاش ، عبد الكريم :
" سمير المؤمنين من روائع الدين و الأدب " . ط (١) . (دمشق : مكتبة دار المحبة .
١٤٠٤ هـ — ١٩٩١ م) .

١٣٣- علوش ، مي :
" الملهمات " . ط (١) . (بيروت : دار المؤلف . ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨ م)

١٣٤- العلي ، عدنان عبيد :
" شعر المكفوفين في العصر العباسي " . (الأردن : دار أسامة . ١٩٨٩ م) .

** عناني :

١٣٥- عناني ، محمد عبد الله :
أ - " تراجم إسلامية شرقية و غربية " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٤٧ م)
ب - " لسان الدين بن الخطيب حياته و تراثه الفكري " . القاهرة : مكتبة الخانجي .
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) .

١٣٦- عناني ، محمد زكريا :

"ديوان الموشحات الأندلسية - المستدرك -" ط (١) . (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية . ١٩٦٠ م) .

١٣٧- عوض الكريم ، مصطفى :

"فن التوشيح" . قدّم له : د . شوقي ضيف . ط (٢) . (بيروت : دار الثقافة . ١٩٧٤ م)

١٣٨- عيسى ، فوزي سعد :

أ - "ابن زهر الحفيد و شّاح الأندلس" . الإسكندرية : منشأة المعارف . ١٩٨٣ م) .
ب - "الموشحات و الأزجال الأندلسية في عصر الموحدين" . (الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٠ م) .

١٣٩- غازي ، سيد :

"ديوان الموشحات الأندلسية" . (الإسكندرية : منشأة المعارف . ١٩٧٩ م) .

١٤٠- ابن فارس ، أحمد :

"معجم مقاييس اللغة" . تحقيق و ضبط : د . عبد السلام هارون . (بيروت : دار الفكر . ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) .

١٤١- أبو الفتوح ، محمد حسين :

"معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف" . ط (١) . (بيروت : مكتبة لبنان . ١٩٩٣ م)

١٤٢- الفحّام ، شاكر :

"نظرات من ديوان بشار بن برد" . ط (٢) . (دمشق : مجمع اللغة العربية . ١٩٨٣ م)

١٤٣- الفرزدق ، همام بن غالب :

" ديوان الفرزدق " . (بيروت : دار صادر . د.ت) .

١٤٤- ابن الفرضي ، عبد الله بن محمد :

" تاريخ علماء الأندلس " . القاهرة : الدار المصرية للتأليف و الترجمة . ١٩٦١ م) .

١٤٥- فروخ ، عمر :

" تاريخ الأدب العربي " . ط (٦) . (بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٩٢ م) .

١٤٦- فريد ، فتحي عبد القادر :

" فنون البلاغة بين القرآن و كلام العرب " . ط (٢) . (الرياض : دار اللواء . ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م) .

١٤٧- الفقي ، محمد كامل :

" من بلاغة العباسيين " . ط (١) . (القاهرة : دار الطباعة المحمدية . ١٩٧٨ م) .

١٤٨- الفيل ، توفيق :

" القيم الفنية المستحدثة في الشعر العباسي من بشار إلى المعتز " . (الكويت : ذات السلاسل . ١٩٨٤ م) .

١٤٩- القاسم ، عون الشريف :

" شعر البصرة في العصر الأموي ، دراسة في السياسة و الاجتماع " . (بيروت : دار الثقافة . ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) .

١٥٠- القاضي ، النعمان عبد المتعال :

" الفرق الإسلامية في العصر الأموي " . (القاهرة : دار النهضة . ١٩٧٢ م) .

١٥١- القالي ، إسماعيل بن القاسم :

" الأمالي " . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٥ م) .

١٥٢- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم :

" الشعر و الشعراء " تحقيق : د. أحمد شاكر . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٦ م) .

١٥٣- القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب :

" جمهرة أشعار العرب في الجاهلية و الإسلام " . حققه و ضبطه و زاد في شرحه : علي البجاوي . (القاهرة : دار نهضة مصر . د . ت) .

١٥٤- القرطاجني ، حازم :

" منهاج البلغاء و سراج الأدباء " . تحقيق : د . محمد الحبيب بن خوجه . ط (٢) .
(بيروت : دار المغرب الإسلامي . ١٩٨١ م) .

١٥٥- القرطبي ، أبو عمر يوسف بن عبد البر :

" بهجة المجالس و أنس المجالس " . تحقيق : محمد مرسى . (القاهرة : الدار المصرية للتأليف و الترجمة . ١٩٦٧ - ١٩٦٩ م) .

١٥٦- القريشي ، رضا محسن :

" الموشحات العراقية " . (بغداد : دار الرشيد . ١٩٨١ م) .

١٥٧- القزويني ، الخطيب :

" الإيضاح في علوم البلاغة " . شرح و تعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي . ط (٥) .
(بيروت : دار الكتاب اللبناني . ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م) .

١٥٨- القفطي ، علي بن يوسف :

أ - " إنباه الرواة في أنباه النحاة " . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . (القاهرة : مطبعة
دار الكتب المصرية . ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠ م) .
ب - " المحمدون من الشعراء و أشعارهم " . تحقيق : حسن معمرى . مراجعة : حمد الجاسر .
(الرياض : دار اليمامة . ١٣٩٠هـ) .

١٥٩- القيرواني ، الحسن بن رشيق :

" العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده " . تحقيق : د. محمد محي الدين عبد الحميد . ط
(٤) . (بيروت : دار الجيل . ١٩٨٢) .

١٦٠- القيسي ، نوري حمودي :

" شعراء أمويون " . القسم الأول . (العراق : جامعة الموصل . ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م) .
القسم الثاني . (العراق : جامعة بغداد . ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦ م) .

١٦١- كامل ، ماجده :

" الموشحات في العصر الأيوبي " . (القاهرة : الصدر . ١٩٩١ م) .

١٦٢- الكتاني ، محمد بن الحسن :

" التشبيهات من أشعار أهل الأندلس " . تحقيق : د. إحسان عباس . (بيروت : دار
الثقافة . ١٩٦٦ م) .

١٦٣- الكتيبي ، محمد بن شاكر :

أ - " عيون التواريخ " . تحقيق : فيصل السامر ، ونبيلة عبد المنعم . (العراق : وزارة الإعلام .

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) .

ب - " فوات الوفيات " . حققه : د . محمد محي الدين عبد الحميد . (القاهرة : مكتبة

النهضة المصرية . ١٩٥١ م) .

١٦٤- ابن كثير ، إسماعيل :

" البداية والنهاية " . ط (٤) . (بيروت : مكتبة المعارف . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

١٦٥- الكرمانى ، محمود حمزة :

" أسرار التكرار في القرآن الكريم " . دراسة و تحقيق : عبد القادر أحمد عطار . ط (٢) .

(القاهرة : دار الاعتصام . ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .

١٦٦- كشاجم ، محمود بن الحسن :

" ديوان كشاجم " . دراسة و شرح و تحقيق : د. النبوي عبد الواحد شعلان . ط (١) .

(القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) .

١٦٧- الكفراوي ، محمد عبد العزيز :

" أسطورة الزهد عند أبي العتاهية " . (القاهرة : دار النهضة . ١٩٧٢ م)

١٦٨- الكلبي ، أبي الخطاب عمر بن الحسن :

" المطرب من أشعار أهل المغرب " . تحقيق : إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد ، أحمد

بدوي . راجعه : طه حسين . (القاهرة : دار الثقافة الدينية . ١٩٩٣ م) .

**** كمال :**

١٦٩- كمال ، ألفت محمد :

" نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين". (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٤ م)

١٧٠- كمال ، عبد الحي :

" معاني الحروف " . ط (١) . (القاهرة : مكتبة المعارف . ١٣٩٢ هـ) .

١٧١- كوسا ، سعيد كامل :

" الشيب " . ط (١) . (دمشق : دار الفكر . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م) .

١٧٢- المالكي ، عبد الله :

" رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و أفريقية و زهادهم و نساكهم وسير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم " . تحقيق : بشير البكوش ، راجعه : محمد العروسي .
(بيروت : دار الغرب الإسلامي . ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م) .

١٧٣- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :

" الكامل في اللغة و الأدب " . تحقيق : لجنة من المحققين . (بيروت : مكتبة المعارف . ١٣٨٦ م)

١٧٤- المتني ، أبو الطيب أحمد بن الحسين :

" العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب " . تحقيق : ناصيف اليازجي . (بيروت : دار بيروت . ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) .

**** المراكشي :**

١٧٥- المراكشي ، عبد الواحد :

" المعجب في تلخيص أخبار المغرب " . تحقيق : محمد سعيد العريان . ط (١) . (القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . ١٩٦٣ م) . ٦ .

١٧٦- المراكشي ، محمد بن عبد الملك :

" الذيل و التكملة لكتاب الموصول والصلة " . تحقيق : د. محمد بن شريفه . (بيروت : دار الثقافة . د . ت) .

١٧٧- المرتضى ، علي بن الحسين الشريف :

أ - " ديوان الشريف المرتضى " . حققه : رشيد الصفار . راجعه : مصطفى جواد . قدم له : رضا الشبيبي . (القاهرة : عيسى البابي الحلبي . ١٩٥٨ م) .
ب - " الشهاب في الشيب و الشباب " . بيروت : دار الرائد العربي . ١٤٠٢ هـ — -
١٩٨٢ م) .

١٧٨ - مروه ، محمد رضا :

" عبد الله بن المعتز خليفة يوم و ليلة " . ط (١) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م) .

١٧٩- المسعودي علي بن الحسين :

" مروج الذهب ومعادن الجوهر " . تحقيق : د. محمد محي الدين عبد الحميد . ط (٥) . (القاهرة : دار الفكر . ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) .

١٨٠- مصطفى ، عدنان صالح :

" الجديد في فن التوشيح " . ط (١) . (الدوحة : دار الثقافة . ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .

١٨١- المطرودي ، محمد إبراهيم :

" الشريف المرتضى و أدبه " . ط (١) . (الرياض : جامعة الملك سعود . ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) .

١٨٢- ابن المعتز ، عبد الله :

أ - " البديع " . اعتنى بنشره وتعليق المقدمة و الفهارس : إغناطيوس كراتشكو فسكي . ط (٣) . (بيروت : دار المسيرة . ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م) .
ب - " شعر ابن المعتز " . دراسة و تحقيق : د. يونس السامرائي . (العراق : وزارة الثقافة و الفنون . ١٩٧٨ م) .
ج - " طبقات الشعراء " . تحقيق : عبد الستار أحمد فراج . (القاهرة : دار المعارف . د.ت) .

١٨٣- المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله :

أ - " رباعيات أبي العلاء المعري " . إعداد : رامز حيدر . (بيروت : مؤسسة دار الكتاب الحدث . ١٩٨٨ م) .
ب - " اللزوميات " . (بيروت : دار صادر . د.ت) .

١٨٤- المقدسي ، موفق الدين أبي محمد بن عبد الله بن قدامة :

" كتاب التوابين " . تحقيق : محمود الزغبى . ط (١) . (مصر : دار المنار . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) .

١٨٥- المقرئ ، أحمد بن محمد :

أ - " المصباح المنير في غريب الشرح الكبير " . (بيروت : المكتبة العلمية . د.ت) .

ب - " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب " . تحقيق : د . إحسان عباس . (بيروت : دار صادر . ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) .

ج - " أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض " . تحقيق : مصطفى السقا ، و إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلي . (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف و الترجمة . ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) .

١٨٦- المكناسي ، أحمد القاضي :

" جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس " . (الرباط : دار المنصور . ١٩٧٣م) .

١٨٧- ملوحي ، عبد المعين :

" أشعار اللصوص و أخبارهم " . ط (١) . (دمشق : دار طلاس . ١٩٨٨م)

١٨٨- أبو موسى ، محمد محمد :

أ - " البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية " . (القاهرة : دار الفكر العربي . د . ت) .

ب - " التصوير البياني " . ط (٣) . (القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) .

١٨٩- المنذري ، زكي الدين عبد العظيم :

أ - " الترغيب و التهيب من الحديث الشريف " . حققه و قدّم له : محي الدين ديب مستو . ط (١) . (بيروت : دار ابن كثير . ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

ب - " التكملة لوفيات النقلة " . حققه ، وعلق عليه : بشار عواد معروف . ط . (٢) . (بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) .

١٩٠- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم :

أ - " لسان العرب " . ط (٣) . (بيروت : دار صادر . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) .

ب - " مختار الأغاني " . (دمشق : المكتب الإسلامي . ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) .

١٩١- النواجي ، شمس الدين محمد :

" عقود اللآل في الموشحات و الأزجال " . تحقيق : عبد اللطيف الشهابي . (العراق : وزارة الثقافة و الإعلام - دار الرشيد . ١٩٨٢م) .

١٩٢- أبو نواس ، الحسن بن هانئ :

أ - " ديوان أبو نواس برواية الصولي " . تحقيق : د. بهجت الحديشي . (بغداد : دار الرسالة . ١٩٨٠م) .

ب - " ديوان أبو نواس " حققه : د. أحمد الغزالي . (بيروت : دار الكتاب العربي . د. ت.) .

١٩٣- النُّوش ، حسن أحمد :

" التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي " . ط (١) . (بيروت : دار الجيل . ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) .

١٩٤- النيسابوري ، أبو القاسم الحسن بن محمد :

" عقلاء المجانين " . تحقيق : أبو هاجر محمد زغلول . ط (١) . (بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

١٩٥- هِدَّارة ، محمد مصطفى :

" اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري " . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٦٣م) .

١٩٦- الهذلي ، أبو ذؤيب خويلد بن خالد :

" أبو ذؤيب الهذلي حياته و شعره " . نوره الشمالان . ط (١) . (الرياض : جامعة الرياض - الملك سعود - ١٩٧٨ م) .

١٩٧ - الهرفي ، محمد علي :

" أثر القرآن و الحديث في شعر أبي العتاهية " . (الدمام : دار الإصلاح . د . ت) .

١٩٨ - ابن هشام ، عبد الله بن محمد :

" مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . (بيروت : دار إحياء التراث العربي . د . ت) .

١٩٩ - هلال ، محمد غنيمي :

" النقد الأدبي الحديث " . ط (٣) . (القاهرة : دار النهضة العربية . ١٩٦٣ م) .

٢٠٠ - هيكل ، أحمد :

" الأدب الأندلسي - من الفتح إلى سقوط الخلافة " . ط (٩) . (القاهرة : دار المعارف . ١٩٨٥ م) .

٢٠١ - وضاح اليمن ، عبد الرحمن بن إسماعيل :

" ديوان وضاح اليمن " . جمعه و قدّم له و شرحه : محمد خير البقاعي . ط (١) . (بيروت : دار صادر . ١٩٩٦ م) .

٢٠٢ - اليافعي ، عبد الله بن أسعد :

" مرآة الجنان وعبرة اليقظان " . ط (٢) . (بيروت : مؤسسة الأعلمي . ١٩٧٢ م) .

٢٠٣- اليطي ، صالح حسن :

" الفكر و الفن في شعر أبي العلاء المعري ". رؤية نقدية عصرية للتراث. (الإسكندرية : دار المعارف . د . ت) .

٢٠٤- يوسف ، ياسين :

" الشعر في بلاد الشام و الجزيرة من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري " .
ط (١) . (بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٩٩٣ م) .

المخطوطات

الصرصري ، يحيى بن يوسف :

" ديوان الخليل المقدّر جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري " . مكة المكرمة : جامعة أم
القرى . مركز البحث و إحياء التراث الإسلامي . رقم " ١٠٠ " و تاريخ : ١٩٥٩ م .
أدب .

الرسائل والبحوث الجامعية

- ١ - الأنصاري ، يوسف بن عبد الله :
" أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم و أسرارها البلاغية " . (رسالة ماجستير . قسم البلاغة و النقد . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)
- ٢ - جماح ، علي ناصر :
" الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين الخامس و السادس الهجريين " . (رسالة ماجستير . قسم الأدب . كلية اللغة العربية . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ) .
- ٣ - الجهيمان ، عبد الله إبراهيم :
" اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي الأول " . (رسالة ماجستير . قسم الأدب و النقد . كلية اللغة العربية . جامعة الأزهر . ١٩٧٣ - ١٩٧٤م) .
- ٤ - حجازي ، عادل عبد الله :
" شعر فقهاء المشرق من بداية عصر الخلفاء حتى نهاية العصر العباسي " . (رسالة ماجستير . قسم الأدب . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) .
- ٥ - حسن ، إيمان أنور :

"سجع الورق الممتخبة في جمع الموشحات
المنتخبة ، للسخاوي " دراسة و تحقيق (رسالة ماجستير .
قسم اللغة العربية و اللغات الشرقية و آدابها . كلية الآداب . جامعة الإسكندرية .
١٩٩٦م) .

٦ - حميد ، عبد الله :

"الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي عبر القرنين الثالث
و الرابع الهجريين " . (رسالة ماجستير . قسم الأدب . كلية اللغة العربية .
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤٠٥ - ١٤٠٦هـ) .

٧ - زيني ، شادية حسن :

"سابق البربري و الاتجاه الإسلامي في شعره " . (رسالة
ماجستير . قسم الأدب . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . ١٤٠٥هـ) .

٨ - العباسي ، عمر السيد الطيب :

"شعر أحمد ابن عبد ربه الأندلسي " - دراسة تحليلية نقدية -
(رسالة دكتوراه . قسم الأدب و البلاغة . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى .
١٤٠٩هـ) .

٩ - العضيي ، عبد الله بن محمد :

"أثر الإسلام في موضوعات الشعر الأموي " . (رسالة ماجستير .
قسم الأدب . كلية اللغة العربية . جامعة أم القرى . ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) .

١٠ - عمرو ، علي عبد الله :

" ديوان الزمخشري " - تحقيق و دراسة لشعره - . (رسالة دكتوراه . قسم
الأدب . كلية اللغة العربية . جامعة الأزهر . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) .

١١ - الكتاني ، نور الهدى الشريف :

" تحقيق ديوان ابن الصبّاغ الجذامي " . (رسالة لنيل دبلوم الدراسات
العليا في الأدب العربي .شعبة اللغة العربية و آدابها . كلية الآداب و العلوم الإنسانية .
جامعة محمد الخامس . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) .

١٢ - متولي ، عبد الستار السيد :

" أدب الزهد في العصر العباسي ، نشأته و تطوره و أشهر رجاله " .
(رسالة ماجستير . قسم الأدب . كلية الآداب . جامعة الأزهر . ١٩٧٢م) .

١٣ - اليمني ، عثمان :

" الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي من بداية القرن
السابع الهجري إلى سقوط مملكة غرناطة " . (رسالة ماجستير . قسم الأدب .
كلية اللغة العربية . جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية . ١٤٠٢هـ) .

المجلات والدوريات

- ١ - بهجت ، مجاهد
" الزاهدون التائبون " . مجلة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية . جامعة الملك عبد
العزیز - (مكة : العدد الأول . ١٩٧٠ م)
- ٢ - جديده ، خالد :
" الموشحات الأندلسية " . مجلة المنهل . (جده : العدد ٤٥٧ . صفر ١٤٠٨ هـ -
١٩٨٨ م) .
- ٣ - حموده ، عبد الباسط أحمد :
" المثل الإسلامية عند ابن عبد ربه " . مجلة المنهل . (جده : العدد ٤٦١ . رجب
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ٤ - خضر ، مقداد رحيم :
" أوزان الموشحات الأندلسية و قوافيها " . مجلة المورد . (بغداد : العدد ١ .
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) .
- ٥ - زمامه ، عبد القادر :
" الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه القرطبي " . مجلة المورد . (بغداد : العدد ٢ .
١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) .
- ٦ - ساعي ، أحمد بسام :

"الوجه الجديد للموشحات من خلال الكشف الجديد لكتاب عدة الجليس" . مجلة آفاق الثقافة و التراث . (دبي : العدد ٣ رجب ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) .

٧ - أبو السعود ، ليلي عبد الفتاح :
"الموشحات الأندلسية" . مجلة المنهل . (جده : العدد ٥٢٤ صفر ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) .

٨ - العريني ، علي :
"معارضات أخرى لابن سهل" . مجلة دراسات أندلسية . (تونس : العدد ٤ - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) .

٩ - عناني ، محمد زكريا :
"نشأة فن التوشيح بالشرق" . مجلة كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز . (مكة : العدد ٢ - ١٣٩٧هـ - ١٩٨٧م) .

١٠ - العواد ، عبد العزيز عبد الله :
"الموشحات نوع جديد في الشعر الأندلسي" . مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية . (الرياض : العدد ١٣ - ١٤ السنة ١٤٠٣هـ - ١٤٠٤هـ) .

١١ - الفدّا ، عبد العزيز عبد الله :
"في الشعر الأندلسي خرجات مختلفة" . مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود . (الرياض : العدد ١ - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) .

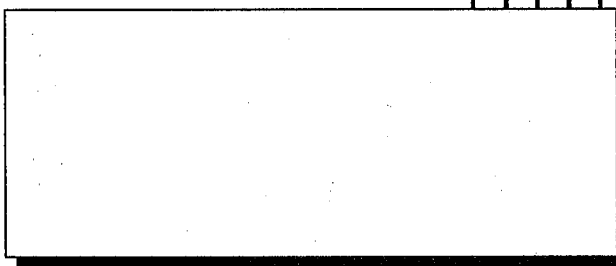
١٢ - قصبجي ، عصام ، و مجد الأفندي :

"المقومات الفنية للموشحات الأندلسية" . مجلة بحوث جامعة حلب .
(العدد ١٨ - ١٩٩٠ م) .

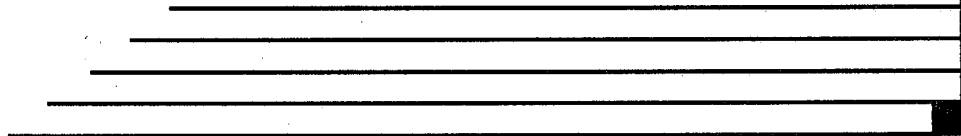
١٣- مطلوب ، أحمد :

" أدب إسلامي ، كيف ؟ " . مجلة العربي . (الكويت : العدد ٢٤٩ - ١٩٧٩ م)

١٤- " موشحات و مخمسات لابن سهل لم تنشر " . حوليات الجامعة
التونسية . (العدد ١٧ - ١٩٧٩ م) .



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	عنوان الموضوع
١	ملخص الرسالة
٢	الإهداء
٣	شكر و تقدير
٥	المقدمة
١١	التمهيد
 الفصل الأول ظاهرة التوبة والاستغفار من بداية العصر الأموي إلى نهاية القرن الثامن الهجري	
١٨	المبحث الأول : فئات الشُّعراء التائبين في العصر الأموي
١٨	فئة الشُّعراء التائبين عند اشتداد المرض أو الشُّعور بدنو الأجل
٢١	فئة الشُّعراء التائبين من معصية أو ذنب اقترفوه
٢٥	فئة الشُّعراء التائبين المترددين
٢٨	فئة الشُّعراء الدعاة إلى التوبة
٣٠	المبحث الثاني : جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند شعراء المشرق
٣٠	جانب الرجاء و الابتغال
٤٢	جانب النفس الإنسانية
٤٦	جانب الندم و محاربة إغواء الشيطان

٤٨	جانب الدعوة إلى التوبة
٥١	الجانب التصويري
	المبحث الثالث : جوانب شعر التوبة و الاستغفار عند شعراء مصر
٦١	و المغرب و الأندلس
٦١	جانب الرجاء و الابتهاال
٧١	لـوم النفس
٧٣	جانب الندم و محاربة إغواء لشيطان
٧٤	الدعوة إلى التوبة
٧٦	الجانب التصويري

الفصل الثاني

ظاهرة المحّصات في الشعر المقصّد

٨٢	شعر المحّصات
٨٣	مسمّى المحّصات
٨٨	الفرق بين شعر الزهد و شعر المحّصات
٩٠	المبحث الثاني : مُحّصات جرت مجرى النقائص
٩١	محّصة أبي نواس
٩٦	محّصات أبي العتاهية
١٠٠	محّصات ابن الرومي
١٠٨	محّصات ابن المعتز

١١٧	محصّات ابن عبد ربّه الأندلسي
١٢٣	محصّات الشريف العقيلي
١٢٩	محصّاة ابن حمديس
١٣٢	محصّات أبو الفضل بهاء الدين زهير
١٤١	المبحث الثالث : محصّات نُصَّ عليها
١٤٢	محصّاة أبو عُقال
١٤٥	محصّاة ابن عبد ربّه الأندلسي
١٤٧	محصّات ابن حزم الأندلسي

الفصل الثالث

الدراسة الفنية لشعر التوبة و الاستغفار و شعر المحصّات

١٦٣	أثر القرآن الكريم
١٦٨	أثر الحديث الشريف
١٧٠	الصُّورة الفنية
١٧٤	التشبيه
١٨٠	الاستعارة
١٨٣	الكناية
١٨٨	ظاهرة التكرار في شعر التوبة و الاستغفار
١٨٨	أهمية التكرار

تعريفه	١٨٨
تكرار المعاني	١٨٩
تكرار المفردات	١٩٠
تكرار المفردات بالاشتقاق نفسه	١٩١
تكرار المفردات مع التنويع في اشتقاقها و موضعها من سياق البيت ...	١٩٢
أغراض التكرار	١٩٤
التجربة الشعرية	١٩٦
تجربة عبيد العنبري	٢٠٠
أبو نواس	٢٠٣
ابن عبد ربّه	٢٠٦

الفصل الرابع ظاهرة المحّصات في المقطّعات

الموشّح المكفّر	٢٠٨
تعريفه	٢٠٨
مُكفّر ليس له نقيض	٢٠٩
مكفّرات ابن الصّبّاغ الجذامي	٢٠٩
مكفّراً شمس الدين الواسطي	٢٢٠
مكفّر ابن الشرّدة	٢٢٩
مكفّر ابن أبي جمعة التلّالسي	٢٣١

٢٣٤	المكفّر و نقيضه
٢٣٤	مكفّر ابن سناء الملك
٢٤٠	مكفّرات ابن الصبّاغ
٢٥٦	مكفّر ابن زُمرك
٢٦٤	الدراسة الفنية للمقطّعات
٢٦٤	أثر القرآن الكريم
٢٦٧	الصُورة الفنية
٢٦٧	التشبيه
٢٦٩	الاستعارة
٢٧١	الكناية
٢٧٣	الخرجات
٢٧٤	خرجات مطالع الموشّحات
٢٧٥	خرجات مقتبسة من خرجة موشّح معروف
٢٧٧	خرجات مقتبسة من زجل
٢٧٧	خرجات بها لفظة أعجمية
٢٧٨	الخرجة المعربة
٢٨١	أنواع المكفّر
٢٨١	المكفّر التام
٢٨٣	المكفّر الأقرع
٢٨٤	أوزان المكفّر و بحوره

٢٨٧	 خلاصة البحث و أهم نتائجه
٢٩٢	 التوصيات
	فهرس الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة
٢٩٤	 فهرس الآيات القرآنية الكريمة
٣٠٣	 فهرس الحديث النبوي الشريف
	قائمة المصادر و المراجع
٣٠٦	 القرآن الكريم و التفسير و الحديث الشريف
٣٠٩	 المصادر و المراجع و الدواوين الشعرية
٣٤٧	 المخطوطات
٣٤٨	 الرسائل و البحوث الجامعية
٣٥١	 المجلات و الدوريات
٣٥٤	 فهرس الموضوعات
